موازنة بين كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ وكتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي (دراسة تحليله)

إعداد

عمر ذياب أبو هنية

المشرف

الأستاذ الدكتور هاني صبحي العمد

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

تشرين الأول، ٢٠٠٨

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/ الأطروحة (موازنة بين كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ وكتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي) وأجيزت بتاريخ /٤/ ٨ /٢٠٠٨م.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور هاني صبحي العمد، مشرفا أستاذ – الأدب الشعبي	.....
الدكتور ياسين يوسف خليل، عضوا أستاذ مشارك– الأدب العباسي	.....
الدكتور محمد علي أبو حمدة، عضوا أستاذ مساعد – النقد الأدبي	.....
الدكتور سمير محمود الدروبي، عضواً أستاذ– الأدب العربي القديم – جامعة الهاشمية	.....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى صاحـــب الفكـــر الحـــرّ

إلى كل الذين يبحثون عن الحقيقة

إلى أولئك الذين يدافعــون عــن....

وطنهـــــــــم وإلى روح والــديّ

الباحث

عمر أبو هنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

بعد حمد الله العلي القدير على إعانته لي وتوفيقي لإتمام هذه الرسالة، فإنه لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الكبير إلى الأستاذ الدكتور هاني العمد، لما قدمه لي من عون واهتمام ف يكل خطوة من خطواتي، فقد كان بمثابة الأب والمعلم، تابع بكل أمانة وإخلاص العمل برسالتي بأدق تفاصيلها، مما كان له أكبر الأثر بتشجيعي على إنجاز هذا العلم.

كما ويسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة.

وأخيراً وليس آخرا فإنه لا يغيب عن ذهني أن أقدم تقديري وشكري إلى كل مهن أفادني وساعدني من قريب أو بعيد.

عمر أبو هنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
فهرس المحتويات	ه
قائمة الجداول	ط
الملخص باللغة العربية	ي
المقدمة	1
الفصل الأول العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية وأثرها في بروز ظاهرة التحسين والتقبيح	5
ظاهرة التحسين والتقبيح	5
المساجد	5
سوق المربد	6
دكاكين الوراقين	7
أساتذته	9
1- إبراهيم بن سيّار النظام (ت321)	9
2- أبو الهذيل العلّاف	10
المعتزلة وأثرها في ظاهرة الأضداد	10
مبادئ المعتزلة	10

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجاحظ وأثر المعتزلة في أدبه	11
الجانب الاعتزالي في البيان والتبيين	12
الجانب الاعتزالي في كتاب الحيوان	12
علم الكلام وأثره في الثقافة العربية	13
تعريفه	13
مراجع الفصل الأول	18
الفصل الثاني عرض الكتابين و تقسيمهما إلى مؤتلف و مختلف	21
المؤتلف في كتابي المحاسن و الأضداد والمحاسن والمساوئ	21
النتائج المستخلصة من المواضيع المؤتلفة بين الكتابين المختلف	47
عنونة الكتابين	47
رأي الجاحظ في الضد و الحسن والسيئ	49
المختلف عند الجاحظ (محاسن وأضداد أو محاسن ومساوئ	51
المختلف عند الجاحظ (محاسن وحدها)	55
رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى	57
البلاغة عند الجاحظ	60
النتائج المستخلصة من المواضيع المختلفة عند الجاحظ	67
المختلف عند البيهقي (محاسن ومساوئ)	68
المختلف عند البيهقي (محاسن وحدها ومساوئ وحدها)	88
الفصل الثالث	102

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فصل التحليل والنقد	
رأي خليل مردم	104
رأي شفيق جبري	105
رأي هناء حرامي في دراستها	105
آراء الدكتور حسن السندوبي	105
آراء الدكتور شوقي ضيف	110
آراء الدكتور محمد الدروبي	118
أسلوب الجاحظ	121
توظيف الحيوان عند تعرض الشخصية للخطر	124
قصة المورياني	124
قصة المأمون	125
مطلع الحكاية عند الجاحظ	128
عنصر التشويق و تطور الأحداث	131
التكرار في أسلوب الجاحظ	134
عنصرا الزمان و المكان	139
المظهر الاجتماعي في حكايات الجاحظ	140
ملحق الحكايات	144
1- حكاية المورياني	144
2- حكاية بلاش بن فيروز و ابنة ملك الهند	145
3- حكاية المأمون	149

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4- حكاية الحجاج مع شهاب بن حرقة السعدي	149
5- حكاية الحجاج مع الحاجب	151
6- حكاية يوسف بن عمر مع جواريه	152
الخاتمة	153
المراجع	155
الملخص باللغة الانجليزية	160

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
1	المؤتلف في كتابي المحاسن والأضداد والمحاسن والمساوئ	**21**
2	المختلف عند الجاحظ (محاسن وأضداد أو محاسن ومساوئ)	51
3	المختلف عند الجاحظ (محاسن وحدها)	56
4	المختلف عند البيهقي (محاسن ومساوئ)	68
5	المختلف عند البيهقي (محاسن وحدها ومساوئ وحدها)	88

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موازنة بين كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ وكتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي (دراسة تحليله)

إعداد

عمر ذياب أبو هنية

المشرف

الأستاذ الدكتور هاني صبحي العمد

الملخـــص

عنيت هذه الدراسة بكتابين من كتب التراث العربي، وهما كتاب المحاسن والأضداد لعمرو بن بحر الجاحظ وكتاب المحاسن والمساوئ لإبراهيم بن محمد البيهقي. فجاءت هذه الأطروحة في ثلاثة فصول كان الفصل الأول منها حول ظاهرة التحسين والتقبيح وما هي العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية التي ساعدت على ظهور هذا الفن. فعرض الباحث لسوق المربد وما كان فيه من مناظرات وجدل وأثره في المجتمع العباسي لا سيما في مجتمع البصرة وكيف كانت ظاهرة التحسين والتقبيح في بادئ الأمر تقتصر على المناظرات الدينية التي كان يدافع بها المعتزلة عن الدين الإسلامي حتى صارت هذه الظاهرة أي التحسين والتقبيح ظاهرة عامة تكتنف كتب الأدباء وأصبح بعضهم يعرف بها كالجاحظ.

وأما الفصل الثاني كان عن الموضوعات الواردة في الكتابين وقد قسمها الباحث إلى مؤتلف ومختلف وقام الباحث بمناقشة هذه الموضوعات وبيان فكر وأسلوب كل من الأديبين، حيث يظن القارئ أنها موضوعات متشابهة بالطرح والفكرة ولكن بعد الدرس تبين أنها موضوعات مختلفة أشد الاختلاف في بعض الأبواب الواردة فيهما وذلك عائد لاختلاف فكر وفلسفة كل من الأديبين وغاية كل منهما من وضع كتابه، فالجاحظ أديب من المعتزلة وقد حاول في كتابه استثارة عقل القارئ وتحريضه على التفكير واختيار ما يراه مناسباً له وهو في هذا الأمر يعلي من شان العقل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما في الموضوعات التي تطرّق إليها فقد تناول العديد من أحوال مجتمعة وحاول تصويرها بكل دقة وموضوعية، وأما البيهقي فكان مؤدِّبا وكان همه الإصلاح من شؤون الأفراد وأحوال المجتمع فتناول مواضع تعلي من الذوق العام وتحث على حسن التربية وقد عمل على إقصاء الموضوعات المتعلقة بالنساء لا سيما تلك التي تتحدث عن جسد المرأة والعلاقات الجنسية.

كما درس الباحث عنونة الكتابين والغاية التي قصد إليها كل أديب من العنوان الذي اختاره لكتابه فالجاحظ في عنونة كتابه يفسح مجالاً للقارئ في اختيار ما يراه مناسباً وهو في هذا بلا يقيده ولا يفرض عليه تبني وجهة نظر الأديب، وأما البيهقي فإنه يدفع القارئ دفعاً إلى تبني وجهة نظره ويقيده فيما قد اختاره له. وهكذا يظهر اختلاف فكر الجاحظ وغايته من وضع الكتاب كما تظهر غاية البيهقي مما لا يدع مجال للشك في أن نسبة الكتابين للبيهقي نسبة خاطئة كما زعم بعض النقاد، فكتاب المحاسن والأضداد يحمل فكر الجاحظ وفلسفته. وكي يطمئن الباحث إلى ما ذهب إليه عرض شيء من الأفكار والقصص الواردة في كتاب المحاسن والأضداد وقد قام بمقارنتها مع بعض الأفكار والقصص الواردة في كتب الجاحظ ثابتة النسبة له وهكذا انتقل الباحث إلى الفصل الثالث والذي عني بتحليل القصص والأفكار التي تخص الجاحظ، وكانت النتيجة تؤكد أن بناء القصة في كتاب المحاسن والأضداد متشابه مع كتب الجاحظ الأخرى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا فعلمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا انك أنت العليم الحكيم وبعد:

إن الشكر الجزيل و الثناء الموصول إلى أستاذي و معلمي الأستاذ الدكتور هاني العمد على ما قدم لي من نصائح وتوجيهات قومت أطروحتي وصححت اعوجاجها حتى خرجت بهذا الشكل، كما اشكر الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تكرمهم وتفضلهم بمناقشة هذه الأطروحة، سائلاً الله عز وجلّ التوفيق والتسديد.

موازنة بين كتابي المحاسن والأضداد للجاحظ والمحاسن والمساوئ للبيهقي.

قد أسفر الدرس والبحث في كتب التراث في بداية القرن الماضي عن كشف كتاب جديد للجاحظ وُسم بالمحاسن والأضداد وآخر لإبراهيم بن محمد البيهقي بعنوان المحاسن والمساوئ. وقد دار جدل كبير حول هذين الكتابين لما فيهما من موضوعات عديدة متشابهة بالطرح والفكرة والأسلوب. وقد شك النقاد في صحة نسبة كتاب المحاسن و الأضداد للجاحظ وهكذا ابتدأ الباحث بدراسة الكتابين فجاءت الأطروحة في ثلاثة فصول، كان الفصل الأول منها حول ظاهرة التحسين والتقبيح و أهم العوامل الاجتماعية و الثقافية و الدينية التي ساعدت على نشوء هذه الظاهرة.

وابتدأ الباحث بالمساجد وما كان فيها من حلقات علم و أثرها في الفكر الإسلامي. كما عرض لسوق المربد وأثره في المجتمع العباسي، لاسيما في البصرة وما كان فيه من مناظرات تجري بين الشعراء والأدباء وصولاً إلى دور الوراقة وأثرها في نقل ثقافة الأمم الأخرى إلى المجتمع الإسلامي، كما درس الباحث أثر المعتزلة في هذه الظاهرة وكيف أن المعتزلة قد دافعوا عن الدين في وجه الملحدين وأصحاب الملل الأخرى، وكيف أن دفاعهم هذا قد قام على الجدل والمناظرة ودحض الدليل بالدليل والحجة بالحجة، وما كان هذا ليتوفر لولا استنادهم إلى علمين آخرين هما الفلسفة وعلم الكلام وقد امتلأت الكتب الدينية بهذه المناظرات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا كانت بداية هذه الظاهرة أي التحسين و التقبيح تقتصر على الكتب الدينية و بعد أن استقر الأمر نقل عدد من أصحاب الاعتزال هذه الظاهرة إلى كتبهم الأدبية فامتلأت هي الأخرى بهذه الظاهرة. وكان الجاحظ أكثر أديباً وظف هذه الظاهرة في كتبه حتى أنها اكتنفت كتبه وعرف بها. ومن أشهر كتبه التي وظف فيها هذا الفن المحاسن والأضداد، وقد جاء من بعده البيهقي ووضع كتاب المحاسن و المساوئ، وهكذا انتقل الباحث للفصل الثاني يعرض محتوى الكتابين وقد ارتأى تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام، كان القسم الأول منه المؤتلف بين الكتابين. فدرس الباحث الموضوعات المؤتلفة وبين وجهة نظر كل من الأديبين وبين مواضع الاتفاق والاختلاف وعلى أي نحوٍ كان ذلك.

وأما القسم الثاني فقد عرض للموضوعات المختلفة في كتاب المحاسن والأضداد والتي انفرد بها الجاحظ من البيهقي، وكانت معظم هذه الموضوعات تدور حول الأمور المتعلقة بالنساء، فدرس الباحث هذه الموضوعات و بين فيها فكر الجاحظ وآراءه و طريقة عرضه. كما عرض الباحث لقضية اللفظ والمعنى عند الجاحظ وبسط القول في آرائه، و كان هذا القسم يحمل سمات فكر الجاحظ وطريقته في تناول هذه الموضوعات.

وأما القسم الثالث فكان عن الموضوعات التي انفرد بها البيهقي في كتابه المحاسن والمساوئ، وكان الطرح في هذه الموضوعات مختلفاً بعض الشيء عن مثيلتها في الموضوعات المؤتلفة، حيث جاءت الموضوعات أقصر منها في تلك المواضيع المشتركة بين الكتابين، كما اقتصرت على الأغراض التي تدعو إلى الأخلاق وحسن المعاملات والعلم والتربية، وكان بعضها يتحدث حول مذهب البيهقي وهو المذهب الشيعي. ولم يعرض البيهقي لشيءٍ من تلك الموضوعات المختلفة عند الجاحظ و التي تتعلق بالنساء وأخبارهن.

وبعد أن انتهى الباحث من هذا العرض التفصيلي للكتابين ووقف على أهم الأفكار الواردة فيهما سواء أكان ذلك في المؤتلف أم في المختلف، ينتقل إلى الجدل الذي دار حول نسبة الكتابين وهذا كان مدخلاً للفصل الثالث الذي حمل عنوان النقد و التحليل. وقد عرض الباحث آراء النقاد في الكتابين، فمنهم من نسبهما للبيهقي وآخر قد نسب كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ وكتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي. فعرض لآراء من أثبت نسبة كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ، كما عرض للآراء التي شكت في نسبة هذا الكتاب له، فبسط القول فيها ونقدها ورد على آراء الأساتذة النقاد بالدليلين العقلي والنقلي، من ثم انطلق الباحث إلى أسلوب الجاحظ لكي يستطيع أن يرجح صحة نسبة الكتاب، ووقف على أهم ما يميز أسلوب الجاحظ في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأليف الكتب والأفكار التي يقصد إليها من وضعه للكتاب. ولما كانت إطلالات الجاحظ قليلة في كتاب المحاسن والأضداد ارتأى الباحث أن يدرس بنية الحكاية في هذا الكتاب ومقارنتها ببعض حكايات الجاحظ في كتبه الثابتة النسبة إليه كالحيوان والبيان والتبيين. فدرس استهلال الحكاية مرورا بالعقدة وحالة التأزم وصولاً إلى الحل وانفراج العقدة. كما درس طريقة بناء الحكاية والشخوص الواردة فيها والأفكار التي تضمنتها هذه الحكايات وكيف طرحها الجاحظ في داخل القصة أو الخبر. كما وضع الباحث ملحقاً يبين بعض الحكايات التي قامت عليها الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

العوامل الاجتماعية والثقافية التي ساعدت على بروز ظاهرة الأضداد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

العوامل الاجتماعية والثقافية التي ساعدت على بروز ظاهرة الأضداد

ظاهرة التحسين والتقبيح

هي القدرة اللغوية والعقلية التي يتمتع بها الأديب في حديثه عن موضوعها وتحسينه للقارئ والإتيان بأدلة عقلية ومنطقية توضح وجهة نظره. من ثم يعود فيقبّح هذا الشيء بأدلة عقلية ومنطقيّة جديدة.

المساجد

وهي الأساس الأول الذي أسهم في بناء شخصية الجاحظ الثقافية مثلما أسهمت في تكوين ثقافات غيره.

والمسجد من أبرز الأماكن التي كان لها دور في الحضارة العربية الإسلامية. فقد كان مكاناً للعبادة ومركزاً للتعلم ودار ندوة ومركزاً لقيادة جيش المسلمين ومحكمة شرعية وأدبية.

والمساجد في البصرة كغيرها من المساجد كان لها أثرٌ واضحٌ في الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية، إلا أنها تميزت عن غيرها بأثرها الكبير في الجانب الثقافي الأدبي.

وقد كان الناس في البصرة يرتادون المساجد متحلقين حول علمائها يأخذون منهم علوم الدين كالفقه والتفسير والحديث والعقيدة.

وكان لكل شيخ في مساجد البصرة حلقة يرتادها طلابه، فعالم يتحدث في العقيدة وآخر في الفقه وآخر في علم الكلام، وكذا.

ومن أشهر الحلقات في مسجد البصرة حلقة الحسن البصري وما دار فيها من نقاش بينه وبين تلميذه واصل بن عطاء حول حكم مرتكب الكبيرة. فكان على إثر هذه المناقشة اعتزال واصل حلقة أستاذه واستقلاله عنه بحلقة تخصه.

وهكذا كانت هذه الحلقات أيضاً تضم مناقشات الفرق حول مذاهبها ومحاوراتها حول مبادئها [1].

وكان للمعتزلة أثر كبير في هذه المساجد، فكانوا يدرسون مذهبهم الاعتزالي والكلامي في مساجد البصرة. ومما لا شك فيه أن الجاحظ منذ صغره، كان يرتاد مساجد البصرة ويأخذ من

---

[1] الغالي بلقاسم، (1999)، الجانب الاعتزالي عند الجاحظ، ط1، دار ابن حزم: بيروت، ص 70.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علمائهم. فقد شهد صراع المذاهب وجدال الفرق وتأثر بذلك أيما تأثر فظهر في مصنفاته من العلوم المختلفة ما يدل على تنوع ثقافته وشمولها وثرائها[1].

وأشار الجاحظ إلى طائفة من الأدباء البصريين أطلق عليهم اسم المسجديين، وهم قوم اتخذوا المسجد منتدى لهم وطال غشيانهم له فعرفوا به ونسبوا إليه، وكانوا خليطاً من الناس منهم الشعراء ومنهم الأدباء، ويبدو أنهم ذوو أثرٍ غير قليل في التوجيه الأدبي لكثير من أدباء ذلك العصر، وكذلك الجاحظ كان مجلسه في أول أمره إلى هؤلاء المسجديين[2]. وقد ذكر كثيراً من أخبارهم وقصصهم في كتاب "الحيوان" و"البيان والتبيين" وقد أفاد الجاحظ من المناظرات والمناقشات التي دارت في حياته الأدبية، فوضع كتباً عديدة في الرد على المشبّهة والرد على النصارى، وفضيلة المعتزلة وقد اعتمد في كتبه على ما رآه وسمعه في مساجد البصرة.

سوق المِربَد

وهو الأساس الثاني الذي ساعد الأدباء في ظاهرة تحسين الشيء وتقبيحه بما ضم من ثقافات مختلفة وأجناس متنوعة وألوان أدبية زاخرة.

وكان سوق المربد من أشهر محال البصرة، ومن أجلّ شوارعها في الباب الغربي، ويترامى فوق مساحة من الأرض تمتد من البادية حتى الأفق البعيد ويبعد عن البصرة نحو ثلاثة أميال[3].

وكان سوقاً كتلك الأسواق التي كانت في الجاهلية تجمع بين التجارة والأدب والسياسة، ومكاناً للفخر والاستغاثة، وميداناً للصراع العشائري، ومعرضاً للمفارقات، ومنجعاً للعشاق، ومعقداً للمنازع الدينية وموطناً للدعوات السياسية. وكان النظّام يتردد على هذه السوق وكذلك العلاف وتلميذهما الجاحظ.

وفي هذا الخضم الزاخر من علم وثقافة عاش الجاحظ حياته متردداً على هذه السوق يأخذ من معينه الذي لا ينضب، ويرى ويسمع فيزداد ثقافة وعلماً وتبصراً بالأمور ويزداد شغفه للعلم وأهله. يقول ياقوت: "إن الجاحظ أخذ النحو عن الأخفش وأخذ الكلام عن النظام، وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد"[4].

ولقد أدت سوق المربد رسالة مميزة في خدمة التراث ونقله إلى الأجيال التالية، وشحذ عقول الأدباء بما كان فيها من مناظرات ومجادلات بين الفرقاء من الشعراء والأدباء، حتى قال

---

[1] الغالي بلقاسم، (1999)، الجانب الاعتزالي عند الجاحظ، ط1، دار ابن حزم: بيروت، ص70.
[2] عبد الحميد العلوجي، (1965)، المواسم الأدبية عند العرب، ط1، ص 29.
[3] أحمد أمين، (1932)، المربد، مجلة الرسالة في العدد 15، عكاظ.
[4] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 6، ص56.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحدهم في المربد: "عليكم بالمربد فإنه يطرد الفِكَر ويجلو البصر ويجلب الخبر ويجمع بين ربيعة ومضر"[1]. فهذه السوق أسست القواعد والأركان الأساسية التي تعد الانطلاقة للبناء الشامخ الذي أنار السبيل وأصبح منارة تقتدي بها قوافل الأدباء والمهتمين بالنتاج الأدبي واللغوي[2].

كما كان يخرج إليه اللغويون يأخذون اللغة عن أهله، ويدونون ما يسمعون. وكان هذا بعد أن فشا اللحن بين الموالي الذين دخلوا في الإسلام وأفسدوا على العرب الخالصة لغتهم[3].

ومنهم الجاحظ فقد ترك المربد في ثقافته علامة فارقة وآثاراً واضحة وبصمات لا تمحى. ودليلنا على ذلك أشعار البادية التي استشهد بها في كتبه وتجارب أهلها وخبراتهم و التي تبدو واضحة جلية في مصنفاته[4].

دكاكين الوراقين

ودور الوراقة هي الأساس الثالث الذي كان له الدعامة الكبرى في بناء ثقافة الجاحظ.

الوراقة كان لها أثر كبير في ثقافة المجتمع العباسي، ذلك أنها تخلد مآثر الأمم ومحاسنهم وأدبهم وتجمع من صنوف العلم ما لا يستطيع أحد جمعه إلا في دور الكتب والوراقة.

لعب الوراقون دوراً مهماً في حياة الفكر العربي الإسلامي عن طريق نشر الكتب وتوفيرها للقراء، فضلاً عن كون أسواقهم وحوانيتهم أصبحت مركزاً للمناظرات والمذاكرات والتعارف بين أهل العلم والأدب وطلابه[5].

وكان لظهور الورق والوراقين الأثر الكبير على شكل الحياة الثقافية في العصر العباسي من انتشار حركة الترجمة وازدياد المؤلفات وانتشارها وظهور المكتبات.

كما أن ظهور الحوانيت ومحال الوراقة كان مظهراً من مظاهر الحياة الثقافية في بغداد. وعلى الترغيب في الذهاب إلى سوق الوراقين والتردد عليه والجلوس فيه للمطالعة وسماع المناظرات الأدبية والعلمية ،قال أحدهم يوصي بنيه:يا بنيّ لا تقوموا في الأسواق إلا على زرّاد (أي بائع سلاح) أو ورّاق.

---

[1] الجاحظ،(1960)، البيان والتبيين، ط 2، ج 1، ص 345، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى: بغداد، ج1، ص 345.

[2] الفالح، حسن، (1995)، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام حتى نهاية القرن الثالث وأثرها في إثراء اللغة والأدب والأساطير.

[3] أحمد أمين، (1933)، عكاظ والمربد، مجلة الرسالة، العدد 16، ص 22.

[4] الغالي، الجانب الاعتزالي عند الجاحظ، ص 71.

[5] فهد، بدري محمد، صناعة الكتاب ، ص97.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما قيل في ذلك من شعر:

مجالس السوق مذمومـــــة ومنـــها مجالــس تحتســب

فلا تقربن غير سوق الجياد وسوق السلاح وسوق الكتب

فهاتيـــــك آلة أهل الوغى وهاتيـــــك آلة أهــل الأدب[1]

وقد كانت حوانيت الوراقين وأسواقهم أماكن ثقافة يرتادها العلماء والأدباء والفضلاء يتذاكرون فيها الحوادث ويتناشدون الأشعار ويتجادلون ويتساجلون ويبحثون آخر الأخبار الأدبية.

وقد وصفت حوانيت الوراقين بأنها أبرز الأماكن التي أرست دعائم الحركة الثقافية وكانت مقصد طلاب العلم والمعرفة، فقد كانت هذه الحوانيت منبعاً غزيراً للثقافة ومجالاً للمناظرات الأدبية والحوار العلمي، يؤمها المثقفون والأدباء ويتخذونها منتدى لهم وملتقى لاجتماعاتهم ومكاناً لعرض أبحاثهم وإقامة مناظراتهم، ثم تحولت هذه الحوانيت شيئاً فشيئاً لتصبح مقصداً لكل من يريد علماً أو يهوى أدباً، وذكر الجاحظ أنه "كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر"[2].

وممّا لاشك فيه أن دكاكين الوراقين التي كان يكتريها الجاحظ كان لها أكبر الأثر في مؤلفاته وثقافته، وقد شغف الجاحظ بدكاكين الوراقين وما يجري فيها من مناظرات أدبية وحوادث علمية، واطلع فيها على الكتب المترجمة ككتاب "الحيوان" لأرسطو، وقد أفاد منه عندما وضع كتابه "الحيوان "،وقد نقلت هذه الكتب للجاحظ ثقافات الأمم الأخرى فاستوعبها وفهمها ونقدها.

وهكذا عاش الجاحظ بداياته العلمية في دور الوراقين، يأخذ منها شتى أنواع العلوم ويقرأ كل كتاب كان يقع تحت يده فقال فيه أبو عباس محمد بن يزيد النحوي :"كان إذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله إلى آخره أيَّ كتاب كان "[3].

---

[1] قارئ لطف الله، الوراقة والوراقون، ص22.

[2] الحموي، معجم الأدباء، ج 6، ص 53.

[3] محمد بن إسحاق، النديم، الفهرست، ص 208، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة: بيروت، ص 28.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وضع الجاحظ رسالة في مدح الوراقين ورسالة في ذمهم[1]وقد كان للجاحظ وراقان متخصصان في نسخ كتبه وبيعها وهما: زكريا بن يحيى بن سلمان ويكنّى أبو يحيى[2] وعبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن أبي حية، أبو القاسم[3].

أساتذته

1- إبراهيم بن سيّار النّظام (ت 231 هـــ)

ولد ونشأ في البصرة وهو معتزلي من الطبقة السادسة وقد أثر في المعتزلة تأثيراً بالغاً، وقال تلميذه الجاحظ متحدثاً عن هذا التأثير: "إنه أنهج لهم سبلاً وفتق لهم أموراً واختصر لهم أبواباً ظهرت فيها المنفعة وشملتهم بها النعمة[4].

ومن كلام الجاحظ عن أستاذه النظّام نستطيع أن نأخذ تصوراً عن فكر أستاذه وأثره في المعتزلة، وفي فكر الجاحظ، فعنه أخذ علم الكلام.

ومما عرف عن النظام في فصاحته وبلاغته وسرعة جوابه، أنه جاء وهو حدث إلى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يوماً يمتحنه، وفي يده قدح زجاج: يا بني صف لي هذه الزجاجة، فقال أبمدح أم بذم؟ قال :بمدح، قال: نعم، تريك القذى، ولا تقبل الأذى، ولا تستر ما وراء؟ قال: فذمها، قال: سريع كسرها، بطيء جبرها، قال فصف هذه النخلة، وأومأ إلى نخلة داره فقال، أبمدح أم بذم؟ قال: بمدح، قال: هي حلو مجتناها، باسق منتهاها، ناضر أعلاها، قال فذمها، قال: هي صعبة المرتقى، بعيدة المجتنى، محفوفة بالأذى، فقال الخليل يا بني: نحن إلى التعلم منك أحوج[5].

ويقول عنه المرتضى: "وهذه بلاغة من النظام حسنة لأن البلاغة هي وصف الشيء ذماً أو مدحاً بأقصى ما يقال فيه"[6].

ومن هذه القصة وأشباهها يظهر تأثر الجاحظ بأستاذه النظام في الحديث عن الشيء مدحاً و ذماً. فغدت هذه الطريقة ظاهرة عند الجاحظ فيما بعد تسمى بظاهرة تحسين الشيء وتقبيحه، أو الأضداد.

---

[1] قارئ لطف الله، الوراقة والوراقون، ص211.
[2] المصدر نفسه، ص 209.
[3] تاريخ مدينة السلام، ج 12، ص287.
[4] الجاحظ، أبو عثمان ابن بحر، (1969)، الحيوان، ط3، المجتمع العلمي العربي الإسلامي: بيروت، ص 69.
[5] الأمالي للمرتضى، ج ص 189.
[6] المصدر نفسه، ص 189 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجاحظ معجب بآراء النظام وأفكاره أشد الإعجاب فقد أثنى عليه وذكره كثيراً في كتبه وخصوصاً في كتاب "الحيوان" [1].

2- أبو الهذيل العلاف (235 هـ)

هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول، مولى عبد القيس وسمي بالعلاف لأن داره بالبصرة كانت بالعلافين[2]. ولد سنة 135هـ ونشأ بالبصرة .

ولقد امتاز الهذيل بحدة ذكائه وقوة جدله وسعة ثقافته منذ صغره، وكان مرجعه الأول في هذا هو القرآن الكريم. وروي عنه الكثير من الحوادث في الجدل وانتصاره على خصومه.

ومن تلك المواقف أنه جادل مجوسياً يقول: إنّ النار بنت الله والبقر ملائكته والماء نوره والجوع والعطش فقر الشيطان وإنّ الذي يحمل الأرض بهمن من الملك، فيقول أبو الهذيل في تهكم: فما في الدنيا شر من المجوس أخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها إلى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على رأس بهمن أعز ملائكة الله[3]. فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه.

ولعل الجاحظ تعلم الرد على المخالفين في الدين ومناظرتهم من مثل هذه المواقف التي رويت عن أساتذته وشهدها بنفسه.

ولم يكن للعلاف منهج يسير عليه في كتبه لكن عرف عنه انتقاله من فكرة إلى أخرى ومن موضوع إلى آخر. وهذه الطريقة أصبحت أسلوباً عند الجاحظ يعرف بالاستطراد.

المعتزلة وأثرها في ظاهرة الأضداد:

يسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية.

توجد عدة اتجاهات تشير إلى نشأة المعتزلة لكننا نرجح أصل نشأة المعتزلة إلى الخلاف الذي جرى بين واصل بن عطاء وأستاذه الحسن البصري حول مرتكب الكبيرة.

مبادئ المعتزلة:

وقامت المعتزلة على مبادئ خمسة رئيسية وهي:

1- التوحيد.

2- العدل.

3- الوعد والوعيد.

---

[1] الغالي، الجانب الاعتزالي عند الجاحظ، ص59.
[2] ابن المرتضى، المنية والأمل، ص44.
[3] الأمالي، المرتضى، ج1، ص 181.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4-المنزلة بين المنزلتين.

5-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عرف المعتزلة بأنهم أصحاب الفكر، فقد استطاعوا بثقافتهم الواسعة أن يقوموا بسد الفجوة بين الثقافة الإسلامية والثقافة اليونانية، أي ما بين الدين والفلسفة، وقربوا بينهما حتى أمكن تلقي المسلمين في ذلك الوقت الدين والفلسفة على صعيد واحد.

لقد قام المعتزلة بما لم يستطع أحد من قبلهم القيام به من أهل السنة تحديداً، حيث أخرجوا الثقافة العربية الإسلامية من عزلتها، فاستطاعوا أن يعرضوا قضايا الدين في صورة مقبولة لدى المثقفين من غير العرب والمسلمين، ووقفوا في وجه الملحدين وأصحاب العقائد الفاسدة وقفة قوية مستخدمين السلاح نفسه الذي يستخدمه أعداء الإسلام ضده وهو العقل والمنطق السديد والحجة الدافعة. وتصدوا بحماسة للدفاع عن الدين وحمايته من ذلك الصراع الديني الذي احتدم منذ استقرار حركة الفتح وامتزاج المسلمين بغيرهم من أهل الديانات والعقائد الأخرى، فهم الذين قاوموا المسيحية واليهودية والمجوسية وحركات الزندقة والإلحاد معتمدين على ثقافتهم العميقة ومعرفتهم الواسعة في فنون الجدل والمناظرة مستندين على احترام العقل واعتباره أساساً في مناقشاتهم الدينية[1].

وإعلاء المعتزلة من شأن العقل كان له أثر كبير في التفكير الإسلامي، فدعموا الحركة العقلية، وظهر اتجاه فكري يقدر حرية العقل والفكر.

الجاحظ وأثر المعتزلة في أدبه:

كان الجاحظ أحد أئمة المعتزلة وشيخاً من شيوخهم وعلماً من أعلامهم ويعد من الطبقة السابعة من المعتزلة [2].

فتلقى هذا العلم من شيخه أبي إسحاق النظام، فكان معجباً به أشد الإعجاب، وسار على طريقته بإيراد الحجج وأخذ العلم عن ثمامة بن أشرس وبشر بن معتمر.

وكانت آراء المعتزلة مستمدة من القرآن وأصول الشريعة ومدعمة بمذاهب الفلاسفة. وإذا رأوا تعارضاً بين الدين والفلسفة اجتهدوا للتوفيق بينهما.

ولما كان الدفاع عن الدين وغاياته يحتل النصيب الأكبر في فكر المعتزلة، فقد ضمنوه مؤلفاتهم الدينية، فوقفوا مدافعين عن الدين مناظرين لأهل المذاهب ومخالفين لأصحاب الديانات والملل الأخرى. بما اشتهروا به من قوة الحجة وسداد المنطق وبراعة الدليل إلا أنهم لم

---

[1] بلبع، عبد الحكيم، (1959)، أدب المعتزلة، ط 1، مكتبة نهضة مصر: القاهرة، ص 171-172.

[1] خفاجي، محمد، أبو عثمان الجاحظ، (1973)، ط 1، دار الكتاب اللبناني: بيروت، ص 145.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينصرفوا انصرافاً تاماً عن الموضوعات العادية في نشاطهم الأدبي وبذلك لم ينعزلوا انعزالاً كاملاً عن الحياة الاجتماعية.

كما ضمنوا هذا المنهج الذي اعتمدوه كتبهم الأدبية الأخرى كالبخلاء والبيان والتبيين والحيوان للجاحظ، وفي هذه الكتب يظهر الجانب الاعتزالي الكلامي جلياً بما تبرزه من مدح لشخصيات اعتزالية ورفض لمواقف أخرى مخالفة. كما يظهر في هذه الكتب الأدبية المناظرات والحجج والأدلة العقلية. كما ظهر في كتبهم الدينية المدافعة عن الدين.

الجانب الاعتزالي في البيان والتبيين:

هو كتاب في الأدب من أواخر ما ألف الجاحظ وقد أهداه إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد.

وضع الجاحظ هذا الكتاب في البيان والبلاغة، وتناول في حديثه جملة من المواقف والقصص والأخبار التي استحسنها؛ حيث يظهر بها بلاغة خطباء العرب رداً بذلك على الشعوبية التي طعنت بتلك البلاغة وعرض فيها ضروباً من عيوب اللغة.

وتظهر في هذا الكتاب ثقافة الجاحظ الموسوعية وعلمه الغزير ومعرفته بعلم الكلام وكيفية إقامة الحجج والبراهين والأدلة، كما يظهر في كتب المعتزلة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

كما يظهر فيه قوة عقله ومرونة ذهنه ومقدرته على تفتيق المعاني والتصرف في وجوه الكلام على الصورة التي يريدها. فهو إن شاء عظم الصغير حتى يعظم وإن شاء صغر العظيم حتى يصغر[1].

الجانب الاعتزالي في كتاب الحيوان

وضع الجاحظ كتاب الحيوان على الطريقة المنهجية المعتمدة للمعتزلة، فهو موسوعة كلامية قصد من خلالها بيان وحدة الكون ووصف طبائع الحيوان وأنواعه وخصائصه، مراوحاً مرة بالجد والمادة العلمية ومرة بالهزل والفكاهة مجنباً قارئه الملل.

وأقام الجاحظ بعض فصول كتاب "الحيوان" على طريقة المتكلمين. وهذا يتضح في المناظرة التي تقوم بين صاحب الكلب وصاحب الديك فيسوق الأدلة سوقاً ويرد عليها وذلك بأسلوب جميل ومنطقي.

---

[1] بلبع، أدب المعتزلة، ص247.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علم الكلام وأثره في الثقافة العربية:

تعريفه:

وقفت على أكثر من تعريف لعلم الكلام لكن مضمون هذه التعريفات يدور في نفس المحور وقد ذكرت منها:

1- الإمام الغزالي يعرفه بقوله: علم الكلام مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن التشويش. فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله[1].

2- عرفه الجرجاني بأنه: علم يبحث فيه عن ذات الله وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ أو المعاد على قانون الإسلام والقيد الأخير لإخراج العلم الإلهي للفلاسفة وفي اصطلاح النحويين هو المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام[2].

3- أما ابن خلدون فقد عرفه في مقدمته بأنه العلم الذي يتضمن الحجاج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة[3].

وقد كان الاختلاط بين الأجناس والثقافات المتعددة والبيئات المتفاوتة في الحاضرة العباسية سبباً في بروز ظاهرة عرفت بالشعوبية " وهي تعني تعصب كل شعب لقوميته وحضارته ضد العرب"[4].

وهي التي نتجت عن تعدد الشعوب التي ضمها المجتمع العباسي، فقد حاولت هذه الشعوب إثبات قدراتها الفكرية وبيان تفوقها على العرب في الأدب والخطابة والقتال وحتى في الذكاء ورجاحة الرأي.

وقد تولد هذا البغض ضد العرب لأنهم فتحوا بلادهم ونشروا الإسلام فيها.

فكان أن بدؤوا يستعيدون بعض مبادئ أديانهم ومللهم التي كانوا عليها قبل دخولهم الإسلام، وأخذوا يحلونها محل مبادئ الدين الإسلامي مظهرين بذلك مهارتهم في الجدل وقدرتهم على المناظرة وتوليد الحجج وسوق البراهين، مستندين إلى الأدلة العقلية مستعينين بالفلسفة اليونانية ذاتها ليضحدوا الحجة بالحجة ويدفعوا الدليل بالدليل ، مظهرين قدرتهم في الدفاع عن

---

[1] الغزالي، المنقذ من الضلال، (1962)، ط 3، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، ص 132.
[2] الجرجاني، (1985)، التعريفات، ط جديدة، مكتبة لبنان: بيروت، ص 194.
[3] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط3، دار النهضة: القاهرة - مصر، ج 3، ص 9.
[4] أبو ملحم علي، (1994)، المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، ط 3، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ص 41.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدين عن طريق الكلام" ولا يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام متمكنا في الصناعة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة"[1].

وقد تصدر المعتزلة هذه الفرق المدافعة عن الدين بسلاح الكلام، حتى سمي هذا العصر" عصر الاعتزال، والذي صبغ العقول بصبغة فلسفية ومرنها تمريناً واسعاً على دقة التعليل والمهارة في الاستنباط لخفيات المعاني ودقائقها والبراعة في تفريعها وتشعيبها وتوليدها مع القياس الناصع والبرهان الساطع" [2].

وكما كان للشعوبية أثرها السلبي على المجتمع الإسلامي من جهة كان لها أيضاً أثرٌ إيجابيٌ تمثل في إعلاء شأن العقل العربي والرقي به إلى مستويات عليا، وتوليد وتفتيق معان جديدة أتاحها لهم علم الكلام والفلسفة اليونانية ، فانتقلوا بأدلتهم واستنباطهم من جانب الدفاع عن الدين إلى الجانب الأدبي ، فامتلأت كتبهم الأدبية بالأدلة العقلية والمناظرات والحجج والبراهين، وبرزت لديهم ظاهرة تقبيح الحسن و تحسين القبيح و أفضل من يمثل هذه الفئة من الأدباء الجاحظ، الذي كان مرآة لمجتمعه عكست انصهار الثقافات وتنوعها على شخصيته وفكره ونتاجه الأدبي.

فمن كتبه التي ظهر فيها تقبيح الحسن وتحسين القبيح:

كتاب النبي والمتنبي، كتاب الشارب والمشروب، كتاب الفخر ما بين عبد شمس ومخزوم، كتاب فخر القحطانية والعدنانية، كتاب السودان والبيضان، كتاب التسوية بين العرب والعجم، كتاب الناشي والمتلاشي، كتاب المزاح والجد، كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب، كتاب البيان والتبيين، كتاب سلوة الحرّيف في مناظرة الربيع والخريف [3]. كتاب افتخار الشتاء والصيف، كتاب الحاسد والمحسود، كتاب الكبر المستحسن والمستقبح، كتاب رسالته في مدح النبيذ، كتاب رسالته في ذم النبيذ، كتاب رسالته في مدح الكتّاب، كتاب رسالته في ذم الكتّاب، كتاب رسالته في مدح الورّاق، كتاب رسالته في ذم الورّاق، كتاب العالم والجاهل، كتاب المحاسن والأضداد[4].

وقد بلغت قدرة الجاحظ في تحسين القبيح، وتقبيح الحسن، أو الحديث عن الشيء وضده درجة كبيرة، حتى إنه قد اشتهر بهذا اللون الأدبي، فقد " قال أبو محمد: ثم نصير إلى الجاحظ وهو آخر المتكلمين والمعاير على المتقدمين، وأحسنهم للحجة استشارة وأشدهم تلطفاً لتعظيم

---

[1] الجاحظ، الحيوان، ج2، ص 134.
[2] ضيف، شوقي، (1996)، العصر العباسي الأول، ط 14، دار المعارف: القاهرة، ص 133.
[3] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 6، ص 77،78؛ الفهرست للنديم، ج5، ص 802، 803.
[4] المصدر نفسه، ص 77، 78.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصغير حتى يعظم، وتصغير العظيم حتى يصغر، ويبلغ به الاقتدار إلى أن يعمل الشيء ونقيضه"[1].

حتى إنه وضع كتاباً خصه بالحديث عن الشيء وضده هو "المحاسن والأضداد" أشار إليه ابن النديم في الفهرست، حيث ذكر في ترجمته للجاحظ خمسة وسبعين مصنفاً، كان ذكره للمحاسن والأضداد في الترتيب السابع والخمسين.

"إن الأدباء العباسيين لم يكتفوا بالتأثر بهذه الظاهرة بل توسعوا في هذا الاتجاه بتأثير مناظرات المتكلمين وما داخلها من سفسطة بحيث أصبح هذا التحسين والتقبيح نمطاً من أنماط التفكير العباسي وبحيث عم كل شيء مما هيّأ فيما بعد هذا العصر لظهور كتب المحاسن والمساوئ"[2].

وأشهر هذه الكتب كتاب "المحاسن والأضداد" للجاحظ وكتاب "المحاسن والمساوئ" للبيهقي، وهما اللذان تقوم عليهما هذه الأطروحة.

وقد أشرنا إلى ترجمة وافية عن الجاحظ وحياته في بداية هذا الفصل وأما البيهقي فقد أغفلت كتب التراجم ذكره. وقد عدت إلى تاريخ البياهقة وتراجم كتب الشيعة، فلم أجد له ذكراً.

وقد ورد اسمه في مقدمة كتابه "المحاسن والمساوئ" هو: إبراهيم بن محمد البيهقي، أحد علماء المسلمين و أدبائهم، و كل ما ذكر عنه في فهرست دار الكتب المصرية أنه من علماء القرن الخامس الهجري في حين تذكر مقدمة الطبعة الأوروبية أنه عاش ونبغ في عهد خلافة المقتدر العباسي (295ه- 320هـ)، (908م – 932م) وأنه صاحب كتاب المحاسن والمساوئ[3].

وورد في نسخ حققها العالم الألماني (فريدرك شفاللي): " تحفة الفقير إلى عفو ربه إبراهيم بن مبارك بن سليمان، هذا كتاب المحاسن والمساوئ لمولانا وعمدتنا شيخ الإسلام وعمدة العلماء الأعلام، البحر الهمام، سيدي الشيخ إبراهيم بن محمد البيهقي تغمده الله برحمته"[4].

والجدير بالذكر أن الزركلي ذكر في كتابه "الأعلام" في ترجمة علي بن زيد البيهقي "وهو غير البيهقي المحدث، والبيهقي الأديب" ولعله قصد بالبيهقي الأديب مؤلف كتاب "المحاسن والمساوئ".

---

[1] ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص 111.
[2] د. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 463.
[3] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 4.
[4] المصدر نفسه، ص 4.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن تاريخ حياته مذكور من (295 هـ – 320هـ) لا يعطينا أي إشارة إلى تاريخ ولادته أو وفاته.

ومن الغريب أن كتب التراجم والأعلام قد أغفلت ذكر هذا المؤلف مع هذا الكتاب المشهور وفوائده.

وقد اختلف في نسبة الكتابين هل هما للبيهقي أم أن "المحاسن والأضداد" للجاحظ و"المحاسن والمساوئ" للبيهقي وقد وضعه متأثراً بكتاب الجاحظ .

وبعد أن نظرت في الكتابين وجدت تشابهاً كبيراً في المواضيع والأبواب وطريقة طرحها، إلا أني وجدت مواضيع وأبوابا قد انفرد بها كل أديب عن صاحبه، وللوقوف على ما يميز كل كتاب، ارتأيت تقسيم المواضيع إلى مؤتلف ومختلف، وعلى هذا التقسيم تكون دراسة الكتابين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراجع الفصل الأول

عبد الحميد العلوجي، أيام المربد، ص7.

أحمد أمين، (1933)،عكتظ، المربد، مجلة الرسالة، العدد15.

حسن الفالح، (1995)، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام حتى نهاية القرن الثالث وأثرها في إثراء اللغة والأدب والأساطير.

أحمد أمين، (1933)، عكاظ والمربد، مجلة الرسالة، العدد 16، ص22.

أبو الهذيل العلاف،علي الغرابي، ص14.

أبو عثمان الجاحظ، محمد خفاجي، ص145،147.

عبد الحكيم بلبع، أدب المعتزلة، ص114،137،172،171،247.

الأعلام ج5، ص74،471.

المرتضى، الأمالي ج1، ص189،187،188، ص181،114،115،116.

الانتصار، الخياط، ص12،145.

الجاحظ، البيان والتبيين، ج1،ص345.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ص371،372.

تاريخ مدينة السلام ،ج12، ص287.

ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص 111.

باب الكاف، التعريفات، الجرحاني، ص194.

شارل بلات، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ص92.

خليل مردم،الجاحظ، ص10.

بلقاسم الغالي، الجانب الاعتزالي عند الجاحظ، ص70، ص71،59،96،101،107.

الحيوان، ج4، ص69،229،206، ج1-ص26،33،ج3-ص268، ج 2 ص 34

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية،الغزالي، ص137.

سير أعلام النبلاء، ج11،ص526، 527.

بدري فهد، صناعة الكتاب، ص22،ص97.

ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج3،ص9.

العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، ص 133، 463.

سعد الدين التفتازاني، العقائد النسفية، ص118.

أحمد أمين، فجر الإسلام، ص383.

الفرق بين الفرق ص45، ص68،115،116.

ابن حزم، الفصل، ج4،ص63.

النديم، كتاب الفهرست ص208، 209،211. ج 5، ص 802، 803.

البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 4.

الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج1،ص36.

معجم الأدباء، ج6، ص52، 53، 54،63، 75، ص81، ص82، ص56، ص62، ص 77، 78

مقدمة ابن خلدون، ج3، ص1069.

الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1، ص 43، 155، ص 55، 68، 69.

علي أبو ملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص 41.

الغزالي، المنقذ من الضلال، ص132،134.

المنية والأمل، ص48، ص44، 102، 174.

عبد الحميد العلوجي، المواسم الأدبية عند العرب، ص 92،ص 30.

الوراقة والوراقون، لطف الله قاري، ص22.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيات الأعيان، ج3، ص470، 471، 473، 474.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

عرض الكتابين وتقسيمهما إلى مؤتلف ومختلف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

عرض الكتابين وتقسيمهما إلى مؤتلف ومختلف

جدول رقم 1

المؤتلف في كتابي المحاسن والأضداد والمحاسن والمساوئ:

الرقم	الجاحظ	البيهقي	
1	محاسن المخاطبات وضده	محاسن المخاطبات/ مساوئ المخاطبات	
2	محاسن المكاتبات وضده	محاسن المكاتبات/ مساوئ المكاتبات	
3	محاسن الجواب وضده	محاسن الجواب/ مساوئ الجواب	
4	محاسن حفظ اللسان وضده	محاسن حفظ اللسان/ مساوئ جناية اللسان	
5	محاسن المشورة وضده	محاسن المشورة/ مساوئ من يستشير	
6	محاسن الشكر وضده	محاسن الشكر/ مساوئ الشكر	
7	محاسن الصدق وضده	محاسن الصدق/ مساوئ الكذب	
8	محاسن الصبر على الحبس وضده	محاسن الحبس/ مساوئ من سخط عليه وحبس	
9	محاسن الولايات وضده	محاسن الولايات/ مساوئ الولايات	
10	محاسن الصحبة وضده	محاسن كرم الصحبة/ مساوئ الصحبة	
11	محاسن الوفاء وضده	محاسن الوفاء/ مساوئ قلة الوفاء والسعاية	
12	محاسن حب الوطن وضده	محاسن الحنين إلى الوطن/ ذكر من اختار الوطن على الثروة/ مساوئ من كره الوطن/ محاسن الدعاء للمسافر/ مساوئ الدعاء للمسافر	
13	محاسن الدهاء والحيل وضده	محاسن الدهاء والحيل/ مساوئ العي وضعف العقل/ مساوئ الحمقى	
14	محاسن الثقة بالله سبحانه وضده	محاسن الثقة بالله عز وجل/ مساوئ الثقة	
15	محاسن طلب الرزق وضده	محاسن طلب الرزق/ مساوئ طلب الرزق	
16	محاسن المواعظ وضده	محاسن المواعظ/ مساوئ المواعظ	
17	محاسن العفو وضده	محاسن العفو/ مساوئ تعدي السلطان	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

18	محاسن الزهد وضده	محاسن الورع/ مساوئ من لم يتورع	
19	محاسن فضل الدنيا (محاسن صفة الدنيا) و ضده		
20	محاسن السخاء/ مساوئ البخل	محاسن السخاء/ محاسن صلات الشعراء مساوئ البخل/ مساوئ منع الشعراء والبخل	
21	محاسن المودة (محاسن الإخوان)	ضده (مساوئ الإخوان)	
22	محاسن الشجاعة/ محاسن الشدة	ضده/ (محاسن الجبن)	
23	محاسن المفاخرة وضده	محاسن المفاخرة/ محاسن كلام الحسن/ محاسن كلام عبد الله بن العباس/ محاسن كلام غانمة بنت غانم في شرف بني هاشم وفخرهم/ محاسن الافتخار بالنبي – صلى الله عليه وسلم - /محاسن ما قيل في ذلك من الشعر / محاسن مجالس أبي العباس السفاح في المفاخرة/ ضده/ مساوئ الافتخار/ مساوئ أصحاب الصناعات.	
24	محاسن التطير وضده	محاسن ترك التطير/ محاسن الفأل والزجر/ مساوئ الفأل/ محاسن الشعر في هذا الفن.	
25	محاسن الكتابة والكتب وضده	محاسن الكتب.	
26	محاسن كتمان السر وضده	محاسن كتمان السر.	

ولكي تكون الفكرة التي طُرحت في الموضوع أشد وضوحاً في الأذهان قام الباحث بالإشارة إلى بعض المواضيع التي وردت في كتاب المحاسن والأضداد وربطها مع مواضيع تشبهها بالطرح والفكرة في كتب الجاحظ الأخرى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تعذّر هذا في كتاب المحاسن والمساوئ لعدم وجود كتب أخرى للبيهقي ، إلا أن الباحث حاول ربط بعض الأفكار داخل الكتابين بعضها ببعض ، سواء كان ذلك بين الكتابين أو الكتاب الواحد في المواضيع المطروحة.

- **محاسن المخاطبات**:

يتفق الجاحظ و البيهقي في حسن المخاطبات في عدد من القصص والأخبار التي تدور حول الخلفاء والأمراء ولم تتعد غيرهما وما قصداه من حسن المخاطبة والإجادة في الرد على الخليفة أو الأمير ببلاغة وفصاحة وإيجاز، فيكون لمن أجاد حسن الخطاب نيل عطاء المعطي، و الرضا والقبول، أو العفو عنه إن كان من المذنبين. من غير إراقة ماء وجه الطالب فهو يستطيع الحصول على ما يريد ، زيادة بحسن خطابه.

وقد كانت معظم الإجابات التي مرت في القصص تهدف إلى نصيحة الخليفة و مدحه و الثناء عليه في الأمور الدنيوية، إلا قصة وردت عند البيهقي و لم ترد عند الجاحظ كانت تحث الخليفة على أجره في الآخرة وهي قصة شبيب بن شيبة مع المهدي حيث قال: (يا أمير المؤمنين إن الله جل وعز، حين قسم الدنيا لم يرض لك إلا بأرفعها و أشرفها. فلا ترض لنفسك من الآخرة إلا بمثل ما رضي لك الدنيا و أوصيك يا أمير المؤمنين بتقوى الله، فإنها عليكم نزلت و منكم قبلت و إليكم ترد)[1].

ونلحظ تبدلا في مسار الكتابة و القصد منها، وسأشير إليه كلما وقفت على هذا التبدل فالجاحظ أديبا يهدف إلى تصوير الواقع بكل دقائقه دون تغيير أو تبديل و تسجيل القصص و الأخبار التي وصلت إليه بكل أمانة.

والبيهقي مؤدبا يقصد من الكتابة الإصلاح والتوجيه، وما فيه الخير في الدنيا والآخرة. ومن هنا وردت قصة شبيب بن شيبة التي أشرت إليها.

وأما في نهاية هذا الموضوع فيورد الجاحظ نصيحة للقارئ يسدد بها طريقه ، فيذكر له عددا من الأقوال والحكم وأبيات الشعر التي تشير إلى فضل التعلم، لا سيما إن كان قد تلقى العلم في الصغر.

---

[1] إبراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوئ، صفحة 318.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وضّح الجاحظ عددا من الآراء في كتابة (البيان والتبيين) حيث يشير إلى حسن الخطاب. (وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه)[1] (وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجع)[2]

ضده (مساوئ المخاطبات):

لا يختلف الجاحظ والبيهقي في ضد محاسن المخاطبات أو مساوئها في كل القصص والأخبار التي وردت. وقد قصدا منها مساوئ التوعر والتشدق بالكلام والإتيان بغريب الألفاظ، في حين يستطيع هذا المتوعر في الكلام أن يوصل حاجته بسهولة ويسر.

- محاسن المكاتبات:

وبعد أن انتهى الجاحظ و البيهقي من حسن المخاطبات وهو الكلام بالإيجاز في المعنى الفصيح والبليغ. انتقل الجاحظ إلى الإيجاز والبلاغة في المكاتبات، فيذكر أن عددا من القصص والأخبار وما آلت إليه هذه القصص بحسن المكاتبة ووضوح الفكرة، ولا سيما مكاتبات عمرو بن مسعدة، التي امتازت بالاختصار الشديد مع وضوح الفكرة.

وأما البيهقي فقد أورد قصصا وأخبارا أكثر مما وضعه الجاحظ، و كانت تدور معظمها حول مواضيع دينية مثل: تقوى الله والاهتمام بالمساجد، وأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ضده (مساوئ المكاتبات):

ابتدأ الجاحظ والبيهقي هذا الموضوع بعبارة " قال الجاحظ" وقد كانت مساوئ المكاتبات عند الجاحظ والبيهقي قصيرة وقد عرض البيهقي للأخطاء التي تقع من الكاتب دون وعي منه. فأورد البيهقي قصصا أكثر مما أورد الجاحظ فكانت الفكرة عنده أوضح وأقرب للقارئ.

محاسن الجواب:

وأما عن محاسن الجواب فهو سرعة البديهة بالإجابة التامة والمتخيرة للفظها و معناها. أوردا قصصا كانت فيها البديهة الحاضرة و حسن الإجابة. وكل هذه القصص تدور حول حسن الجواب مع الخلفاء و الملوك.

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين ج ،1 ص 83.
[2] المصدر نفسه، ص 75.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكدأب البيهقي في جميع مواضيعه التي أوردها، فقد أكثر من الأخبار التي تقع في هذا الموضوع.

- ضده مساوئ الجواب:

أورد الجاحظ والبيهقي في موضوع مساوئ الجواب عددا من الأخبار التي كان بها مساوئ الجواب نثرا أو شعرا.

فجاءت القصص متنوعة في طريقة العرض، وما قصد إليه الأديبان فمنهم من يسوء جوابه بتغيره من الرضى إلى الغضب، ومنهم من لديه القدرة على تحويل المعاني وتوليد الألفاظ وآخر كان سوء جوابه من شدة فصاحته وقوة بلاغته.

- محاسن حفظ اللسان:

ولما انتهى الجاحظ من مساوئ الجواب وما يقع به صاحبه من زلل، عمد إلى محاسن حفظ اللسان كي يكون الموضوع جليا في الأذهان، وقبل الشروع بأية قصة أورد الجاحظ والبيهقي عددا من الأقوال المأثورة، والحكم التي تدل على محاسن حفظ اللسان، وأن حفظ اللسان يورث السلامة.

ومن تلك الأقوال أقوال الملوك: "كسرى، قيصر، ملك الهند وملك الصين"، وهم ملوك يرون في حفظ اللسان خيرا كثيرا، وهم على ما هم عليه من مكانة عالية، فما بالك بعامة الأمة. وهذه الأقوال تدل على ثقافة واسعة واطلاع على أدب الأمم الأخرى.

وأما قصة سقراط عند الجاحظ، فتدعو إلى الاختصار في الكلام والتكلم بقدر الحاجة،

وأما قصة سلمة بن القاسم عن الزبير، فقد وردت لما فيها من شعر يخدم هذا الموضوع.

وقد أورد البيهقي قصة أسندها للجاحظ وهي قصة شهرام المروزي مع أبي مسلم، وقد وردت عند الجاحظ في ضد هذا الموضوع.

- مساوئ جناية اللسان (ضده):

يختلف طرح الجاحظ لموضوع مساوئ جناية اللسان اختلافا تاما عما تناوله طرح البيهقي، حيث لم يكن كما اعتدنا أن يرد كماً كبيرا من التشابه في طرحيهما الموضوع وضده على حد سواء، فالجاحظ يرى أن مساوئ اللسان في الصمت، ويرى الصمت حُبسة من الفصاحة وعيّاً عن الإفهام بالكلام. ورأي الجاحظ هذا قد ورد في غير مكان من كتابه (البيان والتبيين) في باب الصمت [1].

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 194.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمّا مساوئ جناية اللسان عند البيهقي، فما كان ضررا من قول القائل على نفسه أو غيره، فيعظم من جريرته حتى إنها تصل إلى القتل.

وأورد البيهقي قصة أبي العباس السفاح مع سليمان بن هاشم بن عبد الملك ، وفي هذه القصة يظهر المذهب الديني للبيهقي وهو المذهب الشيعي، وسنلحظه في غير مكان في كتاب المحاسن والمساوئ وأشير له كلما مررتُ بشيءٍ من مظاهره.

- **محاسن المشورة:**

يورد الجاحظ في هذا الباب أقوالا عديدة، وحكما متنوعة تتباين بين الاستخارة وهي مشورة الله عز وجل في أمر ما، ومشورة الإنسان لأخيه. ويقرر كيفية هذه المشورة، وأن يراعى فيها السر، وألا يفضح أخاه. ويحذر من مشاورة النساء؛ لأن مشورتهن لا تفضي إلى خير.

وقد أورد البيهقي كل ما جاء عند الجاحظ من أقوال، و أضاف إليها قصصا عن علي - رضي الله عنه - وحقه في الخلافة بعد وفاة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ .
وحادثة التحكيم بينه وبين معاوية، و ما انتهت إليه تلك المحاكمة، و هو لا ينفك يذكر مثل هذه القصص التي إن دلت على شيء، فإنما تدل على المذهب الذي يعتنقه البيهقي وقد أشرت إليه سابقا.

- **ضده (مساوئ المشورة):**

امتاز الجاحظ بقدرته على إيراد الأدلة للشيء الواحد على ضربين: الأول يحسِّن لك الموضوع حتى يبدو لك حسنا، والثاني يقبحه لك حتى يبدو لك قبيحا. وهنا في ضد المشاورة يقيم لك أدلة وحججًا يدحض قوله السابق ويقيم لك أدلة جديدة. ولا شك أن هذه الأدلة التي أقامها في ضد المشاورة تقوم على الجانب النفسي لدى القارئ، فيطلب منه الاستبداد برأيه بعد أن طلب منه أخذ المشورة من الآخرين حيث قال: "نصف عقلك مع أخيك فاستشره"[1].

وقال في ضده " فإياك وإن ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأداك الاستبهام إلى الخطأ الفادح فإن صاحبها أبدا مستذل مستضعف وعليك بالاستبداد فإن صاحبه أبدا جليل في العيون، مهيب في الصدور"[2].

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 29.
[2] المصدر نفسه، ج 1، ص 29.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **محاسن الشكر**:

للشكر في مكانه وقع خاص في النفس، إذ يزيد أواصر المحبة، و بالشكر تدوم النعم، هـذا ما أكد عليه الجاحظ و البيهقي في طرحيهما لمحاسن الشكر. ولا يكون الشكر إلا علـى حـسن صنيع، فنراهما ينكران على الشخص أن يحمد بما لم يفعل، و ينكرا كـذلك أن يتنكـر الإنـسان لشكر، إما لعزة ملك أو علو مكانة، و ينكران على المنعم طلب الشكر من المنعم عليه أو الإكثار من الشكر. و يضيف البيهقي أن الإنعام على المنعم، و إن كان لا يستحق، قد يكون بسبب تقوى من المنعم أو مخافة من الله فلا يرتجي شكره.

فقد أمرنا الله عز وجل بشكره حيث قال: اشكروني. ويتفاوت عرضاهما للموضوع بـين ذكر حوادث جرت وأحاديث شريفة و الاستشهاد بأبيات من الشعر. إلا أن البيهقي قد أكثر مـن الأخيرة في عرضه للموضوع.

ونراهما يقدمان ما ورد في التوراة على الأحاديث النبوية في هذا الموضوع، فيعرضـان قول الباهلي عن أبي فروة. وبعد هذا يعرضان حديث الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـ ومن بعده يعودان إلى قصة من التوراة، و من ثم إلى حديث نبوي آخر.

- **ضده (مساوئ الشكر)**:

يتركز عرض الجاحظ و البيهقي لمساوئ الشكر على اصطناع المعروف لغير أهله، فكما أن المعروف للكرام خير، فأيما شر هو للئام، وإن مجمل القصص التي وردت فـي اصـطناع المعروف للئام كانت قصصاً مع حيوانات كقصة الضبع التي أثارها جماعـة مـن الأعـراب، فدخلت خباء شيخ فأجارها و قتلها إياه بعد أجارته لها[1]، وقصة الأعرابي الذي أصـاب جـرو ذئب فاحتمله إلى خبائه، وقرب له شاة فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شـد علـى الشاة فقتلها [2].

وخير مثل تتداوله العرب على جزاء الإحسان بالإساءة: (حديث سـنمار) وقـد ورد فـي كتاب الحيوان للجاحظ. وقد أورد الجاحظ مجموع أبيات الشعر في باب مساوئ الشكر، و التـي كان البيهقي قد أوردها في محاسن الشكر.

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 32؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 97.
[2] المصدر نفسه، ص 32؛ المصدر نفسه، ص 98.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محاسن الصدق:

إن محاسن الصدق في الكتابين تكاد تعرض للفكرة ذاتها، فتارة يتحدثان عن محاسن الصدق، وإن كان به شر ظاهرا إلا أن الخير فيه، والكذب فيه شر باطن وإن بدا به الخير.

وبعد هذا ينتقلان في حديثهما عن الكذب الذي هو ضد الصدق، فقد يتنازل عن الصدق في حالات تقدر بقدرها منها: إرضاء الزوجة، وإصلاح البين، وفي الحرب.

- ضده (محاسن الكذب):

يعرض الجاحظ لمساوئ الكذب وجنايته على صاحبه بالأمثال و الحكم التي تبين عاقبة الكذب الوخيمة. وهذا ما أكد عليه البيهقي تحت عنوان "مَنْ ذم الكذب".و يتناول الجاحظ في الباب ذاته محاسن الكذب، وكيف أنه إن كان في موضعه قد يزيل الضرر عن صاحبه. إلا أن البيهقي أورد قصصا في باب محاسن الكذب، كان الجاحظ قد أوردها في باب محاسن الصدق، كقصة الحَجّاج بن عِلاط، وقصة الرجل الذي جاء للرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يسأله عن استسراره بأربع خلال. وأضاف قصصا مطولة عن محاسن الكذب لم نعهد مثل هذا الطول في قصص و حكايات الجاحظ.

وتتجه القصص، سواء أكانت في محاسن الصدق أم في محاسن الكذب، لتثبت أن الصدق منجاة، وأن الكذب من خوارم المروءة. لكن إن كان لا بد من الكذب فالضرورات تبيح المحظورات.

وقد تطرقا إلى فكرة أن الكذب قد يعود على صاحبه بالخير، إن كان مقرونا بحسن التدبير والدهاء والحيلة.

محاسن الصبر على الحبس(محاسن الحبس):

جاءت الفكرة في محاسن الصبر على السجن عند الجاحظ أوضح مما هي عليه عند البيهقي؛ فقصص الجاحظ تدعوك إلى الصبر كي تستطيع أن تحتمل قساوته وطول أيامه ولياليه، وقصيدة علي بن الجهم التي وردت عند الجاحظ والبيهقي في المحاسن، رسم فيها علي بن الجهم صورة للرجل الكريم إذا نزلت به مصيبة السجن، وكيف يكون صبره عليها، وأن الله هو الذي يفرج الهم، وأن هذا المكروه الذي نزل به قد يكون من ورائه خير لم يدركه بعد، في حين أورد البيهقي قصيدة عاصم بن محمد وما فيها من بؤس حال واعتراض وتضجر لما لحق به من مصيبة السجن، فكانت على النقيض من قصيدة علي بن الجهم، وكأن البيهقي يرى السجن محركا لمشاعر الشعراء. ولهذا جمع بين النقيضين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ضده:

وأما ما ورد في ضده من قصص و أخبار تدور حول البلاء الذي يلقاه المرء في سجنه، وما يلاقي فيه من الهوان و ما يكابد من الشقاء و سوء الحال. و هذا ما اتفق عليه الجاحظ والبيهقي.

فيقول عاصم بن محمد الكاتب[1]:

ما الحبس إلا بيت كل مهانة و مذلة ومكاره لا تنفد

إن زارني فيه العدو فشامت يبدي التوجع تارة و يفند

يكفيك أن الحبس بيت لا يرى أحد عليه من الخلائق يحسد

"ومما كتب يحيى بن خالد البرمكي إلى الرشيد : من عبد أسلمته عيوبه، و أوبقته ذنوبه، وخذله شقيقه، ورفضه صديقه، وزال به الزمان، ونزل به الحدثان، وحل به الضيق بعد السعة، والشقاء بعد السعادة، وعالج البؤس بعد الدعة، ولبس البلاء بعد الرخاء، وافترش السخط بعد الرضى واكتحل السهود وفقد الهجود، ساعته شهر وليلته دهر، قد عاين الموت وشارف الفوت"[2].

وقد جاء هذا الباب عند البيهقي طويلاً جدا. وقد عرض به لبعض أدوات التعذيب وحال المسجونين في الأخبار التي أوردها.

فالسجن يذل صاحب المكانة الرفيعة إن نزل به، ويلين من كانت عزيمته شديدة، فهم الأحياء الأموات، والأموات الأحياء، لا يسأل عنهم أحد، مغيبون منسيون يعانون ما يعانون، و يلقون به ما لا يعرفه إلا من كابد قسوة السجن.

ويعرضان لقصة يوسف ــ عليه السلام ــ وأنه هو من اختار السجن بقوله:

"رب السجن أحب إلي" وهذا نبي الله ــ عز وجل ــ قد عانى من السجن وقسوته على الرغم من مكانته الرفيعة عند الله ــ عز وجل ــ .

- محاسن الولايات :

إن كانت الولاية بتحكيم الرجل المناسب، وتوليته المنصب المناسب فنعم الولاية هي.

جاء هذا الموضوع عند الجاحظ قصيرا وقد أكد فيه على رغبة الإنسان بالولاية، و سعايته نحوها، و أنها مُرَّة إذا فقدها. وقد أكد على سخط الرعية على من ولي عليهم في بعض الأحيان، وأنه لا يجب على الخليفة الاستماع إلى رأيهم دائما.

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 42.

[2] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 389.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأورد البيهقي ما جاء عند الجاحظ، وأضاف عليه قصصا يفهم منها أن الولاية من أوكل من قبل الخليفة بأي أمر يوليه له، كما هو في قصة إبراهيم بن السندي في توليته نقل الأخبار للخليفة.

- مساوئ الولايات

يتحدث الجاحظ والبيهقي عن مساوئ الولايات بمجموعة من أبيات الشعر تتناول عظيم قبح أن يتكبر الوالي، ويبتعد عن التواضع فرحا وخيلاء بمنصبه وكأنه ملك الدنيا بمجامع يديه. ومما تطرقا له في مساوئ الولايات أنها لا تدوم لأحد، فهذا ما تقتضيه طبيعة الزمن المتقلبة.

- محاسن الصحبة (محاسن كرم الصحبة):

يتناول الجاحظ موضوع محاسن الصحبة بعرض مجمل لحكم بليغة تدور حول أهمية الصاحب، والصفات الحسنة الواجب توفرها فيه، وكيف أنه نعم الرفيق، وخير أخ، ويكون إلى جانبك في السراء معينا وفي الضراء ناصحا أمينا.

وجاء طرح هذا الموضوع عند الجاحظ أوضح فكرة وأكثر سلاسة ويقصد إليه مباشرة بالقول الموجز.

بيد أن البيهقي عرض للموضوع بالإضافة للحكم بكثير من القصص المطولة التي تدور حول كرم الصحبة، وأن الصاحب يتذلل لصاحبه ولا يثنيه عنه أي حائل، وأنه يتحمل لأجله الكثير، ويدفع عنه البلى قدر استطاعته. ويقدمه على نفسه وماله وعياله. ويفتديه بنفسه ولا ينسى صنيع معروفه ويرده له بخير منه وأعظم.

- ضده (مساوئ الصحبة):

دارت القصص كلها التي جاءت في هذا الموضوع حول يوسف بن عمر الثقفي، وما كان به من غلظة، وسوء خلق، حتى إن عماله وأصدقاءه وجواريه لم ينجُ أحد منهم من سوء خلقه أنّى كانت الحجة التي يتقدمون له بها.

وكان طرح الأديبين في هذا الموضوع متساويا، و لم تكن الفكرة بالوضوح الذي كانت عليه محاسن الصحبة.

- محاسن الوفاء:

يذكر الجاحظ والبيهقي أمثلة على من امتاز بوفائه، والأسباب التي دعت لأن يضرب به المثل بوفائه، فكان الجاحظ يذكر المثل، ثم يذكر لنا القصة التي تدور حوله. وبعد هذا يذكر لنا الشعر الذي قيل في القصة. وقد استوى عند الجاحظ وفاء الرجال ووفاء النساء. ومنهم فكيهة، وأم جميل، والسموأل بن عادياء وعوف بن ملحم وغيرهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويزيد البيهقي قصصا أخرى غير تلك التي أوردها الجاحظ تُعلي من شأن الوفاء، و من شأن صاحبه. ويؤكد على أن الوفي يضحي بنفسه مقابل أن يفي بوعده، ويوصل الأمانة لصاحبها. ويواجه بذلك الهوائل حتى يلاقي نتيجة وفائه من خير تقدير وحسن شكر، فيضرب به المثل ويصبح قدوة يُعتبر بها.

ولا يكون الوفاء فعلا وحسب، وإنما يتعداه إلى الوفاء بالقول، فيكون وفيا لصاحبه وإن لم يكن حاضرا. فلا يذكره بسوء، ولا يتعرض له بشر. ويظل ذاكرا حسن صنيعه، شاكرا له مهما طالت الأيام. ومهما واجه لقاء هذا الوفاء من متاعب فلا بد أن ينصف و يجازى خير جزاء.

وقد تطرق لنوع آخر من الوفاء قد أغفله الجاحظ وهو "الوفاء للموتى". وهذا الوفاء الذي لا رياء فيه ولا قصد من ورائه، كقصة برون الكبير ووفائه للبرامكة بعد موته، فاستحق أن يجزيه المأمون عن وفائه له وينال بهذا صلته.

وهناك قصة وردت عند البيهقي أرى أن تكون في باب محاسن الشكر لا في باب محاسن الوفاء وهي قصة (عبد الله بن طاهر وهو مقبل من منزل عبيد الله بن السري بمصر حتى إذا دنا من بابه إذا بشيخ قد قام إليه فناوله رقعة كانت معه، وقال: أصلح الله الأمير! نصيحة واجبة فافهمها)[1].

- **ضده (مساوئ الوفاء):**

يخبر الجاحظ والبيهقي في مساوئ الوفاء عن سوء السعاية والوشاية و ذمها. وأنها خيانة للأمانة، فما سعى رجل ووشى إلا حط من قدره عند من سعى له. فمن ستره الله و كتمه كيف لأحد أن يشي به ويسعى لافتضاح أمره. فمن مساوئ الوفاء أنه يتنكر لأخيه ولا يستر عليه. وهذا من خوارم المروءة.

وقد قصدا من هذا الموضوع تغير الوفاء بسبب المكانة الاجتماعية لبعض الناس. وهذا ما جاءت به كل القصص الواردة عند الجاحظ و البيهقي، فهي تدور حول الخلفاء ومن يسعى حولهم للإيقاع ببعض الأفراد وفتنة الخلفاء لمن حاول أن يتقرب منهم، وإن كان صادقا.

- **محاسن حب الوطن (محاسن الحنين إلى الوطن)**

حب الوطن فطرة جبل عليها الإنسان، فتراه منتمياً للأرض التي شهدت مسقط رأسه وتنفس هواءها وأكل من خيراتها. فيرى أقل القليل في وطنه عطاء جزيلاً.و الخير كل الخير في

---

[1] الجاحظ، المحاسن والمساوئ، ص 90.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البقاء في الوطن وعدم التغرب عنه. فيكون عرضة للحنين إلى الوطن والأهل، و عرضة لأن تنهش منه الوحدة ما تنهش.

ويبتدئ الجاحظ حديثه بذكر كلام جميل في الحنين للوطن و يلحقه بآي من القرآن الكريم تليها أبيات الشعر تتناول الموضوع ذاته. أما البيهقي فأول ما يبتدئ به آيات القرآن الكريم، الأمر الذي يعكس لنا ثقافته الدينية.

وليس أحن على الإنسان من أهله، فلهم يبث همومه، و هم من يشعر به، ولا يحتاج لأن يتكلف في تعامله معهم وفي طلب حوائجه لقضائها. وما أضنى مرارة الشوق التي يكابدها الإنسان في بعده عن وطنه وأهله.

ويعرض الجاحظ للدعاء الذي يقال للمسافر والذي يحفل بالأمنيات للتخفيف عنه مما يكابد ويعاني في بُعده عن وطنه، إذ تتكالب عليه النوائب وتتعسر أموره وتضيق.

فيما يفردها البيهقي في بابين بعنوان محاسن الدعاء للمسافر، وآخر بعنوان مساوئ الدعاء للمسافر. والذي يتحدث عنه الجاحظ في مساوئ من كره الوطن. أما مساوئ الدعاء للمسافر فيكون بألا تتيسر أموره ولا يجد خيرا في سفره وألا يفرج الله همه و كربه و لا يسري غمه.

ويفرد البيهقي بابا للحديث عن ذكر من اختار الوطن على الثروة، فاختار العسر مع البقاء في الوطن، على اليسر والبعد عن الوطن. والذي فضَّل تراب وطنه على ذهب غيره ونعيمه. بينما الجاحظ جمع الموضوعين تحت عنوان محاسن حب الوطن.

- ضده (مساوئ من كره الوطن/ محاسن الدعاء للمسافر/ مساوئ الدعاء للمسافر)

أما مساوئ من كره الوطن، فذلك الذي استبدل وطنه و بحث عن رزقه في أرض أخرى، و استغنى عن أهله. فوحشة الغربة تذهب بأنس النعمة . فالغني خارج وطنه خير من الفقير في وطنه. ومن ذلك أن يتنكر الوطن لأهله و يضن عليهم بخيراته.

ويكثر البيهقي في حديثه عن ألم الغربة و الحنين للوطن من الشعر، ومن ذلك القصائد الطوال كقصيدة أبي دلف لما ولي الشام، وقصيدة سعيد بن صمصم وحنينه لسوء حاله في البادية. لكن ومهما كان أمره سيئا في وطنه إلا أن الوطن يظل الوطن.

تتفق بعض الأبيات التي أوردها البيهقي في سوء من كره الوطن مع فلسفته في محاسن طلب الرزق والذي سأتحدث عنه لاحقا. والأبيات هي:

ولو قنعت أتاني الرزق في دعة إن القنوع الغنى لا كثرة المال[1]

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 230.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقول الشاعر:

وإن اغتراب المرء من غير فاقـــة ولا حاجة يسمو لها لعجيبُ

فحسب الفتى بخسا وإن أدرك الغنى ونال ثراء أن يقال غريبُ[1]

- محاسن الدهاء و الحيل:

إن للدهاء والحيل منفعة وأي منفعة إذا استخدمها المرء في وجه حسن، وهذا ما أكد عليه الجاحظ في هذا الباب وكذلك البيهقي. وقد جاء الباب عند الجاحظ متزنا مترابطا وفيه قصص وأخبار لا بالقصيرة المخلة ولا بالطويلة المملة، فكان يذكر القصة باختصار شديد ويذكر الحيلة وبعد هذا تنتهي القصة.

أما البيهقي فصاحب قصص طوال يكاد يضيع فيها المرء إذا قرأها في غير أناة، بالإضافة لألفاظ وكلمات غريبة وألفاظ فارسية . إلا أنه قد أورد القصص والأخبار التي أوردها الجاحظ. وجاء بقصص أخرى لم ترد عنده وقد أورد قصصا في دهاء الرجل ودهاء المرأة عندهما يأتي مخلصا لها باستدراج الضحية للرجل الذي يخلصها منه.

وكانت الحيل متنوعة فمنها ما كان يعتمد على البديهة الحاضرة و حسن التخلص، و أخرى كان صاحبها يقدم لها تقديما طويلا، أي أنها حيلة بعيدة المقصد و مخطط لها قبل وقوعها. وهذه الحيل كانت تأتي في قصص طويلة تناسب موضوعها.

وما أورده الجاحظ في هذا الباب اقتصر على العرب بخلاف البيهقي الذي جاء بقصص فارسية. ولم يقف البيهقي في القصص الفارسية عند انتهاء الحيلة، بل جاوزها إلى أبعد من ذلك وأطال بالقصة ولا أرى سببا يحمله على الإطالة.

- ضده (مساوئ العي و ضعف العقل):

وأما هنا نرى اختلافا في المسمى عند البيهقي عما اعتدنا عليه في ذكر محاسن الشيء ومساوئه كمحاسن الجواب ومساوئ الجواب بل إنه هنا يقصد إلى ضد الشيء كما أن الأسود ضده الأبيض. فهو لا يتحدث عن الحيل السيئة وإنما يتحدث عن ضعف العقل والعي عند من وقعت عليه الحيلة. وقد اختلف في القصص التي أوردها اختلافا تاما عن القصص التي أوردها الجاحظ، وهو في هذا الباب لا يعرض لعي الفرد وضعف عقله، بل يعرض لعي عدد منهم، وكيف أن ضعف العقل قد لا يكون في واحد بل في جماعة.

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 233.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما ورد عند الجاحظ فهو أسلوب اعتدناه منه، وطريقة أجراها في غير باب من هذا الكتاب، كباب الوفاء فيذكر المثل ثم يذكر القصة التي تتعلق بالمثل وبعدها يعقب عليها بالشعر الذي قيل في هذه القصة. وهو يتحدث عن عي الأفراد وعن المناسبة التي استحقوا بها وصفهم بالحمقى، وكانت القصص طريفة، سهلة الفهم، و قد طرحت بأسلوب مضحك. ويعقب بعد انتهاء القصص بأبيات من الشعر وكيفية تناول الشعراء له. وقد ذكر أخبار الحمقى والنوكى وأصحاب العي في غير ما مكان في كتبه، وقد أفرد لهم بابا في كتابه (البيان و التبيين) وقد ذكر فيه عددا منهم "كطاق البصل وعيناوة"[1] و"هبنقة و عمرو بن سعيد"[2].

وقد أفرد البيهقي باباً سمّاه مساوئ الحمقى وقد أورد فيه تلك الأمثال التي جاءت عند الجاحظ في ضد محاسن الدهاء والحيل وكان هذا الباب مستقلاً بعيداً عن محاسن الدهاء والحيل وقد أورده البيهقي في أواخر موضوعات كتابه.

محاسن الثقة بالله عز وجل:

من أحسن الثقة بالله فنعم من يحسن الثقة به، فهو لا يخيب ظن عبده به، ويعرض الجاحظ والبيهقي لحسن الثقة بالله عز وجل من خلال مجموعة من القصص المؤثرة، والمواقف التي حدثت لبعض الناس ما كان منهم، إلا أن أحسنوا الثقة بالله فكان عند حسن ظنهم.

- ضده (مساوئ الثقة):

يوجز الجاحظ والبيهقي مساوئ الثقة بذكر كلام لعيسى ــ عليه السلام ــ إذ يدور حول كيفية رزق الله لعبده وهو جنين في بطن أمه وهو طفل صغير وعندما يكبر قليلا فينفق عليه والداه، لكن إن اشتد عوده ينسى فضل الله عليه فلا يحسن الثقة بالله عز وجل، فيسرق ويتعدى على حقوق غيره ظنا منه أن الله ــ جل ذكره ــ سيخذله.

وقد قصدا في هذه الأخبار و القصص اللاتي أورداها في محاسن الثقة، أو في ضده رفع المستوى الإيماني عند القارئ بالقصص المستنبطة من الواقع أو بالأخبار الواردة عن الرسل – عليهم السلام -.

- محاسن طلب الرزق:

إن هذا الموضوع لا كسابقاته من المواضيع في الطرح والفكرة بين الجاحظ والبيهقي فكل منهما لديه نظرة في محاسن طلب الرزق أو ضده، ونظرة الجاحظ في محاسن طلب الرزق

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج 2، ص 230.
[2] المصدر نفسه، ص 242.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت باتجاه واحد وهو الحث على السفر و طلب الرزق به، و أن هذا السفر لا يأتي إلا برغبة من المرء و عزم عليه . و يرى السفر ترويحا عن الهموم و تنفيسا من كل كرب و قد ساق الجاحظ أدلة من السُنّة و الأحاديث المأثورة و أقوال العامة و أبياتا من الشعر تؤيد هذه الفكرة.

فالرزق عنده يتغير بالسفر و إن لم يتغير فقد أبلغ نفسه عذرها.

كقول الشاعر[1]:

فسر في بلاد الله و التمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

ولا ترض من عيش بدونٍ و لا تنم وكيف ينام الليل من كان معسراد

وقد جاء البيهقي بقسم من هذه الأدلة في محاسن طلب الرزق، لكن نظراته كانت باتجاهين مختلفين؛ فتارة يحث على السفر والسعي في طلب الرزق، ويأتي بالأدلة التي ذكرها الجاحظ، وتارة أخرى يثنيك عن السفر ويأتي بأدلة تدحض فكرته الأولى في الموضوع ذاته، وقد أوردها الجاحظ في ضد هذا الموضوع.

ورؤية البيهقي العامة في طلب الرزق هو ما قدرها الله لك ، فلن يحدث سفرك رزقاً جديداً، وإن جلوسك عنه لن يحرمك من رزقك، وأن لا تبتغي الرزق من غير الله – عز وجل.

حيث يقول الشاعر[2]:

أتطلب رزق الله من عند غيره وتصبح من خوف العواقب آمنا

وترضى بصرّاف وإن كان مشركا ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا

كأنك لم تقنع بما في كتابه فأصبحت مدخول اليقين مباينا

وآخر:

إني لأكرم نفسي أن أدنسها بشين عرضي وبذل الوجه للناس

والله ضامن رزقي ما حييت وما ضمن ذي العرش من شك ولا باس

إني رأيت سؤال الله مكرمة وفي سؤال سواه أعظم اليأس

- ضده (مساوئ طلب الرزق):

يقتصر هذا الموضوع عند الجاحظ بأبيات شعر متفرقة في مجملها العام القناعة بما أتاك من رزق، وأن لا تسعى إلى طلب المزيد منه، فإن سعيك لن يحدث لك رزقا جديدا.

وأما البيهقي؛ فاكتفى بقصيدة لديك الجن الحمصي وأن أهم الأفكار التي جاءت بها:

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 112.

[2] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 216.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1 – ألا يستغيث المرء إلا بالله عز وجل.

2 – أن لا تسقط قلة رزقك على الأمن.

3 – أن تبذل نفسك للموت خير لك من أن تسأل الناس.

فيقول[1]:

وأهن نفسك الكريمة للمـــــــوت واقحِم بها على الأهــوال

فلعمــري للمــوت أزين للحـــــر من الذل ضارعا للرجـــال

أي ماء يدور في وجهك الحـــــر إذا امتهنته بالســـــــؤال

4 – إن الناس قد تغيروا و ذهب فضلهم و خلقهم، فارتحل عمن كانت صفته هذه، فــذلك خيــر لك.

5 – أن لا يذل بمسألة أهل الغنى.

لا أحب الفتى أراه إذا مـــــــــــا عضه الدهر جاثما في الضــلال

مستكينا لذي الغنى خاشع الطرف ذليل الإدبار و الإقبـــــــــــال[2].

6 – إذا ضاقت عليك سبل عيشك فعليك أن تطلبه بالسيف.

ذهب الناس فاطلب الرزق بالسيف و إلا فمت شديد الهـــــــزال[3].

- محاسن المواعظ:

تفاوت طرح الجاحظ لهذا الموضوع عن طرح البيهقي له؛ فأما الجاحظ فقد قــصد إلـــى الموضوع قصدا موجزا لا يطيل به. وقد أورد خبرين عن العرب والمــسلمين وخبــرين عــن الفرس. وكانت الموعظة بسيطة سهلة سلسة جلية في الأذهان، واضحة في العقــول، لا يحتــاج القارئ لها إلى إعمال فكر. وجاءت المواعظ كلها عنده تؤكد على حقيقة الموت، وأنه لا مهــرب منه، وتحث على الاستعداد لما سيلقاه المرء بعد موته.

والبيهقي امتاز بطريقة عرضه للموضوع إذ إنه يعقد مقارنات بين الخير والشر في القصة الواحدة لتقف على الخير ويحببه إلى نفسك ويبعدك عن ضده ويبغضه لك. أي أن طريقة الطرح لدى البيهقي كانت بين الترغيب والترهيب ولم تكن مباشرة كأن يقول لك: افعل كذا وكذا وهــذه الطريقة أنجع لدى المتلقي وأمتع لدى القارئ. وقد دارت مجمل القصص والأخبار عنــده حــول أبي جعفر المنصور، ومن كان ينصح له وطريقة نصحه.

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 216.

[2] المصدر نفسه، ص 217.

[3] المصدر نفسه، ص 217.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ضده (مساوئ المواعظ):

من النادر أن يتفق الجاحظ والبيهقي في طرح الموضوع أو في مقدار القصص والأخبار الواردة، لكنَّ اتفاقهما في هذا الباب كان متطابقا. فالقصتان اللتان وردتا عندهما تتحدثان عن سوء الموعظة، وعدم قدرة الواعظ على التخفيف من عظم المصيبة لدى المرء الذي تعرض لها. وانتهت القصتان بطريقة مضحكة بعض الشيء، حيث لم يقصد الواعظ إضحاك صاحب المصيبة، وجرى هذا منه بغير قصد.

- محاسن العفو:

تناول الجاحظ هذا الموضوع بقصص شتى و تدور كلها حول عفو ولاة الأمور ، لكن كانت طرق المرتجي للعفو متنوعة بتنوع القصص، فمنهم من عمد إلى الكلام الفصيح و القول البليغ، ومنهم من اعتذر عن ذنبه بالشعر، وبعضهم بالدهاء والحيل، وآخر باللجوء إلى حجج معتمدة على الدين لينال العفو. وأن العفو من ولاة الأمور يعمل على تغيير النفوس حتى وإن كان طالب العفو مذنبا مستحقا للعقوبة، كقصة مصعب بن الزبير مع الرجل الذي أسره، وكان هذا الرجل مستحقا للعقوبة، فاستعطف مصعبا حتى ينال العفو، فعفا عنه ووصله، ثم إن هذا الرجل قد جعل نصف عطائه لابن قيس الرقيات لشعر قاله في مصعب.

وممن نال العفو بالدهاء والحيل ذلك (الرجل الذي أُتي به للوالي، وقد جنى جناية، فأمر بضربه، فلما مُدَّ قال: بحق رأس أمك إلا عفوت عني! فأبى. فقال: بحق عينيها! قال: اضرب. قال: بحق خديها ونحرها! قال : اضرب. قال: بحق ثدييها! قال: اضرب. قال: بحق سرتها! قال: دعوه لا ينحدر إلى الأسفل)[1].

وقصة المهدي مع رجل من القحاطبة وقد وجب عليه الحد فخادع المهدي فعفي عنه فكان جواب المهدي:

"إن الكريم إذا خادعته انخدعا"[2].

إلا أن البيهقي قد أكثر من القصص التي تقوم على الاحتجاج الديني، وطرح فيها شيئا من الآيات وعددا من الأحاديث النبوية الشريفة، وقد قدمها في طرحه لهذا الموضوع.

أما الجاحظ فقد أنهى محاسن العفو بأحاديث وأقوال تنهى عن الظلم، وأن الله ـــــ عز وجل ــ ينتصر للمظلوم ولو بعد حين.

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 38؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 374.
[2] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 369.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ضده (مساوئ تعدي السلطان):

وأما في الضد فقد اختلف المسمى عند البيهقي، عندما ابتدأ بحكمة لجميل بن بصبهري يدعو فيها لأخذ الحيطة و الحذر من السلطان، و عدم التجرؤ عليه، و أن يعرف المرء حدوده. و أتبعها بقصة يذكر فيها الخلفاء (أبا بكر و عمر و عثمان) دون علي. و لعل إغفاله لعلي في هذا الموضوع لدليل بين على مذهبه الديني و قد سبق أن أشرت إليه.

ومجمل هذا الباب عند الجاحظ و البيهقي يتحدث عن أخذ الناس بغير جريرة أو ذنب، أو أخذهم بعقوبة أكبر من ذنبهم. و يذكران بعضاً من الولاة و ما كان بهم من ظلم أصاب حتى أقرب الناس إليهم.

وقد وردت قصة واحدة لامرأة عند الجاحظ و البيهقي سواء، أكان ذلك في محاسن العفو أو ضده.

- محاسن الزهد (محاسن الورع)/ ضده (مساوئ من لم يتورع):

لم يكن هذا الباب عند الجاحظ و البيهقي من الأبواب الطويلة إنما اقتصرا به على قصص يظهر بها استجابة الله عز وجل لعباده الزاهدين ، و كيف يغير الله نواميس الكون لأجلهم، و أن الله يجزي المحسن في الدنيا جزاء حسنا فكيف بالآخرة . ثم جاء بعد القصص شعرا يؤيد هذا الموضوع. وقد سمَّاه الجاحظ الزهد، في حين سمَّاه البيهقي الورع. و قد أفرد الجاحظ بابا طويلا في كتابه (البيان و التبيين) سماه " باب الزهد".

وقد جاءت القصص التي وردت في ضده قصيرة، كما هو الحال في باب الزهد أو الورع. وكانت تتحدث عن ضعف الإيمان وعدم الخشوع في الصلاة والبحث عن الملهيات وهجر القرآن، وكيف أن رفقة السوء تساعد على الفساد. ثم انتهى الباب عند الجاحظ بذكر أبيات من الشعر تتحدث عن هذا الموضوع. ولكن البيهقي قد جعل الشعر تحت عنوان

"ما قيل فيه من الشعر".

- محاسن فضل الدنيا (محاسن صفة الدنيا)/ ضده :

ولازال الجاحظ والبيهقي يعرضان لنا حِكَماً لإصلاح الدين، وكيف أن الدنيا دار ممر وأن الآخرة دار مقر، وأن الدنيا فتنت الناس على الرغم من أن نهايتها واضحة لهم، بيّنة لأعينهم، وأن من لام الدنيا على فتنتها له قد أخطأ. وأن الحق جليٌّ في هذا الأمر.

والبيهقي يقصر هذا الموضوع بأقوال رويت من علي –كرّم الله وجهه- في صفة الدنيا، وما يؤول إليه متاعها ومواعظ شتى في الدنيا وصفتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والضد عندهما يغلب فيه قصص عن حرقة بنت النعمان، وكيف أن الدنيا لا تـــدوم علـــى حال، وأنها تتقلب و تتنكر لأهلها و تذل العزيز .

وفي هذا الباب يورد البيهقي قصة في مساوئ صفة الدنيا، أوردها الجاحظ في محاســـن فضل الدنيا، وأرى أن لكل منهما نظرة خاصة في هذه القـــصة. وينهيـــان حـــديثهما فـــي هـــذا الموضوع بشعر يتحدث عن أقوام ذهبوا، وأن كل النعيم الذي كانوا به إلى حطام، وأن كل شيء إلى زوال.

- محاسن السخاء/ مساوئ البخل/ محاسن صلات الشعراء مساوئ البخل/ مساوئ منع الشعراء والبخل:

إن الناظر في هذا الباب عند الجاحظ والبيهقي يرى أنهما أطول الأبواب التي تطرقا إليها. فقد عرضا لمحاسن السخاء وما فيه من فائدة ومنفعة في الدنيا والآخرة، وكان العرض في بادئ الأمر بأحاديث نبوية عديدة، كما أنهما قد أشارا للسخاء عند المرأة أيضاً، من بعد ذلك قد أوردا بعض القصص والأخبار عن السخاء وغيره من كرم الأخلاق.

فعرضا للسخاء عند العرب وعند الفرس واليونان، ولكن البيهقي قد عني بأخبار الخلفاء في السخاء.

وقد ذكر قصصاً عديدة من سخائهم وكذلك عُني بسخاء البرامكة لاسيما الفضل بن يحيى البرمكي، فذكر له أخباراً عديدة في سخائه وعطاياه، حتى إنّ سخاءه قد وصل حد المبالغة فإنه يهب الشيء الكثير بالعمل القليل.

والملاحظ أن القصص التي جاء بها البيهقي أطول منها عند الجاحظ حتى إنّ القارئ يمل من كثرة الأحداث والشخوص.

أفرد البيهقي باباً لمحاسن صلات الشعراء ولست أدري علاقة هذا الباب بمحاسن السخاء ومساوئ البخل، إلا أنه في هذا الباب عرض للجوائز الطائلة والمكافآت الكبيرة التي يأخذها الشعراء من الخلفاء والممدوحين.

والجاحظ في عرضه لمساوئ البخل يبدأ ببعض الأمثال من ثم يذكر قصة المثل خلافاً للبيهقي الذي يبدأ ببعض أخبار الشعراء ومنعهم من العطايا، وقد ذكر الباحث قبل قليل ذكر البيهقي للشعراء وما أخذوه من عطايا جراء مدحهم لبعض الخلفاء وكأن البيهقي ينظر إلى عطاء الشعراء ومنعهم على أنه سخاء أو بخل، وهذا خلاف نظرة الجاحظ للموضوع عينه؛ إذ إنّ الجاحظ لم يورد شيئاً من أخبار الشعراء لا في محاسن السخاء ولا في مساوئ البخل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتفق الأديبان في جوانب أخرى في مساوئ البخل، فيذكران قصة خرافية عن مساوئ البخل وقصص أخرى من الواقع.

والبيهقي يعمد في مساوئ البخل لبعض الأحاديث النبوية كما هو دائماً، وأما الجاحظ فقد أبدع في صورة رسم البخيل وما يكون عليه من حالة نفسية إن جاءه ضيف، ولعل هذا عائدٌ إلى كتابه "البخلاء" وما قدم فيه من صور شتى للبخيل.

والأديبان في طرحهما للموضوع يولدان معانيَ جدية و صوراً و أفكاراً لا تخطر إلا على بال من درس البخل و البخلاء وعاينهما معاينة تامة.

فأوردا قولاً لمن عاين البخل وهو: "كتب آخر إلى آخر يصف رجلاً، أما بعد فإنك كتبت تسأل عن فلان كأنك هممت به أو حدثتك نفسك بالقدوم إليه فلا تفعل فإن حسن الظن به لا يقع في الوهم إلا بخذلان الله، والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب إلا بسوء التوكل على الله... إنه يرى ... الصيغة مرفوعة والصلة موضوعة والهبة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسع ضلالة والجود فسوق و السخاء من همزات الشياطين...[1].

كما يرسم الجاحظ والبيهقي صورة للبخيل فيها من الإضحاك والسخرية الشيء الكثير وأن بعضهم ليهون عليه عرضه في حين لا يهون عليه ماله:

"رأيت أبا عثمان يبذل عرضه و خبز أبي عثمان في أحرز الحرز
يحن إلى جاراته بعد شبعه و جاراته غرثى تحن إلى الخبز"[2].
"فتى لا يغار على عرسه و لكن يغار على خبزه
فمنه يد الجود مقبوضة وكف السماحة في عجزه"[3]

محاسن المودة (محاسن الإخوان)/ ضده (مساوئ الإخوان):

كان عنونة هذا الموضوع عند الجاحظ غير عنونته عند البيهقي ولكن ما ورد فيهما يحث على الشيء ذاته، وما قصداه بالإخوان هو الصديق الذي تتخذه أخاً لك.

إن الطرح في هذا الموضوع جاء مقتصراً على الحكم والأقوال المأخوذة عن الحكماء، وبعض الشعر الذي يتفق وهذا الموضوع. ولم ترد فيه قصص أو أخبار تثري هذا الباب.

---

[1] الجاحظ، المحاسن، ص64، ص65؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 191، ص192.
[2] المصدر نفسه، ص67؛ المصدر نفسه، ص194.
[3] المصدر نفسه، ص67؛ المصدر نفسه، ص194.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان كل ما ذكرنا يحث على المودة واصطناعها بين الإخوان والمحافظة عليها، فهي الأصل في المعاملة لأنها تحفظ صاحبها في حضوره وغيابه وهي التي تعينك على احتمال صديقك إن بدا منه ما تكره.

وجاء الضد يتحدث عن الفكرة ذاتها إلا في حكم قليلة مضمونها يتحدث عن جفاء الإخوان، إذا جفوك أن تعاملهم بالمثل، وكيف يكون بعض الأصدقاء صديقك في السرّاء وإن أصابتك ضرّاء ابتعد عنك وتركك.

(محاسن الشجاعة)/ (محاسن الشدة):

يؤكد الجاحظ في هذا الباب على الشجاعة الناتجة من قوة البدن وقد أورد أخباراً وقصصاً حول هذا الموضوع ،ولم يأت بأمثال أو شعر يساند هذه الفكرة .

وأما عند البيهقي فكان اسم هذا الباب محاسن الشدة وقد اعتبر الباحث محاسن الشجاعة ومحاسن الشدة من المواضيع المؤتلفة لأن ما ورد عند الجاحظ في ضد الشجاعة وعند البيهقي في مساوئ الجبن يكاد يكون متشابه.

والبيهقي في محاسن الشدة يورد أخباراً وقصصا تظهر فيها القوة البدنية وقصصاً أخرى تظهر فيها رباطة الجأش والثبات، وقد أورد البيهقي قصة لشجاعة إحدى النساء ،وكانت شجاعتها ترتكز على القوة البدنية، في حين أن الجاحظ قد أغفل شجاعة النساء ،وقد أورد البيهقي أمثالاً وأشعاراً توضح فكرته.

ضده/(محاسن الجبن):

يورد الجاحظ قصصاً في ضد محاسن الشجاعة عن الجبن سواء أكان ذلك بالاستماع إلى القصص التي تثير الخوف أو بالتعرض مباشرة للموقف ذاته، وقد اعتمد في القصة التي فزع من سمعها على دقة الوصف وتخير الألفاظ وحسن التصوير، كما يذكر أمثالاً في الجبن لا سيما في الحيوانات كقولهم (أجبن من هجر وأجبن من صافر)[1] وكذلك أوردها البيهقي، ويورد الجاحظ والبيهقي أخباراً طريفة وشعرا عن الجبناء وأحوالهم.

"وقال الحجاج لحميد الأرقط وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحرب: يا حميد هل قاتلت قط؟ قال: لا أيها الأمير إلا في النوم، قال: وكيف كان وقعتك؟ قال: انتبهت وأنا منهزم"[2]

ظلت تشجعني ظلاً بتضليل وللشجاعة خطب غير مجهول

هاتي شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 79؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 353.

[2] المصدر نفسه، ص 353.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحرب توسع من يصلى بها حـــــرباً يتم البنين وإشكال المشاكـــــــيل
واسم الوغى اشتق من غوغاء تبصرها يغدون للموت كالطير الأبابيـــــل
والله لو أن جبريـــلاً تكـفل لـــــــي بالنصر ما خاطرت نفسي بجبريـل
هل غير أن يعذلوني أننـــي فشـــــل فكل هذا نعم فاغروا بتعذيلـــــــي
إن أعتذر من فراري في الوغى أبـداً فكان ذلك عذراً غير مقبـــــول
اسمع أخبرك عن بأســـي بذي ســلم خلاف بأس المساعير البهاليـــل
لما بدت منهم نحـــــوي عشوزنـــة تشرّع الموت في عرضي وفي طولي
فقلت: ويحكم لا تذهبـوا جلـــــدي رمحي عسير وسيفي غير مســلول
لمـــّا اتّقيتهم طوراً بذاتــه يـــــدٍ وانصعت أطوي الفلا ميلاً إلى ميل
الله خلصـــــــني منهم وفلسفتـــي حتى تخلصت مغضوب السراويـل

وقد جاء هذا الباب عند البيهقي متنوعاً خلاف ما أورده الجاحظ ، فالبيهقي يورد لنا خبراً عما يعتري الجبان من نسيان إذا فوجئ بخطب كما يورد لنا قصة أحد الجبناء وكيـف أصـبح شجاعاً عندما أحاط به الموت ولم يتمكن من الفرار، وقد أسند البيهقي خبراً للجاحظ يقول: "وقال عمرو بن بحر الجاحظ : سمعت بلالاً يحكي عن أصحابه أن رئيسهم كان يسمى أبريقياء"[1]

ويورد لنا البيهقي خبراً بعد أن أورد لنا قصة مثل أجبن من صافر وهذه القصة لا علاقـة لها بالجبن من قريب أو من بعيد ،ومع هذا فإن هذا الباب كان عند البيهقي أوضـح منـه عنـد الجاحظ.

محاسن المفاخرة/ محاسن كلام الحسن/ محاسن كلام عبد الله بن العباس/ محاسن كلام غانمة بنت غانم في شرف بني هاشم وفخرهم/ محاسن الافتخار بالنبي – صلى الله عليه وسـلم -/ محاسن ما قيل في ذلك من الشعر/ محاسن مجالس أبي العباس السفاح في المفاخرة/ ضده/ مساوئ الافتخار/ مساوئ أصحاب الصناعات:

وردت الأخبار عند الجاحظ في محاسن المفاخرة وضده وقد تفرعت هذه الأخبـار عنـد البيهقي في عدة أبواب، وهذا ما جعل باب المفاخرة من أطول الأبواب عند الجاحظ .

وقد جاءت الأخبار متقاربة متماثلة وكانت هذه الأخبار في البداية تدور حـول الافتخـار بالرسول – صلى الله عليه وسلم – وبعد هذا انتقلت إلى الافتخار بالحسن والحسين وعبد الله ابن العباس، فيرويان لنا أخبارا عن المجالس التي كانت عند معاوية بن أبي سفيان، وكان معاوية في

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص355.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجالس كلها يحرض عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد بن أبيه وعبد الله ابن الزبير على مفاخرة الحسن وعبد الله بن العباس، وكيف استجابوا لطلب معاوية وكيف كان رد الحسن وعبد الله بن العباس عليهم. وذلك ما أورده البيهقي في محاسن كلام الحسن ومحاسن كلام عبد الله بن العباس.

وقد تكرر فعل معاوية هذا بتحريض الناس عليهما . وإن من العجيب تكرار هذا الفعل من معاوية بعد أن لقي من الحسن _ رضي الله عنه – ما لقيه من رد موجع وحجج قاطعة. والأعجب من تلك الألفاظ النابية التي جرت على ألسنتهم، وكلهم صحابة ولا يليق بهم ولا بقدرهم مثل تلك الألفاظ.

وأرى مبالغة تأخذ كلا من الجاحظ والبيهقي إلى هواه، فالجاحظ عباسي الهوى، منصرف عن بني أمية، وهو لا يحب معاوية، وقد حاول في أخباره هذه النيل منه والحط من قدره. وقد وضع الجاحظ رسالة في ذم معاوية .

وأما البيهقي فهو متعصب للمذهب الشيعي، ويحاول الانتقام من معاوية وعمرو بن العاص لأنه يرى فيهما سالبي خلافة علي – رضي الله عنه- وقتلهما الحسين .

وما يؤكد هذا التعصب ما ورد عنده في باب (مجالس أبي العباس السفاح في المفاخرة) وكيف يفخر بعلي حتى إنه دعاه الوصي.

وقد جاء ضد محاسن المفاخرة وما يماثلها عند البيهقي بطرح الفكرة ذاتها وهي مساوئ الافتخار ومساوئ أصحاب الصناعات.

محاسن التطير و ضده (محاسن ترك التطير/ محاسن الفأل- والزجر/ مساوئ الفأل/ محاسن الشعر في هذا الفن)

أما هذا الباب فقد اختلطت به الأمور و ما تبين لي من قراءتي للأبواب المتقاربة من هذا الموضوع ما يلي:

1. أن الجاحظ في محاسن التطير ينهاك عن التطير و يورد لك أبياتاً من الشعر. و قد علم من قالها أن الطيرة لا تنفع و لا تضر.
2. أورد البيهقي ما أورده الجاحظ في محاسن التطير بمحاسن ترك التطير. و كأن البيهقي ينظر إلى العمل الأدبي الذي خرج من فكرة ترك التطير، و لم ينظر لمشروعية ترك التطير بل لعله يؤيده.وهذا ما نلحظه عنده في باب محاسن الفأل.
3. إن البيهقي يؤيد التطير، إن كان فيه خير. و لا سيما عندما أكدها في محاسن الفأل.وقد اعتمدت هذه القصة على الفأل و الزجر وأن نهايتها كانت محمودة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4. يرى البيهقي في مساوئ الفأل أن القصص التي تقوم على التطير قد انتهت بـــالموت. وهـــذه نهاية مؤسفة.
5. إن ما يؤكد رؤية البيهقي للتطير، إن كان شراً أم خيراً، ما أورده في باب محاسن الشعر في هذا الفن، وقد أورده الجاحظ في ضد محاسن التطير.
6. إن القصص التي أوردها الجاحظ في ضد محاسن التطير كانت تؤيد فكرته التي أوردها فـــي محاسن التطير، وهي ترك التطير وعدم الالتفات إليه لأن التطير لا يضر ولا ينفع، و هنـــا نرى أن فلسفة البيهقي عن التطير والفأل تختلف عن فلسفة الجاحظ، وأن البيهقي عـــارض هذه الفكرة وقسمها على عدة مواضيع.

محاسن الكتابة والكتب: (محاسن الكتب)

ابتدأ الجاحظ هذا الباب بعقد مقارنة بين البناء عند العجم ومثيله عند العرب، ثم إن العرب قد فضلوهم وتميزوا عليهم بالشعر والكتب. وقد وصف أهمية الكتابة وكيف أنهم يجعلونهـــا فـــي مكان ظاهر على هذا البناء، ويجعلونها في أبعد الأماكن دروسا، وبعد هذا انتقل في حديثه عـــن أهمية الكتب وقارن بينها وبين البنيان، وأن العرب و العجم قد أقاموا بنيانهم تخليـــدا لمـــآثرهم، والكتاب أشد تخليدا للمآثر من البنيان، فهو يخبرك عن الأمم البائدة والأخبار الماضـــية والـــبلاد النائية، وفيه حكم كثيرة و مواعظ جمة ثم يذكر قولا مسنداً للجاحظ نفسه في أهمية وصفات التي ينعته بها ويذكر أهميته لدى المتأدبين والأدباء وأهل العلم، و أنه لا يملُّ منـــه وإن كـــان كثيـــر الورق فإنه كتب كثيرة وإن كان كتابا واحدا. وكأن الجاحظ يؤسس لفكرة كتابه هذا و ينتهي هذا الباب عند الجاحظ بذكر أقوال لأدباء صاحبوا الكتاب و كيف كان لهم خير معين.

والبيهقي يعرض في بداية حديثه إلى أقوال و حكم، وبعدها يبدأ في بيان أهمية الكتاب. و ينفرد البيهقي بتناوله أهمية الكتب السماوية و يسترسل في ذكر أهميتها بقوله : " و أكثـــر مـــن كتبهم نفعا وأشرف منها حظا و أحسن موقعا، كتب الله عز و جل التي فيها الهـــدى و الرحمـــة والأخبار عن كل عبرة وتعريف كل سيئة و حسنة، و ما زالت كتب الله جل و علا في الألـــواح و الصحف والمصاحف"[1] إلى قوله: "ولو شاء النبي -صلى الله عليه و سلم- أن لا يكتـــب إلـــى قيصر وكسرى والنجاشي والمقوقس وإلى بني الجلندي وإلى العباهلة من حميـــر وإلـــى هـــوذة الملوك العظماء والسادة النجباء، لفعل أو لوجد المبلغ المعصوم من الخطأ والزلل والتبدل، ولكنه

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

–صلى الله عليه و سلم- علم أن الكتاب أشبه بتلك الحالة وأليق بتلك المراتب وأبلغ في تعظيم ما حواه الكتاب"[1].

وبعد أن يذكر هذه الأهمية للكتب في نقل الخبر لا سيما في الحمام. وبعد هذا ينتقل في حديثه إلى أهميّة الخط و التجويد به، وأن من الملاحظ في وصف البيهقي للكتب الألفاظ الدينية التي ينعتها بها. كمثل" وهو منبهة للموروث، وكنز عند الوارث، غير أنه كنز لا زكاة فيه ولا حتى للسلطان يخرج منه. هو كالضيعة التي لا تحتاج إلى سقي ولا إسجال بإيغار، ولا إلى شرط ولا أكار وليس عليها عسر للسلطات ولا خراج"[2] حتى يفضي بنا إلى نصائح في العلم والتعليم وأهميته في الصغر. وهذا ما أورده الجاحظ في نهاية باب محاسن المخاطبات.

وينهي البيهقي حديثه عن الكتب ومحاسنها بتفضيل كتابه المحاسن والمساوئ ويذكر السبب في طريقة تأليف الكتاب وأن الخير والشر مقرونان منذ خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، وكذلك الضار والنافع والمكروه والمحبوب، وقد أقام كتابه هذا على التخيير والتمييز، فيقول: "ولو كان الشر صرفاً محضا لهلك الخلق، ولو كان الخير محضا لسقطت المحنة وتقطعت أسباب الفكرة، ومتى بطل التخيير وذهب التمييز لم يكن صبر على مكروه ولا شكر على محبوب ولا تعامل ولا تنافس في درجة"[3].

ضده:

يعرض الجاحظ في هذا الموضوع لمساوئ اللحن و ما يؤدي لدى السامع من سوء فهم، ويذكر قصصا لمساوئ اللحن وما يترتب عليه.و يعرض أيضا للثغ عند بعض العرب، وأن السامع لا يصل إلى حقيقة أمر المتكلم، إذا كان فيه لثغ. وقد عرض للثغة الحاء وكيف تصبح هاء أو ألفا كما عرض للعين وكيف تصبح همزة.

وهذا الباب كما يظهر لنا ليس ضد الباب الأول على أي شكل من الأشكال، و هذا ما دعا البيهقي لإغفال مساوئ الكتب.

محاسن كتمان السر و ضده:

إن هذا الباب يختلف عن سابقاته من الأبواب بأن جعل الجاحظ محاسن كتمان السر مع ضده، فلماذا جعل هذا الباب مختلطا؟ أظن هذا الباب قد اختلط فيه الحسن بالسيئ في القصص

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ ، ص10.
[2] المصدر نفسه، ص 9.
[3] المصدر نفسه، ص 16.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي وردت به، وكذلك الشعر،فيحدثنا عن محاسن كتمان السر ويذكر لنا ضده في القصة ذاتها،و من هنا كان الفصل بين الشيء وضده أمرا عسيرا.

ولكي تكون الفكرة أكثر إيضاحا أعرض للقصص التالية:

"دخل أبو العتاهية على المهدي وقد ذاع شعره في عتبة فقال:ما أحسنت في حبك و لا أجملت في إذاعة سرك.

فقال أبو العتاهية:

من كان يزعم أن سيكتم حبه أو يستطيع الستر فهو كذوب

إذا بدا سر اللبيب فإنه لم يبد إلا والفتى مغلوب

الحب أغلب للرجال بقهره من أن يرى للسر فيه نصيب

إني لأحسد ذا هوى مستحفظا لم تتهمه أعين وقلوب

فاستحسن المهدي شعره وقال"قد عذرناك في إذاعة سرك ووصلناك على حسن عذرك على أن كتمان ذلك أحسن من إذاعته[1].

فالواضح من هذه القصة أن أبا العتاهية قد أذاع سره و لم يكتمه،ويعلله بأن صاحب الحب لا يستطيع كتمان سره لأنه يبدو عليه و إن أراد أن يكتمه، فليس له بد في كتمانه أو إظهاره،و هو في نهاية الأبيات يدحض قوله السابق، و يحسد من يستطيع كتمان حبه و لم يعلم به أحد.

وقال العتبي[2]:

ولي صاحب سري المكتم عنده مخاريق نيران بليل تحرق

عطفت على أسراره فكسوتها ثياباً من الكتمان ما تتخرق

فمن تكن الأسرار تطفو بصدره فأسرار نفسي بالأحاديث تغرق

فلا تودعن الدهر سرك جاهلا فإنك إن أودعته منه أحمق

وحسبك في سر الأحاديث واعظا القول ما قال الأديب الموفق

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق

هذه الأبيات في بدايتها تتحدث عن كتمان السر عند الصاحب و تثني عليه ثم إنها في النهاية تقول لك إن لا مستودع لسرك إلا عندك، لأن صدر من استودعته سرك أضيق من صدرك.فكيف يمكن فصل ما تقدم من فكرة و ما تأخر.

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 28؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص279.

[2] المصدر نفسه، ص 28؛ المصدر نفسه، ص279.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكان الجاحظ بذوقه الأدبي أقدر على عنونة هذا الموضوع، و أن القصص و الأخبار التي أوردها، أوردها البيهقي ذاتها.

وبعد أن عرض الباحث للمواضيع المؤتلفة عند الجاحظ والبيهقي ووقف على ما فيها من اختلاف وائتلاف وبيّنه في موضعه، وما كان عندهما من فكرٍ أو فكرة أو رأي ظاهر أو باطن، وما ذهب إليه كل منهما في المواضيع المؤتلفة، وكيف كان طرحه للموضوع، ومعالجته له، وعند مَن كانت الفكرة أبيَن وأوضح. كما بيّن التقصير عند مَن كانت الفكرة عنه مبهمة وغير جليَة، وقد بذل الباحث جهداً في تقصي واستقصاء هذه الأمور.

النتائج المستخلصة من المواضيع المؤتلفة بين الكتابين:

وبعد أن عرض الباحث للمواضيع المؤتلفة يقف على النقاط التالية:

1- يوجد اختلاف في أسماء المواضيع بين الجاحظ والبيهقي.

2- يختلف طول هذه المواضيع بين الأديبين ونلاحظ أن الزيادة غالباً عند البيهقي.

3- يختلف تقسيم هذه المواضيع دون زيادة أو نقص بينهما.

4- قد ترد بعض المواضيع دون زيادة أو نقص بينهما.

5- يوجد اختلاف بالأفكار التي تحملها المواضيع المؤتلفة .

6- قد تأتي بعض المواضيع مختلفة كليا بين الجاحظ والبيهقي.

7- وردت بعض المواضيع المؤتلفة بذكر المحاسن وحدها.

8- لم يكن ضد محاسن الكتب عند الجاحظ في الحقيقة هو ضد المحاسن بل تحدث فيه عن موضوع آخر.

المختلف

عنونة الكتابين:

وأول ما يطالعنا في الاختلاف بين الجاحظ والبيهقي عنونة الكتابين. فما الذي قصداه من العنوانين ؟ وللوقوف على قصدهما عاد الباحث إلى المعاجم اللغوية .

فحسُن:

"الحسن: ضد القبيح ونقيضه. والجمع محاسن. والمحاسن في الأعمال: ضد المساوي."[1]

"الحسن: الجمال والحسن كل مبهج مرغوب فيه. (ج) محاسن"[2]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ص 258.

[2] الوسيط، ص 174.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الحسن: ج محاسن (على غير القياس): الجمال"[1]

"نقيض الحسنة: الخطيئة"[2] "والسوأى: خلاف الحسنى"[3]

"وحسّن الشيء: جعله حسناً وزيّنه"[4]

وأما ضدد:

"الضد كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذلك. ابن سيده: ضد الشيء وضديده وضديدته خلافه؛ الأخيرة عن ثعلب؛ وضده أيضاً مثله؛ عنه وحده، والجمع أضداد "[5]

قال ابن السكيت:"حكى لنا أبو عمرو الضد مثل الشيء والضد خلافه." [6]

"أبو الهيثم: يقال ضادني فلان إذا خالفك، فأردت طولا وأراد قصرا، وأردت ظلمة وأراد نورا، فهو ضدك وضديدك، وقد يقال إذا خالفك فأردت وجها تذهب منه ونازعك في ضده."[7]"

(ضاده): خالفه وضادّ بين الشيئين: جعل أحدهما ضد الآخر، (الضد): المخالف والمنافي، والضد المثل والنظير والكفء، (ج)أضداد" [8].

ضادّه مضادة: خالفه، المثل والنظير (ضدّ)[9].

"سمعت زائدة يقول :صدّه عن الأمر وضدّه أي صرفه عنه برفق "[10]

"ضدّه عن كذا :دفعه وصرفه برفق"[11]

وأما سَوَأ :

"ساء الشيء يسوء سوءاً ،فهو سيء ،إذا قَبُحَ "[12]

"(ساءَ) –سوءاً ،وسواءً :لحقه ما يشينه ويقبّحه"[13]

---

[1] المنجد، ص 134.
[2] المرجع نفسه، ص 361.
[3] ابن منظور، لسان العرب، ص 417.
[4] الوسيط، 174.
[5] ابن منظور، لسان العرب، ص 34.
[6] المصدر نفسه، ص34.
[7] المصدر نفسه، ص35.
[8] الوسيط، ص536.
[9] المنجد، ص 447.
[10] ابن منظور، لسان العرب، ص 35.
[11] المنجد، ص447.
[12] ابن منظور، لسان العرب، ص416.
[13] الوسيط، ص459.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وساء الشيء :قبُح، السيئ :القبيح، المساءة(ج) مساوئ :القبيح من الفعل أو القول ،المساوئ : العيوب والنقائض"[1]

رأي الجاحظ في الضد والحسن والسيئ:

وبعد هذا العرض التفصيلي وما تبين لنا من معان لمادة حسن وضد وسوأ ، يقف الباحث على أراء الجاحظ لكي نعلم الوجه الذي صرف اليه عنوان كتابه.

قال الجاحظ: "و زعموا أن التضادد وإنما يقع بين نصيب الحاسة الواحدة فقط. فإذا اختلفت الحواس صار نصيب هذه الحاسة الواحدة من المحسوسات، خلاف نصيب تلك الحاسة، ولم يضادها بالضد كاللون واللون: لمكان التفاسد، والطعم والرائحة: لمكان التفاسد ولا يكون الطعم ضد اللون، ولا اللون ضد الطعم، بل يكون خلافا. ولا يكون ضدا ولا وفاقا، لأنه من غير جنسه، و لا يكون ضدا، لأنه لا يفاسده"[2].

"وأن الضد يكون على ضدين: يكون أحدهما أن يخالف الشيء الشيء من وجوه عدة، والآخر أن يخالفه من وجهين أو وجه فقط. قالوا: و البياض يخالف الحمرة ويضادها، لأنه يفاسدها ولا يفاسد الطعم. وكذلك البياض للصفرة والحوة والخضرة. فأما السواد خاصة فإن البياض يضاده بالتفاسد، وكذلك السواد".[3]

وقال: "والسواد يضاد البياض مضادة تامة، وصارت الألوان الأخرى فيما بينها تتضاد عادة، وصارت الطعوم والأراييح والملامس تخالفها ولا تضادها"[4] "والتفاسد الذي يقع بين الخضرة والحمرة، فبذلك الوزن يقع بين البياض وجميع الألوان "[5].

وقد فرّق الجاحظ في محاسن الكتب بين الضد والخلاف بقوله " ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر...والشكل وخلافه والجنس وضده"[6].

ومن هذه الآراء يتضح للباحث أن الضد عند الجاحظ هو اشتراك الضدين في الحاسة الواحدة فيفاسده، وأن الحاسة إذا اختلفت كان خلافا ولم يكن ضداً، والجاحظ من المعتزلة وعلماء الكلام وهم يعلون شأن العقل ويجعلونه إماماً.

---

[1] المنجد، ص361.
[2] الجاحظ، الحيوان، ج 5، ص57.
[3] المصدر نفسه، ج ، ص58.
[4] المصدر نفسه، ج 5، ص59.
[5] المصدر نفسه، ص56.
[6] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 11؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 8.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولمّا كان هذا الكتاب مكان التمييز فيه بين الحسن والضد هو العقل وقد اشتركا في الحاسة ذاتها كان من الأفضل أن يسميه المحاسن والأضداد ،فمجال التمييز بينهما هو العقل ،فما صنع الجاحظ من محاسن صنع مثيلتها من الأضداد، وقد صرفك عن محاسن الشيء الذي أخبرك عنه برفق ثم أتى بضده، ومن هنا يكون الضد عنده النظير والمثل، فإذا تحدث مثلاً عن "محاسن الصدق" فهو في ضده يتحدث عن محاسن الكذب أو مساوئ الصدق أو مساوئ الكذب أو يتحدث عنها كلها في الضد ذاته. وإذا أراد أن يصرفك إلى وجه واحد من هذه الأوجه الثلاثة لا سيما المساوئ قال لك على سبيل المثال: محاسن الغيرة ومساوئ الغيرة ولم يقل ضدّها، فهو لم يذكر لك المساوئ إلا في أبواب قليلة، بل جاء المؤتلف عنده بذكر المحاسن أولاً ومن بعدها الأضداد. وهكذا تكون تسمية الجاحظ لكتابه "المحاسن والأضداد" أدق منها عند البيهقي.

وأما البيهقي، مع عدم وجود كتب نستبين بها رأيه وقصده بشكل واضح، فإنني ألجأ إلى رأيه في محاسن الكتب، وما ذكره عن كتابه المحاسن والمساوئ وقصده من تأليف الكتاب ،يقول البيهقي "وكل ما تقدم ذكره من مناقب الكتب ووصف محاسنها، فهو دون ما يستحقه كتابنا هذا. فقد اشتمل على محاسن الأخبار وظرائف الآثار، وترجمناه بكتاب المحاسن والمساوئ لأن المصلحة في ابتداء أمر الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر والضار بالنافع والمكروه بالمحبوب ،ولو كان الشر صرفا محضاً لهلك الخلق، ولو كان الخير محضاً لسقطت المحنة وتقطعت أسباب الفكرة ، ومتى بطل التخيير وذهب التمييز لم يكن صبر على مكروه ولا شكر على محبوب ولا تعامل ولا تنافس في درجة، وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل"[1].

ورأي البيهقي هذا في كتابه يتفق اتفاقا تاما ورأي الجاحظ في (مصلحة الكون، في امتزاج الخير بالشر) حيث يقول: "اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر، والضار بالنافع، والمكروه بالسار، والضعة بالرفعة، والكثرة بالقلة، ولو كان الشر صرفا هلك الخلق، أو كان الخير محضا سقطت المحنة وتقطعت أسباب الفكرة، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز، ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلم، ولم يكن علم، ولا يعرف باب التبيّن، ولا دفع مضرة، ولا اجتلاب منفعة، ولا صبر على مكروه، ولا شكر على محبوب ،ولا تفاضل في بيان، ولا تنافس في درجة"[2]

وإذا كان هذا الرأي لدى الجاحظ في مصلحة الكون في امتزاج الخير بالشر والضار بالنافع. ولم يسم كتابه المحاسن والمساوئ كما أسماه البيهقي ،فإن لديه فلسفة أخرى غير تلك

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 16.
[2] الجاحظ، الحيوان، ج 1، ص 204.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفلسفة التي ذهب إليها البيهقي، وهي إعمال العقل والإعلاء من شأنه وتقديمه في كل الأمور، "فكل شيء في العالم فإنما هو للإنسان ولكل مختبر ومختار، ولأهل العقول والاستطاعة، ولأهل التبين والروية"[1].

وأما البيهقي فهو شيخ قصد من كتابه صرف القارئ عن المساوئ التي يراها لا تتفق وذوق المسلم. حتى أنّ البيهقي قد استثنى ما ورد عند الجاحظ من أخبار متعلقة بالنساء ووصفهن، وما يتعلق بهذه الأبواب من شهوات وغيرها، وهو بذلك قد حسّن كتاب الجاحظ، وجاء بكتاب آخر لا ترد فيه هذه الأخبار وما شابهها، وهو في تحسينه هذا يذكر لنا محاسن شتى لم ترد عند الجاحظ. وكانت معظم هذه المحاسن تدور حول المواضيع الدينية المتفقة مع ذوق المسلم وتعلو به وبأخلاقه. وعلى هذا يرى الباحث أن البيهقي وجد في تسمية كتابه المحاسن والمساوئ ما يحمل فكرته ويساعده على بلوغ مقصده.

جدول رقم 2

المختلف عند الجاحظ (محاسن وأضداد أو محاسن ومساوئ)

الرقم	المختلف عند الجاحظ (محاسن وأضداد أو محاسن ومساوئ)	
1	محاسن الجواري مطلقاً/ ضده	
2	محاسن الموت/ ضده	
3	محاسن وفاء النساء/ ضده	
4	محاسن مكر النساء/ مساوئ مكر النساء	
5	محاسن الدبيب/ ضده – مساوئ الدبيب	
6	محاسن الباه/ ضده في مساوئ العنّين	
7	محاسن الغيرة/ مساوئ شدة الغيرة والعقوبة عليها	

محاسن الجواري مطلقاً/ ضده:

يرى الجاحظ أن الجواري والسرائر أقرب للقلب وفيهن "قلة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة "[2]، وهذه الصفات لا توجد في المرأة الحرة من وجهة نظر الجاحظ، ويرى أن السراري قد علا شأنهن أكثر من النساء الحرائر ويذكر على ذلك أن غالبية أمهات

---

[1] المصدر نفسه، ص 205.

[2] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 250.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلفاء بني العباس كنّ من السراري، فالجارية عند الجاحظ تجمع بين عــز دولتــين : العــرب والعجم.

وهو في الضد يتحدث عما قيل في الجواري والسرائر من ثلب وتعييب، لكــن فكرتــه كانت في محاسن الجواري أوضح منها في ضدها ،وقد جاء هذا الباب قصيراً جداً بحيــث لــم تتضح فيه الفكرة .

محاسن الموت/ ضده:

لما وضع الجاحظ كتابه المحاسن والأضداد ذكر في بداية الكتاب "ابتدأته بــذكر محاســن الكتابة والكتب وختمته في ذكر شيء من محاسن الموت والله يكلؤه من حاسد إذا حسد "[1]،وقــد كان هذا الباب قصيراً بعض الشيء ،وقد ابتدأ الجاحظ هذا الباب سواء أكان في محاسن المــوت أو في ضده بحديث مرفوع، وبعد هذا أتبعه ببعض أقوال الصالحين والشعراء، والمــوت راحــة للمؤمن وبه يستراح من الكافر، والموت راحة ممن لا يحفظون العهود.

قال منصور الفقيه:

قد قلت إن مدحوا الحياة فأسرفــوا في الموت ألف فضيلة لا تعــــــرف

منها أمــان بقائــــه بلقائــــــه وفــــــــراق كل معشر لا ينصــف

وقد ذكر الجاحظ في محاسن الموت قولاً للفلاسفة وهو "لا يستكمل الإنسان حدّ الإنــسانية إلا بالموت لأن حدّ الإنسانية حدّ ناطق ميت"[2]، وكأنه يأخذ العبرة من الموت وما يــؤول إليــه مصير الإنسان.

وأما في ضده فجاءت الأخبار وما ورد من الشعر تؤكد على ما يفعله المــوت بالإنــسان وأن الموت لا بد منه طال العمر أم قصر وأنه لا يفرق بين الناس، وأن ما بعد الموت قد يكــون أشد مما قبله.

محاسن وفاء النساء/ ضده:

إن هذا الباب من الأبواب الطويلة عند الجاحظ يتحدث فيها عن النساء ،وفــي هــذا البــاب تحدث عن محاسن الوفاء، وقد كانت هذه الأخبار والقصص طويلة فجاء بقصتين فــي محاســن الوفاء ،وقد ظهر في القصتين وفاء المرأة لزوجها، إن كان حياً أو ميتاً .وقد تداخل الوفاء بالغدر في القصة الأولى وهي قصة بلاش بن فيروز مع زوجاته ،ففي الوقت الذي ظهر الغــدر بــين نسائه أظهرن وفاءً له، وقد استخدم الجاحظ في هذه القصة قصصا أخــرى دارت علــى ألــسنة

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 8.

[2] المصدر نفسه، ص 251.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحيوانات وقد استخدم الجاحظ هذا الأسلوب مرتين في هذه القصة ،وذاك كي يوضح لنا موقف كل زوجة من زوجاته ،وقد ظهر في هذه القصص التي دارت على لسان الحيوان الوفاء من جهة، والغدر من جهة أخرى .

والجاحظ في كتابه الحيوان استخدم هذا الأسلوب فأورد لنا قصصاً جرت على لسان الحيوان. وهذا الأسلوب ليس جديداً عند الجاحظ، والقصص التي وردت في محاسن وفاء النساء عنيت بالنساء غير العربيات، ولم يذكر الجاحظ وفاء نساء عربيات، ولم يذكر لنا مثلاً ولا شعراً.

وفي الضد كانت القصص تتحدث عن كيد النساء وغدرهن والحيل التي يتخذنها للوصول إلى غايتهن ،وهذا ما ظهر في القصة الأولى وهي قصة كسرى أبرويز مع بسطام وزوجته كردية، وكيف غدرت كردية بزوجها بسطام وقتلته استجابة لأمر أبرويز بعد أن تزوجها،وكيف عملت شيرين زوجة أبرويز مع أحد الرجال المقربين لزوجها بعد أن قال له: جنبك الله طاعة النساء، وقد أغضبها بقوله هذا، فما كان منها إلا الحيلة لتدفع عن زوجها هذا الرأي الذي أسره به الموبذان.

وأما قصة الزباء فإن وفاءها جاء على غير ما ورد في القصة السابقة، فكل القصص السابقة وفت النساء لأزواجهن ،وفي هذه القصة وفت الزباء لعمها، واقتصت من قاتله بعد أن اصطنعت له حيلة وغدرت به، وقد ذكر الجاحظ في قصة الزباء عدداً من الأمثال وكيف جرت على ألسنة الناس.

محاسن مكر النساء /مساوئ مكر النساء:

بعد أن أنهى الجاحظ موضوعه محاسن وفاء النساء وضده وذكر بعض الحيل التي تحتال بها النساء، أفرد باباً سماه محاسن مكر النساء. وقد ذكر عدداً من القصص التي يظهر بها مكر النساء وحيلهن، و تنوعت الشخصيات النسائية في هذه القصص كما تنوعت حيلها، ففي القصة الأولى امرأة شريفة عفيفة رفضت أن تبيع نفسها على الرغم من حاجتها للمال وقد احتالت لأخذ المال ممن أنكره وحاول استغلال هذا الظرف، وكانت حيلتها نظيفة مشروعة ولم تتجاوز الإساءة الخلقية.

وأما القصة الثانية فكانت على النقيض من القصة الأولى، إذ إنّ المرأة تفتقد للأخلاق. وقد حاول يحيى أن يستغل قلة حيائها وذلك لعلمه بهذا الجانب فيها ، والقصة الثالثة استخدمت فيها المرأة الكذب للوصول لغايتها وغايتها تطليق ما عداها من الزوجات ،فلما تم لها ذلك اعترفت لزوجها بحيلتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما مساوئ مكر النساء فلم يسمها الجاحظ بضده، ولكن بهذا الاسم. والجاحظ لم ينظر في المساوئ لضعف الحيلة حتى تكون ضد محاسن المكر بل نظر للمحصلة ،والنتيجة التي آلت إليها الحيلة ،وكانت القصتان في هذا الموضوع تدوران حول لقمان الحكيم وحكمه على صاحبتي الحيلة، فإحداهن أبدت استغلالاً لرجل وقد لحقه منها أذى، والثانية أفضت بها حيلتها للزنا والفجور، والقصتان فيهما من الخبر الشيء الغريب والحكم الغريب، ويظن الباحث أن الخرافة قد داخلتهما بعض الشيء .

محاسن الدبيب / ضده – مساوئ الدبيب:

إن ما قصده الجاحظ من الدبيب هو تحرك الرغبة الجنسية ليلاً سواء أكانت لجارية أم لغلام، وقد ذكر في المحاسن قصة رجل ظلمه أبوه وإخوته. وقد تغير هذا الحال من الظلم إلى العدل والرضى، بعد أن قام هذا الرجل بالدبيب على فتاة وهذا الخبر الوحيد الذي ورد في محاسن الدبيب.

وأما في المساوئ فقد وردت قصص فيها من الفكاهة ما فيها ومن طرافة الأسلوب والمواقف المضحكة. وقد عرض الجاحظ في هذه الأخبار والقصص للأذى الذي يلقاه من قام بالدبيب، كانت العقوبة التي يتلقاها صاحب الدبيب متنوعة بتنوع القصص، فمنهم من وقع عليه عقوبة نفسية من خوف أو وسوسة وآخر لدغته عقرب بعد أن قضى وطراً، وغيره ظلّ يحاول طوال الليل ليصل إلى غايته. وكان في كل مرة يحاول بها يرده شيء عن غايته، وقد ورد في هذا الباب شعر فاحش وألفاظ قبيحة.

محاسن الباه/ ضده في مساوئ العنّين:

ويستمر الجاحظ في ذكر أخبار النساء لا سيما في أمور الشهوة والجنس ، وفي محاسن الباه يذكر قصصاً عن الحاجة الجنسية لدى المرأة، وأن هذه الحاجة أشد منها عند الرجل ، وبالقدر الذي يكون فيه الرجل مؤاتياً للمرأة يكون حبها له، وقد ظهر هذا في قصة المرأة التي مات زوجها، "وقال أبو ثمامة لامرأة من زبيدة وهي تبكي عند قبر: من الميت؟ قالت: كان يجمع بين حاجبي والساق ويهزني هز الصارم الأعتاق. والله لولا ما ذكرته لك ما استهلت بالدموع عيناي. وقد كذبتك امرأة تبكي على زوجها لغير ما أعلمتك" [1].

وفي المساوئ أيضاً في قصة الدهناء وقد عجز زوجها عنها فأراد ضمها وشمها فقالت له : تنح لن تملكني بمثل هذا .

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 229.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر في المساوئ عجز الرجال عن إتيان نسائهن، و عرض لبعض الأمراض الجنسية التي تعرض للرجل ، وبعض الأفعال التي تكرهها النساء أثناء الجماع ، ومن ذلك قول المرأة " زوجي عياياء طباقاء وكل داء له دواء "[1].

محاسن الغيرة/ مساوئ شدة الغيرة والعقوبة عليها:

ابتدأ الجاحظ هذا الباب بذكر أقوال تثير الغيرة، وتكون عوناً للمرأة أو الرجل في عدم الوقوع فيما حرم الله،و من ثم يورد أخبار بعض ملوك فارس، وكيف كانوا يمتحنون الرجل بواحدة من حرم الملك أو جواريه، لأن الملك أشد غيرة على حرمه ممن هو دونه، كما أنه ذكر عقوبة من يتعرض لحرمه، وكيف كان تدبير الملك في قتله. وقد ذكر أن الملك أشد غيرة على حرمه ممن هو دونه، إلا أنه يذكر خبرين عن عمليق والفيطون.

وقد كانا يبدآن المرأة قبل انتقالها إلى بيت زوجها، وبهذين الخبرين تظهر غيرة قبيلة المرأة التي افترعها عمليق ومن بعده الفيطون أشد من غيرة الملك.

وبعد ذلك يعرض الجاحظ عدداً من الأمثال مما قيل في الغيرة، ثم يقص علينا خبر هذا المثل. ويطول هذا الباب عنده، وينتقل بالقارئ إلى أخبار الشعراء، وتشبههم ببعض النساء، وما كان من غيرة ذويهن عليهن.

وفي المساوئ لا يعرض الجاحظ لمساوئ الغيرة فقط، بل ويذكر العقوبة التي وقعت على من كان سبباً في استثارة الغيرة، ومن تلك العقوبات أن يُخصى الرجل أو يُقتل أو يُنفى من الأرض. وأما النساء فكان القتل أو الطلاق. ويعرض أخباراً وقعت فيها هذه العقوبات. كما يقدم الجاحظ في هذا الباب نصائح للرجال والنساء ينهاهم عن شدة الغيرة، وما يلقى كل منهما بسببها. "قال سليمان بن داود الهاشمي لابنه: لا تكثر الغيرة على أهلك، فترمى بالشر من أجلك إن كانت بريئة، ولا تكثر الضحك فيستخف بك فؤاد الرجل الحليم، وعليك بخشية الله فإنها غلبت كل شيء. "قال عبيد الله بن جعفر لابنه: إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب، فإنه يورث البغضاء، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء".[2]

ولا يكتفي الجاحظ بذكر الغيرة عند الإنسان، بل ينتقل ليحدثنا عن الغيرة عند الحيوان، وكأن الجاحظ يرى الغيرة جوهراً في الإنسان لا عرضاً يتغير، وأن هذا الجوهر إذا كان معتدلاً حافظ عليه وكان سبباً في نجاته، وإن غيَّره أو بدله بالزيادة أو النقصان كان فيه هلاكه.

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص231.
[2] المصدر نفسه، ص195.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جدول رقم 3

المختلف عند الجاحظ (محاسن وحدها):

الرقم	المختلف عند الجاحظ (محاسن وحدها)	الصفحة
1	محاسن النساء الماجنات	64
2	محاسن النساء الأعرابيات	70
3	محاسن النساء المتكلمات	70
4	محاسن النساء	71
5	محاسن التزويج و أمثال في التزويج	72
6	في الناشزة	73
	نساء الخلفاء/ المطلقات	74
	محاسن الوصائف المغنيات	75
	محاسن القيادة	75
	محاسن النيروز والمهرجان/ محاسن الهدايا	76

محاسن النساء الماجنات:

يتحدث الجاحظ في هذا الباب عن شعر النساء الماجنات وما استحب من ذلك الشعر، و كان شعرهن يتصف بالسهولة والاختصار ووضوح الفكرة وبيان المعنى في أقل لفظ وأسهل قول، حتى كأن الجاحظ يشير إلى قضية اللفظ والمعنى التي اشتهر بها في هذه الأبيات التي اختارها للنساء الماجنات.

وكي نقف على الفكرة التي أرادها الجاحظ ، نذكر قصة لعنان مع السلولي والأعرابي وما قالوا من شعر. قال السلولي: "دخلت يوما على عنان وعندها رجل أعرابي فقالت: يا عم لقد أتى الله بك، قلت: وما ذاك؟ قالت: هذا الأعرابي دخل علي، فقال: بلغني أنك تقولين الشعر، فقولي بيتا. فقالت: بيتا، فقلت لها: قولي، فقالت: قد ارتجّ علي، فقل أنت، فقلت:

لقد جد الفراق و عيل صبري عشية عيرهم للبين زمّت

فقال الأعرابي:

نظرت إلى أواخرها ضحيا وقد بانت وأرض الشام أمّت

فقالت عنان:

كتمت هواكم في الصدر مني على أن الدموع علي نمّت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال الأعرابي: أنت والله أشعرنا، ولولا أنك بحرمة رجل لقبّلتك، ولكني أقبل البساط".[1]

فقول السلولي فيه وصف لنفسه، ووصف لحالة الرحيل، والأعرابي قوله فيه وصف فقط. وأما عنان فجاء البيت الذي قالته خفيفا على السمع، فيه صورة جميلة، وقد جمعت بين المتناقضين، فهي من جهة كتمت هواها. ومن جهة أخرى افتضح أمرها بأن الدموع قد حدَّثت بالهوى الذي كتمت. وكان هذا دأب الجاحظ فيما ورد من شعر للماجنات الذي ذُكر في هذا الباب.

وكذلك قول شادن: [2]

ظبي متكامل في نهاية حسنه فزها ببهجه وتاه بصده

فالشمس تطلع من فرند جبينه والبدر يغرق في شقائق خده

مال الجمال بأسره فكأنما حسن البرية كلها من عنده

يا رب هب لي وصله وبقاءه أبدا فلست بعائش من بعده[1]

ففي هذه الأبيات رقة واضحة من المحب وفيها الصد والوصل. كما أن فيها صوراً متضادة متناقضة كصورة الشمس والقمر. وقد ذكر الجاحظ أيضا أبياتا فيها فحش ومجون، وذكر العورات صريحة باللفظ الواضح. وهذا يذهب بنا لقضية اللفظ والمعنى عند الجاحظ ورأيه بها.

رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى:

"إن لكل نوع من العلم أهلاً يقصدونه ويؤثرونه وأصناف العلم لا تحصى، منها الجزل ومنها السخيف، وإذا كان موضع الحديث على أنه مضحك وملهٍ وداخل في باب حد المزح فأبدلت السخافة بالجزالة، انقلب من جهته وصار الحديث الذي وضع على أن يسِّر النفوس يُكربها ويغمّها. ومن كان صاحب علم ممرراً موقحاً إلف تكسير وتنقيب ودراسة كتب وحلف تبيين، وكان ذلك عادة له، لم يضره النظر في كل فن من الجد والهزل ليخرج بذلك من شكل إلى شكل، فإن الأسماع قد تمل الأصوات المطربة والأوتار الفصيحة والأغاني الحسنة إذا طال ذلك عليها "[3].

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص129.

[2] المصدر نفسه، ص135. (الكظم: الإمساك على غيظ وغم (لسان العرب، ج 12، ص 520 -وكظم غيظه اجترعه وبابه ضرب فهو رجل كظيم والغيظ مكظوم، مختار الصحاح، ج1، ص 238).

[3] الجاحظ، كتاب مفاخرة الجواري والغلمان، ج 13، ص 90.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء؛ فالسخيف للسخيف، و الخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال. وإذا كان موضع الحديث على أنّه مضحك ملهٍ، وداخل في باب المزاح والطيب، فاستعملتَ فيه الإعراب، انقلب عن جهته، وان كان في لفظه سخف و أبدلت السخافة بالجزالة، صار الحديث الذي وضع على أن يسرّ النفوس يكربها، ويأخذ بأكظامها" [1].

"وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة و حسن الاختيار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح و أفصح، و كانت الإشارة أبين و أنور، كان أنفع وأنجع".[2]

"أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني، وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع، وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ، والشريف الكريم من المعاني. كما النادرة الباردة جدا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدا، وإنما الكرب الذي يختم على القلوب ويأخذ بالأنفاس، النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا باردة، و كذلك الشعر الوسط، و الغناء الوسط، وإنما الشأن في الحار جدا و البارد جدا".[3]

"وأحسن الكلام ما كان قليله يغني عن كثيره، و معناه في ظاهر لفظه".[4]

"ولو تتبعت هذا وشبهه وجدته كثيراً وإنما وضعت هذه الألفاظ ليستعملها أهل اللغة ولو كان الرأي ألا يلفظ بها ما كان لأول كونها معنى ولكان في التحريم والصون للغة العرب أن ترفع هذه الأسماء والألفاظ منها ، وقد أصاب كل الصواب من قال لكل مقام مقال "[5]

"ونحن لم نقصد في ذكرنا هذه الأخبار الرد على من أنكر هذه الأمور، ولكنا لما ذكرنا اختصام الشتاء والصيف واحتجاج أحدهما على صاحبه، واحتجاج صاحب المعز والضأن بمثل ذلك، أحببنا أن نذكر ما جرى بين اللاطة والزناة. وذكرنا ما نقل حمال الآثار ونقلته الرواة من الأشعار والأمثال، وإن كان في بعض البطالات، فأردنا أن نقدم الحجة لمذهبنا في صدر كتابنا هذا ، ونعوذ بالله أن نقول ما يودغ ويردي "[6].

---

[1] الجاحظ، الحيوان، ج3، ص 39.
[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1،ص75.
[3] المصدر نفسه، ج1، ص 145.
[4] المصدر نفسه، ص 83.
[5] الجاحظ، كتاب مفاخرة الجواري والغلمان، ج 13، ص 93.
[6] المصدر نفسه، ص 95.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، و ساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم أعرابيا؛ فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي.

وكلام الناس في طبقات،كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثقيل؛ وكله عربي، وبكل قد تكلموا، وبكل قد تمادوا و تعايبوا"[1].

"وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، وملحة من ملح الحشوة و العظام، فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظا حسنا، أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا؛ فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له، أو يذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها" [2].

"أن يكون لفظك رشيقاً عذباً، وفخماً سهلاً، ويكون معناك ظاهرا" مكشوفاً ، وقريباً معروفاً، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت. والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال "[3].

"وبعض من يظهر النسك والتقشف إذا ذكر..... تقزز وانقبض وأكثر من تجده كذلك، فإنما هو رجل ليس معه من المعرفة والكرم والنبل والوقار إلا بقدر هذا التصنع "[4].

وهكذا يتضح لنا رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى، فالجاحظ لا يقيم وزنا للفظ إن كان يفضي إلى معنى يخدم فكرته، فإنه يرى كلام الناس في طبقات فمنه الجزل ومنه السخيف والسمج.

فالكلام الجزل إن أبدلته بكلام سخيف ساء لفظه ومعناه، وكذلك الكلام السخيف إن أخرجته بألفاظ جزلة ذهب استحسان الناس له وساء معناه. ومن ذلك ما ورد في هذه القصص التي أوردها الجاحظ في باب محاسن النساء الماجنات، والكلام السخيف يحتاج إليه أحيانا أكثر من حاجتك للكلام الجزل.

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 144.
[2] المصدر نفسه، ص 164.
[3] المصدر نفسه، ج 1، ص 136.
[4] الجاحظ، كتاب مفاخرة الجواري والغلمان، ج 13، ص 93.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما ذكره للعورات صراحة فقد سبقت الإشارة لرأيه بهذا الخصوص. والجاحظ إذا سمع بنادرة من نوادر الأعراب رواها كما هي، ولم يدخل عليها الإعراب، ولم يستحسن لها لفظا آخر؛ لأن ذلك يفسد الإمتاع بها و يخرجها من صورتها.

وهذه الآراء مخالفة لرأي البيهقي؛ فالبيهقي لم يورد في كتابه شيئا من الألفاظ التي تسيء إلى الذوق العام من وجهة نظره، وإنه قد اغفل أبواب النساء التي وردت عند الجاحظ ولم يأت بها، لأن البيهقي لا يرى ما يراه الجاحظ في قضية اللفظ و المعنى، ولعل ما دفع البيهقي إلى إغفال هذه الأبواب اتجاهه الديني و قصده من تأليف كتابه.

وقد أورد فيه ما يتفق ورأيه من كتاب الجاحظ و قد زاد عليه في كثير من الأبواب.

والجاحظ لا يكتفي عند هذا بل يتخطاه إلى تأييد رأيه بالأدلة الواردة عن الصحابة _ رضوان الله عليهم _ في كتابه مفاخرة الجواري والغلمان، وكيف كانوا يتحدثون بتلك الألفاظ، وإنما قصد من ذلك بيان رأيه في اللفظ والمعنى، وأن الألفاظ تتشابه لكن الأصل يكون في المعنى، فلا يوجد لديه لفظ شريف وآخر وضيع .

البلاغة عند الجاحظ :

ومن خلال هذه الآراء يؤسس الجاحظ لعلم البلاغة و يضع معايير للألفاظ ، فالكلام الفصيح عنده هو الكلام الواضح الحسن. و يرى أن الكلام في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات، و أن معيار الفصاحة في الكلام التوسط ، لا أن يكون من ألفاظ العامة و كلامهم ،" فهم ليسوا حجةً في الفصاحة لأنهم لا يتفقدون في الألفاظ ما هو أحق بالذكر و أولى بالاستعمال، و ربما استخفوا أقلّ اللغتين و أضعفهما ، واستعملوا ما هو أقلّ في أصل اللغة استعمالاً ، و تركوا ما هو أظهر و أكثر"[1]

كما أن الجاحظ لا يعدّ كلام أهل الأمصار كلاماً فصيحاً وإنّما الفصاحة ما وافق القرآن وكلام الأعراب. و قد درس بالفصاحة اللفظ المفرد من حيث تجمع الحروف و تكوينها للفظ بعينه. وأمّا في البلاغة فهو يدرس علاقة الكلمة أو اللفظة بغيرها من الألفاظ و تشكيلها لتراكيب وفقر وموضوعات. والبلاغة عند الجاحظ لا تعني الإيجاز والاختصار، "وإنّما تعني حذف ما فضل عن المقدار، والمقدار هو كميّة اللفظ اللازمة للتعبير عن المعاني بوضوح" [2].

وهو مع هذا يكره الرمز وغموض المعنى والإبهام فيه. فإنّه يرى أن إيضاح المعنى للقارئ من أولويات الكتابة، والجاحظ في كتبه يكرر المعنى الواحد بتراكيب مختلفة ولا يراه فضلاً على

---

[1] البيان والتبيين، ج1 ، ص 100- 101.

[2] الدكتور علي بو ملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص 320.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنى، "فالبلاغة عنده هي إبلاغ المعنى إلى الغير باللفظ الواضح "[1]. وقد اعتمد في كتبه الإسهاب لأنه يريد "أن تكون معانيه واضحة مفهومة من القارئ، و لن يتأتى له ذلك إلاّ إذا عرضها عرضاً وافياً. أما إذا لجأ إلى التنقيح والتصفية غدت تلك المعاني غامضة عسيرة الفهم. ومن هنا شاع الترديد والترادف والحشو والاستطراد في كتابته"[2].

كما أنّ الجاحظ يولي الاهتمام الأكبر للألفاظ على حساب المعاني، فالمعاني من وجهة نظره مطروحة في الطرقات يعرفها العربيّ و الأعجميّ. " وهكذا نرى الجاحظ قد تحدّث عن اللفظ و عن المعنى في مواضع متعددة، وميّز بينهما و حددّ فضيلة كلٍ منهما في بلاغة الكلام، وفضّل اللفظ على المعنى في بعض نصوصه، و أرجع مزية الكلام و روعته إليه"[3].

محاسن النساء الأعرابيات:

وبعد أن فرغ الجاحظ من محاسن النساء الماجنات وكنّ جواريَ لسن أعرابيات، وقد ذكر قدرتهن على قول الشعر، وذكر الفصاحة والبلاغة التي تمتعن بها.ذكر لنا في هذا الباب فصاحة النساء الأعرابيات وما جادت به قرائحهن من شعر فصيح وبليغ، وكيف كان لذلك الشعر الـــذي قيل منجاة لهن ولقومهن من أذى كاد أن يلحق بهن، وقد خلت الأخبار التي أوردها الجاحظ فـــي هذا الباب من الفحش والمجون والألفاظ القبيحة، واتسم شعرهن بالرصانة و حسن تخيّر اللفظ،و قد عدّ الجاحظ هذا من محاسن النساء الأعرابيات، كما عدّ المجون من محاسن النساء الجواري، كما ذكر في ذلك الباب. ولعلّ محاسن النساء الأعرابيات هو ضد محاسن النساء الماجنات، ففـــي ذلك الباب ذكر جوارٍ أورد فحشهن وسخيف لفظهن، وما كان منهن من أخبـــار أوردهـــا فـــي مكانها، و هذا الباب خصه بالأعرابيات وما كان منهن من حسن تخيّر اللفظ وما اتسمنّ به مـــن العفاف والخلق، وقد جاء ضد محاسن النساء الماجنات.

محاسن النساء المتكلمات:

الجاحظ من المعتزلة ومن المتكلمين، وقد أورد في هذا الكتاب أخبار النساء المتكلمـــات و قدرتهن على الكلام والإقناع وبسط الحجة ونقض الكلام. وكانت النساء في هذا الباب أعرابيـــات متكلمات ولهن من الثقافة الشيء الكثير. ومن قدرتهن على الجواب والإفحام برأيهن ما ورد فـــي قصة رجل من بني أسد مع (مي) صاحبة ذي الرمَّة. "حدث رجل من بني أسد قال: أدركت ميـــا صاحبة ذي الرمة، وكان الرجل أعور، قال ورأيتها في نسوة من قومها، فقلـــت: أهـــذه مـــي؟

---

[1] الدكتور علي بو ملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص 318.
[2] المصدر نفسه، ص 47.
[3] مجيد عبدالحميد ناجي، الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز، ص151.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأومأتُ إليها، فقلن: نعم، فقلت: ما أدري ما كان يعجب ذا الرمة منكِ وما أراكِ على ما كان يصف، فتنفست الصعداء وقالت: إنه كان ينظر إلي بعينين، وأنت تنظر إلي بعينٍ واحدة".[1]

وما ورد في قدرتهن على النقد ما جرى لكثيّر مع قطام وقد نقدت قصيدته التي قالها في عزة، وأرشدته لقول امرئ القيس، وكيف كان امرؤ القيس في وصفه أبلغ من وصف كثيّر، وأنّ كثيّراً لم يجد جواباً كي يرد عليها فآثر الصمت.

وقد تمتعت النساء المتكلمات بسرعة في الإجابة و دقتها، وكانت لديهن جرأة أشد من غيرهن من النساء.

- محاسن النساء:

قد عُني الجاحظ بأخبار النساء، ووضع لهن في كتابه المحاسن والأضداد أبوابا تتحدث عنهنّ،وقسَّم هذه الأبواب إلى مواضيع عديدة، بحيث غلب على هذه الأبواب المحاسن دون الأضداد، حتى كأن الجاحظ لا يرى في النساء عيبا إلا أخرجه مخرجاً حسناً . وفي هذا الباب يبتدئ الجاحظ بأقوال في وصف النساء، لاسيما الوصف الحسي الجسدي. وقد وضع من خلال هذه الأقوال صورة عامة لوصف المرأة، وما هي الصفات الجسدية المحبوبة فيها، ومن ذلك قول الأعرابي: "إذا عذب ثناياها، وسهل خدها، وتنهد ثدياها، وفهم ساعداها، والتف فخذاها، وعرض وركها، وجدل ساقاها، فتلك هي النفس ومناها".[2] وقيل أحسن النساء رقيقة البشرة، نقية اللون، يضرب لونها بالغداة إلى الحمرة، وبالعشي إلى الصفرة" [3].

وهذه الأقوال تتفق ورأي الجاحظ في رسالته "النساء" ورسالة "فخر الجواري على الغلمان"، وقد وردت هذه الأقوال في هاتين الرسالتين. وبعد ذلك يورد الجاحظ شعراً يتحدث عن وصف النساء ووصف الشعراء لهن، وكلفهم بمحاسنهن ومفاتنهن، حتى إنهم ذكروا كل عضو من أعضائهن، وكل جزء بالصورة الرقيقة والكلمات اللطيفة مع براعة في التصوير ودقة في الاستعارة. ومن ذلك:

"يا ويح جسم يذوب من قلقه — من حب لم أقف على خلقه
من حب ظبي مهفهف لبق — يهتز مثل القضيب في ورقه
لم ترعيني ولن ترى أبداً — أحسن من نحره ومن عنقه
كأنما المسك حين تسحقه — بماء ورد يفوح من عرقه

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص138.
[2] المصدر نفسه، ص142.
[3] المصدر نفسه، ص142. (فعم: فعمت المرأة فعامة وفعومة وهي فعمة استوى خلقها وغلظ ساقاها – لسان العرب، ج 12، ص 456).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو خمرة في الزجاج صافية شيبت بماء السحاب في نسقه[1]

- محاسن التزويج و أمثال في التزويج:

وبعد هذا يذكر الجاحظ وصفاً للنساء اللواتي يصلحن للتزويج، ويبتدئ بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام في أمر التزويج، ويقدم بعد هذا نصائح للرجال الراغبين في هذا الأمر، ويذكر أقوالاً لبعض الحكماء. وإنّ رأي الرجال بالمرأة جاء مختلفاً كل حسب هواه؛ فمنهم من يفضل المرأة السمراء وآخر يحبذ القصر، ويراه من محاسن النساء. وقد اتفقت الآراء في أمر واحد وهو أن تكون المرأة شابة. ولم يغفل الجاحظ الجانب الأخلاقي للمرأة،و حثّ الرجال على الزواج بالمرأة صاحبة الخلق والدين.

وقد جمع بعضهم بين الصفات الجسدية والصفات الخلقية كقول خالد بن صفوان لدلال " اطلب لي امرأة بكرا، أو ثيبا كبكر، حصاناً عند جارها، ماجنة عند زوجها، قد أدبها الغنى وذللها الفقر، لا ضرعة صغيرة ولا عجوزاً كبيرة، قد عاشت في نعمة وأدركتها حاجة، لها عقل وافر، وخلق طاهر، وجمال ظاهر، صلتة الجبين، سهلة العرنين، سوداء المقلتين، خدلجة الساقين، لقاء الفخذين، نبيلة المقعد، كريمة المحتد، رخيمة المنطق، لم يداخلها صلف، و لم يشب وجهها كلف، ريحها أرج، ووجهها بهج، لينة الأطراف، ثقيلة الأرداف، لونها كالرق، و ثديها كالحق، أعلاها عسيب و أسفلها كثيب، لها بطن مخطف، وخصر مرهف، وجيد أتلع، ولب مشبع، تتأنى تثني الخيزران، وتميل ميل السكر، حسنة المآق في حسن البراق، لا الطول أزرى بها ولا القصر، قال الدلال: استفتح أبواب الجنان فإنك سوف تراها." [2]

وبعد انتهاء الجاحظ من ذكر محاسن المرأة وبعض العيوب الجسدية والخلقية فيها، ينتقل إلى ذكر أمثال في التزويج، وما كان من أثر في هذا الزواج. حتى كأن الجاحظ في ذكر هذا يعرض لك النصائح التي قدمها بالخبر الصادق، والقصة الطريفة. فيذكر قصة عن تعجل بعض النساء في بعض شؤونها فتثقل على زوجها و يلحقه منها الضرر.

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص146.

[2] الجاحظ، المحاسن والمساوئ، ص148. (أتلع: التلع طوله وانتصابه وغلظ أصله وحدل أعلاه- لسان العرب، ج 8، ص 36) – لب: لب كل شيء ولبابه: خالصه وخياره. ولب الرجل: ما جعل في قلبه من العقل – لسان العرب ج 1، ص 729- العسيب جريدة من النخل مستقيمة، دقيقة يكشط خوصها، والعسيب من السعف: فويق الكرب، لم ينبت عليه الخوص، وما ينبت عليه الخوص، فهو السعف. قال ابن الأثير: أي جريدة من النخل، هي السعفة، مما لا ينبت عليه الخوص- ولعل هذا كناية عن النعومة – لسان العرب، ج 1، ص 59).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخرى تحن إلى زوجها الأول وتشتاق إليه، وتصطنع الحيل كي تعود له. ومنهن من لم تحفظ ود زوجها وعملت على الطلاق، حتى تتزوج من أحبت. والجاحظ مع هذا يرى أن عيوب النساء محاسن وإن بدت في عيون كثير من الناس غير ذلك.

في الناشزة:

ذكر الجاحظ في هذا الباب قصصاً عديدة عن سوء معاملة المرأة لزوجها، وإنها لا ترضى بما يقدمه لها من كسوة ومطعم ونكاح، ويعيب على المرأة تعييبها الرجل لما يعيب به الرجال النساء، كذمامة الخلق والشيب، واتهامها إياه بالحسب الوضيع، ومن ذلك قول إحداهن:

"أرى شيب الرجال من الغوانـــــــي بموضـــــــع شيبهن من الرجال"[1]

والجاحظ يعيّب على النساء كلفهن بهذا الأمر ولاسيما الجانب الخلقي، ولعل هذا عائد إلى ذمامة وجه الجاحظ وقبحه، وقد عرف الجاحظ بهذا الأمر." وكان الجاحظ مشوه الخلقة ، وسمي بالجاحظ لجحوظ في عينيه ، وسمي بالحدقي ، وقال الجاحظ : ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده ، فلما رآني استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني"[2] و هو لا ينظر للجانب الأخلاقي عند الرجل ورغبة المرأة بتوفر هذا عنده على أنه عيب، كما في قصة عمر بن الخطاب والمرأة التي جاءت تشتكي زوجها، " عن عطاء بن مصعب قال: جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - فقالت: يا أمير المؤمنين،لا أنا ولا زوجي، فقال لها: ومالك من زوجك، قالت: مُرْ بإحضاره، فأحضر الرجل، فإذا به قذر الثياب قد طال شعر جسده و أنفه و رأسه، فأمر عمر أن يؤخذ من شعره، ويدخل الحمام، ويُكسى ثوبين أبيضين، ثم يؤتى به، ففعل به ذلك ودعا المرأة، فلما رأت زوجها قالت: الآن، فقال لها عمر: اتقي الله و أطيعي زوجك، قالت: أفعل يا أمير المؤمنين، فلما ولت قال عمر: تصنعوا للنساء فإنهن يحببن منكم ما تحبون منهن" [3].

نساء الخلفاء/ المطلقات:

يتحدث الجاحظ في هذا الباب عن نساء الخلفاء وأنهن كباقي النساء، فلا يختلف شأن المرأة علا أم قل، أكانت حرة أم أمة، ففيهن الغيرة و فيهن المكر، وأن الخلفاء رغبوا بهن لما فيهن من جمال ورجاحة عقل. ولم يأت هذا الباب طويلاً عند الجاحظ بل اقتصر على قصص قصيرة.

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص155.
[2] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 6.
[3] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص155.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمطلقات كان لهن نصيب عند الجاحظ في هذا الكتاب، حتى كأنه ينتقل من حالة إلى أخرى في ذكره للنساء، وكأنه يستوفي جميع أخبارهن وأحوالهن، وأما ذكره للمطلقات وما وقع عليهن من طلاق، فإن مرده إلى الرجل، أحيانا يتعجل بطلاق امرأته لسوء ظنه بها وقلة تبصره في الأمور، وأحيانا أخرى يعود الطلاق إلى المرأة لأنها لم تحسن معاشرة زوجها، ولم تصن لسانها ولم تحفظ له وداً، ومنهم من طلق امرأته على جهل فيه. " عن علي بن دعبل قال: حدثني أبي فقال: خرجت ومعي أعرابي ونبطي إلى موضع يقال له بطياثا من أمصار دجلة متنزهين، فأكلنا وشربنا، فقال الأعرابي: قل بيتاً من الشعر، فقلت:

نلنا لذيذ العيش في بطياثا

فقال الأعرابي:

لما حثثنا أقداحا ثلاثـــا

فقال النبطي:

وامرأتي طالق ثلاثـــــا

ومازال يبكي حتى الصباح، فقلت له: ما يبكيك؟، فقال: ذهبت امرأتي بقافية." [1]

محاسن الوصائف المغنيات:

ولا يزال الجاحظ متتبعاً لأخبار النساء وما يكون منهن، متقصيا أحوالهن و أفعالهن، فينتقل إلى محاسن الوصائف، ولاسيما المغنيات منهن، وما أثرن في قلوب الرجال، حتى إن مجالس الخلفاء قد امتلأت بذكرهن وغنائهن، وفيهن رقة لم تعهد في غيرهن، وهذه الرقة كانت سبباً في أن ينلن العطايا، وأن ينلن عند الخلفاء حظوة لم تنلها غيرهن من الجواري. ويذكر الجاحظ الشعر الذي غنينه والذي قلنه، وفي هذا الشعر تظهر رقة واضحة ومحبة تأخذ بالألباب، وألفاظا تستميل القلوب، وهذا الشعر الذي قلنه مع ما فيه من رقة إن غنّي كان أقرب للنفس وأحلى منه قولاً.

وبالوصائف ينهي الجاحظ أخبار محاسن النساء، وقد ابتدأه بذكر محاسن النساء النادبات، إلا أنه قد ترك بعض الأبواب دون ذكر، إن كانت محاسن أو مساوئ، إلا أن هذه المواضيع كانت تعنى بالنساء، كالناشزة ونساء الخلفاء والمطلقات.

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص161.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محاسن القيادة:

إن الجاحظ واقعي في طرحه للمواضيع المتعلقة بمجتمعه، لاسيما تلك التي تظهر مساوئ المجتمع، وما كان فيه من عادات غريبة أو أفعال مستهجنة. وهو بهذه الطريقة يصوِّر جميع فئات المجتمع من نسّاك وعبّاد وقيان وجوارٍ وغير ذلك.

وفي كتابه المحاسن والأضداد يذكر لنا عادات مجتمعه و أفعاله، وما كان منه بأسلوب شائق وجميل. وقد تناول القيادة، وخاض فيها، وذكر بعض من كان تلك صفته، فجاءت الأخبار متنوعة بين الرجال والنساء، وما لقي كل منهم بعد أن قضى لذته أو كان سببا فيها.

فجاءت بعض الأخبار تتحدث عن الطريقة التي اتخذها بعض الرجال والنساء للوصول إلى غايتهم، فمنهم من أرسل صديقه ليشغل مكان الزوجة عند زوجها حتى ترجع إلى بيتها، ونساء قد احتلن على الرجال، وقد لقي منها شراً عظيما، ونساء أخريات قد فتن بنساء مثلهن، كما يذكر شغف بعض الرجال بالغلمان وما يكابدونه من شوق لهم. وجاء كل هذا مصورا في أخبار الجاحظ تصويراً دقيقاً، حيث كان يُعنى بالتفاصيل الصغيرة وكأنه يراها.

والجاحظ في هذه الأخبار التي أوردها، ومع تلك التفاصيل الدقيقة، يطول عنده الخبر خلاف ما كان عليه في أبواب أخر، ومع كل ما أورد الجاحظ في هذا الباب مبينا فيه ما كان من عادات سيئة في مجتمعه، إلا أنه يستحسن القيادة وما تفضي إليه من خبر ظريف ونادرة خفيفة أو شعر، يحمل فيه من كلف المحب وشوقه الشيء الكثير.

محاسن النيروز والمهرجان/ محاسن الهدايا:

لا يقف الجاحظ في المحاسن التي يذكرها في كتابه عند ما ورد عن العرب، بل يتجاوزها لمحاسن أمم أخرى. وعندما يتحدث عن عادات الفرس وتقاليدهم يخص أيام النيروز والمهرجان بذكر ما فيها من محاسن، وكيف يكون الخير فيها للناس عامة. ويفيض الجاحظ في وصف أيامها بدقة، ويبين كيف قسموا هذه الأيام ما بين أشراف، وأيام نيروز الملك، وأيام الخدم، وأيام الخواص، وأيام الجند ،وكذلك أيام الرعاع. كما يذكر في هذا الباب عادات وتقاليد تلك الأقوام وما يكون منهم، بألفاظ فارسية وما يقابلها باللغة العربية.

كما يذكر أحاديث نبوية وردت عن الرسول-صلى الله عليه وسلم- في الهدايا، وأن الهدية رزق من الله عز وجل، يجب على المُهدى إليه أن يقبلها أيا كانت. وفي الأحاديث أيضا أن الهدية سبب في التحاب، وإرضاء الغضبان، وغير ذلك. وأن المُهدي يهدي على قدره، فلا فضل في الهدية إن عظمت أو صغرت، ويذكر أيضا بعض الهدايا التي اشتهرت لاسيما عند العجم، ومن تلك الهدايا التي كانت بين ملوك فارس وقياصرة الروم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما عند العامة فكانوا يتهادون بأشياء عديدة، " وربما أهدي الرجل الشريف سوطا فقبله. وكان الحكماء يهدون الحكمة، والشعراء الشعر، وأصحاب الجوهر الجوهرَ، وأصحاب نتاج الدواب الفرس الفاره والشهري النادر، والحمار المصري، والبغال الهماليج، والظرفاء قرب الحرير الصيني مملوءة ماء ورد، والمقاتلة القسي والرماح والنشاب، والصياقلة والزرادون نصول السيوف والدروع والجواشن والبيض والأسنة، وكانت نسوة الملك تهدي إحداهن الجارية الناهدة والوصيفة الرائقة"[1].

وأما عند العرب فكانوا يتلطفون بالهدايا، ويقدمون اعتذاراً مع هديته، إن كان المهدى إليه خليفة أو أميراً. وقد غلب على المجتمع التهادي فيما بينهم، حتى إنهم شاركوا العجم في بعض أعيادهم كالنيروز والمهرجان وتهادوا فيها، ويقدم فيها اعتذاره بأنه لم يجد شيئا يكون على قدر المهدى إليه، وهكذا تنوعت الهدايا واختلفت باختلاف المناسبة، واختلاف صاحب الهدية أو المهدى إليه.

مما سبق يلحظ الباحث أن الجاحظ قي هذا القسم ينصرف عما كان قد اتبعه في القسم الأول. وكأن الجاحظ قد قسم كتابه قسمين، فقد عُني القسم الأول بالأخلاق الشريفة والنبيلة وأحوال الدنيا، وفي القسم الثاني خصَ به النساء. وقد أفاض بذكرهن وأخبارهن وأحوالهن. والجاحظ في هذا القسم يخرج من موضوع إلى آخر مع شبه قريب أو بعيد بعض الشيء بين هذه الموضوعات.

النتائج المستخلصة من المواضيع المؤتلفة عند الجاحظ:

وللوقوف على ما يميز هذا القسم عما سبقه نقف على النقاط التالية:

1. خصَّ الجاحظ هذا القسم بموضوعات تتعلق بالنساء.
2. كان الجاحظ في هذا القسم ينتقل من موضوع لآخر بوجود علاقة ما بين الموضوع السابق واللاحق.
3. قد جاء هذا القسم منفصلاً عن القسم الأول وكأن كتابه قسمان.
4. قد ذكر في هذا القسم المحاسن. وقد جاء ببعض الموضوعات بالمساوئ لا بالضد.
5. قد غلب استحسانه للأمور التي تتعلق بالنساء.
6. جاءت بعض الموضوعات تتصف بالطول الشديد في هذا القسم.
7. عُني الجاحظ في هذا القسم بالتقسيم الشديد لموضوعاته لا سيما المتعلقة بالنساء.

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص236-237.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

8. إن الجاحظ لا يلتزم بعناوين بعض الموضوعات التي أوردها بل ينتقل في الموضوع الواحد من شيء إلى آخر (ظاهرة الاستطراد).

جدول رقم 4

المختلف عند البيهقي (محاسن ومساوئ) :

الرقم	المختلف عند البيهقي (محاسن و مساوىء)	
1	محاسن النتاج ومساوئه	
2	محاسن الندامة و مساوئها	
3	محاسن بعد الهمة و مساوئ سقوطها	
4	محاسن معرفة الأوائل ومساوئهم	
5	محاسن الخطب ومساوئها	
6	محاسن التأني ومساوئ العجلة والحدة	
7	محاسن المسايرة ومساوئها	
8	محاسن الخصيان ومساوئهم	
9	محاسن المسامرة ومساوئها	
10	محاسن الإغضاء ومساوئه	
11	محاسن السبق إلى الإسلام ومساوئ من ارتد عنه	
12	محاسن البلاغة و مساوئ اللحن	
13	محاسن التيقظ ومساوئ ترك التيقظ	
14	محاسن الرسل ومساوئ الرسول	
15	محاسن الحجاب ومساوئ الحجبة	
16	محاسن الرجال ومساوئ الرجال	
17	محاسن الدين ومساوئ الدين	
18	محاسن الرؤيا ومساوئ الرؤيا	
19	محاسن الأمثال ومساوئ الأمثال	
20	محاسن إصلاح البدن/ مساوئ ما يفسد البدن	
21	محاسن ما قيل في المراثي ومساوئ ما قيل فيها	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

22	محاسن الفقر، مساوئ الفقر	
23	محاسن الأزكان، مساوئ الأزكان	
24	محاسن العبيد، مساوئ العبيد، مساوئ سوء معاملات الموالي لعبيدهم	
25	محاسن المعّلمين/ مساوئ المعلّمين/ محاسن مطالبة المعلمين بالتعليم	
26	محاسن الشعراء/ وفي مدح الشعراء/ مساوئ الشعراء/ ذكر من كره الشعر/ في ذم الشعر/ ومنه مضاحيك الشعر	
27	محاسن برّ الآباء/ محاسن تأديب الولد/ مساوئ جفاء الآباء/ محاسن برّ الأبناء بالآباء و الأمهات/ مساوئ عقوق البنين/ محاسن البنات/ محاسن برّ البنات/ مساوئ من كره البنات/ مساوئ البنات	
28	محاسن الأدب/ المناظرات في الأدب/ مساوئ من ذم الأدب	

محاسن النتاج ومساوئه:

يعرض البيهقي في هذا الباب آراء غريبة في النتاج، وما كان منها من تلاقح بين الملائكة والبشر، وأن قبيلة جرهم وذا القرنين من ذلك النتاج.

ويعرض تلاقح الشياطين والجن مع البشر، وكيف أن نساء الجن يرغبن بالرجال من البشر، ورجال الجن يعشقون النساء الآدميات. ولا يكتفي البيهقي بهذا الذكر، بل يورد أسماء يشير بها إلى ذلك النتاج.

كما أنه بحديثه عن النتاج، يعرض نتاج الحيوانات، وما يكون بينها من تلاقح وتسافد، كالذي يجري بين الذئب والضبع فيكون نتاج ما بينهما حيوان يسمى السبُعْ، وكذلك الثعالب إذا ضربت في الكلاب جاءت الكلاب السلوقية. ومن الآراء الغريبة ما يقع من نتاج بين النبات والحيوان كالواقواق. وقد يكون هذا النتاج الواقع من بعض الحيوانات على اختلاف طبيعتها جائز، إلا أن الآراء التي أوردها البيهقي فيها من الغرابة الشيء الكثير، وقد أورد الجاحظ في كتابه "الحيوان" هذه الآراء وعرض لها، حتى كأن البيهقي قد قرأ كتاب الحيوان ووقف على ما فيه وضمّنه كتابه هذا.

وعندما يتحدث عن المساوئ يذكر فيها نتاج البشر بين بعضهم، والعيوب التي تكون فيهم باختلاف أجناسهم. من ذلك زواج الخراساني بهندية، فإن المولود يُخشى عليه إن كان ذكرا من لواط رجال خراسان، وإن كانت أنثى من زنا نساء الهند. ويذكر عيوب المذكرة من النساء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمؤنث من الرجال، وأنهما يحملان أسوأ صفات والديهما وعيوبهما، وأنه لا ينفع فيهما أدب ولا يفلح فيهما طب.

محاسن الندامة و مساوئها:

يقسم البيهقي محاسن الندامة بين عائشة أم المؤمنين-رضي الله عنها- وبين أبي مسلم الخراساني. وهنا يتضح مذهب البيهقي الديني في محاولته تنقيص قدر عائشة-رضي الله عنها- وما كان منها في معركة الجمل، وأنها قد ندمت على ما فعلت. ويذكر البيهقي ندم أم المؤمنين بعدد من الأخبار التي يوردها في هذا الباب. كذلك فعل البيهقي بأبي مسلم الخراساني، وما كان فيه من ندم بالقضاء على بني أمية وإقامة دولة بني العباس.

وأما المساوئ فيذكر فيها من اشتهر بشدة ندمه وتعجله في أمره وقلة صبره كالكسعي والفرزدق وغيرهما.

محاسن بعد الهمة و مساوئ سقوطها:

حاول البيهقي في كتابه استيفاء دقائق الأمور وصغائرها" كما كان جمع في عظيمها، وقد جمع من الأخبار الطريفة والقصص الممتعة الشيء الكثير؛ ليقرب بها هذا الكتاب لقارئه، فيتناول في هذا الباب بعد الهمة وسقوطها وما عناه من بعد المهمة، وهو أن لا ينشغل الرجل بصغار الأمور وأن يترك عظائمها، فإن الرجل إن فعل ذلك كان مثلبة فيه وعيب، ولا يحسن جلوسه في مجالس الرجال. وقد أورد في قصصه التي ضمّنها محاسن بعد الهمة، أخباراً عن رجال كانوا عظماء في أنفسهم، عظماء في أفعالهم. وقد حث المأمون ولده على بعد الهمة بقوله: " اعتبروا غي علو الهمة بمن ترون من وزرائي وخاصتي، إنهم والله ما بلغوا مراتبهم عندي إلا بأنفسهم، إنه من تبع منكم صغار الأمور، تبعه التصغير والتحقير، وكان قليل ما يفتقد من كبارها أكثر من كثير ما يستدرك من الصغار، فترفعوا عن دناءة الهمة، وتفرغوا لجلائل الأمور والتدبير، واستكفوا الثقات، وكونوا مثل كرام السباع التي لا تشتغل بصغار الطير والوحش، بل بجليليها وكبارها" [1].

ومما أورده البيهقي في هذا الباب ويساعد على علو الهمة هو العشق؛ لأن العشق يطلق لسان البليد، ويسجي البخيل، ويشجع الجبان، ويبعث على التلطف وإظهار المروءة في المطعم والمشرب والملبس وغير ذلك.

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص130.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي المساوئ يذكر البيهقي رجالاً كان سقوط الهمة يلازمهم، وكانوا يشتغلون بصغار الأمور، ويدعون عظيمها كالقاسم بن الرشيد والعباس بن المأمون، وقد عاب المأمون على ابنه اتخاذه المصانع وبناءه لها، في حين أن ابنه المعتصم كان منصرفا عن هذا مهتما" بأمور الرجال والجيش، وبعد هذا يورد البيهقي شيئاً من الشعر في سقوط الهمة، وكان يسبق تلك الأبيات لما فيها من هجاء بقوله: "سامحه الله عز وجل" و"سامحه الله وعفا عنه". ولعل هذا عائد إلى شخصية البيهقي الدينية وبعده عن المكروه.

محاسن معرفة الأوائل ومساوئهم:

يذكر البيهقي في محاسن الأوائل كل ما كان حسناً في الجاهلية أو الإسلام، كما يذكر أول من سنّ هذه السنّة الحسنة وعمل بها، ويعيد بعض الأمور لعصور تولت كعصر نوح أو إدريس – عليهما السلام-، كما يذكر بعض المحاسن التي وقعت من الكفار أو المشركين.

وفي المساوئ ينظر لما كان من الناس من عمل سيء ألهى عن ذكر الله، وكان فيه إثم كبير، كالغناء والموسيقى.

محاسن الخطب ومساوئها:

جاءت الخطب التي ذكرها البيهقي في النكاح، و كانت الخطب مختصرة واضحة، قد أوجز فيها الخاطب فأبدى حاجته ورغبته، وابتدأت بحمد الله والصلاة على نبيه الكريم، وقد ذكر بعدها الحاجة وما بذل الخاطب من مهر وما كان عليه من خلق، وقد ذكّر أهل الفتاة بالآخرة وما فيها من أجر، وانتهت بالحمد كقوله:"وفلان ابن فلان قد بذل لكم الموجود ووعدكم الوفاء المحمود، فأجيبوه إلى ما رغب فيه، تحمدوا العاقبة وتذخروا الأجرة للآخرة".[1]

وقد جاءت بعض الردود على هذه الخطب، بخطب أخرى مماثلة لها، مختصرة تهدف إلى المعنى وترمي إلى الحاجة بأقل لفظ. كقوله: " الحمد لله ذي القوة والكبرياء، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء، قد زوجتك على ما في كتاب الله-عز وجل- (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)"[2].

أما في المساوئ فلم تقتصر الخطب على خطب النكاح، فقد تعدتها إلى مواضيع أخرى، منها ما ألقيت في مسجد أو احتوت على ألفاظٍ غريبة غير محددة وتدعو إلى الرذيلة عوضاً عن أن تدعو إلى الفضيلة. أما الخطبة الأخرى فكانت طريفة مضحكة، تنسب إلى جحا في محاولته لقول خطبة النكاح، فبدا فيها بالكفر عوضاً عن الإيمان.

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص330.
[2] المصدر نفسه، ص 330.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، عدداً من هذه الخطب سواءً أكانت في المحاسن أم المساوئ.

محاسن التأني ومساوئ العجلة والحدة:

يتناول البيهقي محاسن التأني بذكر أقوال لبعض الحكماء وأبيات شعر وأحاديث نبوية شريفة تحث على التأني، حيث في التأني السلامة. ونهى عن الاستعجال إذ يؤدي إلى الندامة. وخير ما يدفع الإنسان إلى التأني خلق الله-عز وجل- السموات في ستة أيام ولو شاء لقال لها كوني فكانت. ولم نرَ البيهقي يورد قصصاً تدعم الموضوع كعادته، إنما اكتفى بالأقوال والأشعار والأحاديث.

أما في المساوئ؛ يورد قصتين للمأمون تتحدثان عن عاقبة العجلة والحدة، وكلتا القصتين فيها شيء من الطرافة والخبر المضحك.

ولم يأت هذا الباب طويلاً لدى البيهقي حتى كأنه بالحكم والأمثال التي أوردها في محاسن التأني، قد ذكر لنا مساوئ العجلة. وعلى هذا كانت المساوئ أيضاً قصيرة، ولم يذكر فيها إلا خبرين، وكأنهما شرح لما أورده في المحاسن.

محاسن المسايرة ومساوئها:

قصد البيهقي بالمسايرة رفقة أحد رجال العامة للخليفة في المسير، وقد أورد البيهقي عدداً من القصص مع أشخاص مختلفين، وكلها تؤكد الفكرة ذاتها، وهي أن الخليفة يساير رجلاً ويحدثه بحديثٍ ما، فيعرض للرجل عارض ما في الطريق، فيستاء لذلك الخليفة، فما يكون من الرجل إلا حسن الإجابة، ويعزو ذلك إلى إصغائه، وأن حديث الملك قد سلب عليه لبّه، فلم ينتبه لذلك العارض، فما يكون من الملك إلا أن يسرّ بإجابته ويأمر له بالعطايا ويكرمه.

ومن ذلك ما حكي عن يزيد بن شجرة الزهادي "أنه بينما هو يسير مع معاوية، ومعاوية يحدثه عن خزاعة ويومها وبني مخزوم وقريش، وكل هذا قبل الهجرة، وكان يوم إشراف الفريقين على الهلكة، حتى جاءهم أبو سفيان فارتفع ببعيره على رايته، ثم أومأ بكمه إلى الفريقين فانصرفوا، فبينما يحدث يزيد بن شجرة بهذا الحديث،إذ صك وجه يزيد حجر عائر فأدماه، وجعلت الدماء تسيل من وجهه على ثوبه ما يمسحه. فقال معاوية: لله أنت! ما ترى ما نزل بك؟ قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا دم وجهك يسيل على ثوبك! فقال: أعتق ما أملك إن لم يكن حديث أمير المؤمنين ألهاني حتى غمر فكري وغطى على قلبي، فما شعرت بشيء حتى نبهني له أمير المؤمنين. فقال معاوية: لقد ظلمك من جعلك في ألف من العطاء و أخرجك عن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عطاء أبناء المهاجرين وحماة أهل صقين، وأمر له بمائة ألف درهم وزاد في عطائه ألف درهم وجعله بين ثوبه وجلده".[1]

أما في مساوئ المسايرة، فيذكر البيهقي قصتين في كلتيهما ينشد المسايِر أبيات شعر خطرت في باله ليست في موضعها فينزعج لها الخليفة، لكنه يغضي عنها نظراً لحق المسايرة.

محاسن الخصيان ومساوئهم:

يتحدث البيهقي في محاسن الخصيان عن بعض الصفات الحسنة التي يمتاز بها الخصي عن غيره، ومن ذلك أنه لا يصلع، وأنه لا يكون مخنثا، والمرأة تميل إليه لأن أمره أستر وعاقبته أسلم، وهو من أطول الناس أعماراً، وقد يكون ذلك لعدم النكاح وقلة استنزاح النطف، ومن صفاته الحسنة أيضاً أنه أجود خدمة وأفطن لأبواب المعاطاة وأذكى عقلاً عند المخاطبة.

أما المساوئ فيذكر الصفات السيئة للخصيان؛ إذ إنّ الخصي نتن، يعتريه خبث العرق، يعرض له القدم واعوجاج الأصابع، بالإضافة إلى ما يصيبه من الهزال وسوء الحال، ويعرض له سرعة الرضى والغضب وحب النميمة، ويعرض لهم الشره عند الطعام والبخل عليه. وفي الخصيان شَرَهٌ شديدٌ وميلٌ عصيبٌ إلى النساء.

وهكذا يعرض البيهقي للصفات الجسدية والنفسية للخصي، ولا يكتفي بهذا بل يعقد مقارنة بين الخصي من الحيوانات والخصي من الإنسان. وما وجه الشبه، وعلى أي نحو تكون المفارقة، وهذه المقارنة تحتاج لعين تحسن الملاحظة وذهن متقد، وقد عرف هذا عند الجاحظ وكان إذا سمع خبراً امتحنه بالتجربة. وقد عقد الجاحظ في كتابه الحيوان عدة فصول عن الخصيان وأدبهم وما يستحسن منهم وما يستقبح، وقد ورد في كتاب الحيوان القصص ذاتها التي وردت في كتاب البيهقي.

ومن القصص التي تدلل على ميلهم للنساء ما حكي عن أبي المبارك الخصي ومسامحته في حفظ النساء " فقال: والله إني ربما أسمع نغمة المرأة فأظن أن كبدي قد ذابت، وأن عقلي قد اختلس، وربما نزا فؤادي عند ضحك إحداهن، حتى أظن أنه قد خرج من فمي فكيف ألوم عليه غيري؟ ".[2]

ثم يذكر بعد ذلك قصتين، يذكر في الأولى كيف أن الخصي حال بين الجمّاز والجارية التي يعشقها ومنعها من الدنو منه. وفي القصة الثانية قصة الخصي خادم المنصور إذ منع

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 338- 339.
[2] المصدر نفسه، ص 415.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنصور بسببه الخدم من دخول دار النساء، وذلك لقول إسحاق بن مسلم العقيلي فيه: " يا أميـــر المؤمنين فبكم شمّة هذا وضمته أحب إليها من شمّتك وضمتك".[1]

محاسن المسامرة ومساوئها:

اقتصر البيهقي في محاسن المسامرة على قصة طويلة للرشيد تتحدث عن أول من ســنّ الكتابة في الذهب والفضة على النقود، وقد عرض فيها إلى حـــسن المنادمـــة و القـــصص ذات الفائدة التي تظهر فيها الحيلة والموعظة الحسنة و النهاية الجيدة، فتكون هذه القصص أجمل مـــا يكون للسمر والمنادمة. وتظهر في القصة ثقافة الرشيد وما هو عليه من أدب وفكر، وفـــي هـــذه القصة يذكر لنا البيهقي حسن صنيع عبد الملك بن مروان في صك النقود الإســـلامية، وتقـــسيمه إياها دنانير ودراهم، وعلى أي نحو كان هذا التقسيم. أما في المساوئ فقد أورد البيهقـــي قـــصة أخرى رويت في مجلس لأبي العباس رواها سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيـــرة المخزومـــي، فكانت مما لا يصلح في مجلس سمر للخليفة، و مما لا يجوز ذكره لاحتوائـــه علـــى الملاهـــي والفواحش وذكر العورات.

محاسن الإغضاء ومساوئه:

تناول البيهقي محاسن الإغضاء بعدد من القصص حيث يتغاضى الخليفة أو الملك عن أحد العامة، إذ تطمع نفسه لذهب أو مال فيتغاضى عنه عن طيب نفس منه، ويصرف عنه الأنظـــار، فيستفيد منها بحيازتها وبيعها، وممّا ما حُكي عن معاوية بن أبي سفيان أنه قعد للناس فـــي يـــوم عيد، ووضعت الموائد، وبدر الدراهم للجوائز والصلات ، فجاء رجل من الجماعة فقعـــد علـــى كيس فيه دنانير والناس يأكلون، فصاح به الخدَم: تَنحَّ فليس لك هذا الموضع!.

فسمع معاوية وقال: دعوا الرجل حيث أحب، و أخذ الكيس، ولم يجسُر أحد أن يدنو منـــه، فقال الخدم: أصلح الله الأمير ! إنه قد نقص من المال كيس فيه دنانير! فقال: أنا صـــاحبه وهـــو محسوب عليّ بكم[2].

وفي المساوئ يذكر البيهقي قصصاً قصيرة تدور كلها حول زياد، إذ كان لا يتغاضى عـــن أي خطأ كان، ويعاقب عليه أشد العقوبة، "وكان يقول لو ضاع بيني وبين خراسان شيء لعلمـــت من أخذه"[3] فلا يغيب عن ناظره شيء و يحكم بالشدة، وقد عمل الحجاج بعمل زياد، فكان مثلـــه لا يتغاضى عن صغار الأمور كما لا يتغاضى عن كبارها.

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 416.
[2] المصدر نفسه، ص345.
[3] المصدر نفسه، ص346.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما أورده البيهقي من قصص في مساوئ الإغضاء أوردها الجاحظ في ضد العفو و كانت القصص متشابهة في الطرح والأسلوب .

محاسن السبق إلى الإسلام ومساوئ من ارتد عنه:

يتحدث البيهقي في محاسن السبق إلى الإسلام عن إسلام أول الصحابة أبي بكر الصديق وكيف هدى الله به عددا من الصحابة كانوا من السابقين إلى الإسلام كطلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ومن بعدهم عثمان بن عفان بن مظعون وأبي عبيدة ابن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن الأسد والأرقم بن أبي الأرقم _ رضوان الله عليهم _، ثم يذكر قصة إسلام عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ وكيف أن الدين لم يزل عزيزا منذ أسلم، ويذكر أيضا إسلام عثمان بن عفان _ رضي الله عنه _، وقد أورد البيهقي في كتابه المحاسن عددا من الصحابة، و سيأتي الباحث على ذكرهم في المحاسن وحدها.

وفي مساوئ من ارتد عن الإسلام يتحدث البيهقي عن قصة جبلة بن الأيهم الغساني، وارتداده عن الإسلام، و ذلك لأنه لم يدرك أن الناس في الإسلام شريفهم ووضيعهم في الحق سواء، فتنصر لذلك ودخل أرض الروم واستخلفه ملك الروم على ملكه، إلا أنه بقي يحن لبلاد الشام، ويبكي لارتداده عن الإسلام ويصل من كان يعرف في إسلامه، و يكتفي البيهقي بإيراد هذه القصة عن مساوئ من ارتد عن الإسلام.

محاسن البلاغة و مساوئ اللحن:

عمد البيهقي في هذا الباب إلى عدد من الأقوال يعرّف فيها البلاغة وكانت هذه الأقوال مختلفة باختلاف أصول قائليها. وقد أثنى كل منهم على البلاغة وقال فيها بالقدر الذي يعرف وقد وردت هذه الأقوال في كتاب (البيان والتبيين) عند الجاحظ، ومنها: (قال الفارسي البلاغة أن تعرف الفصل من الوصل، وقال الهندي: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة. وقال اليوناني: البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام)[1].

وقد أطال الجاحظ باب البلاغة في كتابه، وذكر أقوالاً عديدة وقصص متنوعة لم ترد عند البيهقي، ولم يعقِب البيهقي في باب محاسن البلاغة بقول أو خبر.

وفي المساوئ يذكر البيهقي عدداً من الأخبار تظهر فيها مساوئ اللحن و الإعراب، و إخراج الحروف بغير مخارجها، فغلب عليها طابع الطرافة . وقد ورد شيء من هذا الباب في

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 88؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 292- ص293.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضد محاسن الكتب عند الجاحظ، ولم يفرد الجاحظ في كتابه (المحاسن و الأضداد) باباً لمحاسن البلاغة.

محاسن التيقظ ومساوئ ترك التيقظ:

جاء هذا الباب عند البيهقي طويلاً بعض الشيء في محاسن التيقظ .والذي عناه البيهقي من هذا الباب هو معرفة الحاكم بأمور رعيته بحيث لا يخفى عليه شيء.

وقد ذكر لنا أخباراً عن ملوك فارس وأمراء المؤمنين، وكانت هذه القصص تدور حول التيقظ الذي يتمتع به الحاكم بتلك الأمور التي تجري بعيدا عنه. وقد ذكر لنا أناسا عُرفوا بالتيقظ كعمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان وزياد بن أبيه والحجاج والمنصور والرشيد والمعتصم، وذكر لنا أمورا يستطيع بها الحاكم أن يعرف أمور رعيته، ومنها: بث العيون بين الناس وفطنته ومعرفته.

وأما ما جاء في مساوئ التيقظ وتركه، فالبيهقي يورد خبراً صغيراً عن سبب زوال ملك بني أمية. وقد عزى هذا السبب لترك التيقظ. مع أنّ البيهقي قد أورد في محاسن التيقظ قصصًا وأخباراً وأسماء لرجال من بني أمية.

محاسن الرسل ومساوئ الرسول:

إنما قصد البيهقي من هذا الباب الرسل الذين يحملون رسالة قد كلفوا بها بين ملكين ، وقد اشترط البيهقي شروطاً للرسول كما ذكر أردشير: "على الملك إذا وجه رسولاً إلى ملك آخر أن يردفه بآخر، وإن وجه رسولين أتبعهما بآخرين. وإن أمكنه أن لا يجمع بينهما في طريق ولا ملاقاة، وألا يتعارفا فيتفقان ويتواطآن في شيء فُعل. ثم إن أتاه رسول بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شر، أن لا يحدث حدثاً في ذلك، حتى يكتب إليه مع رسول آخر ويحكي به كتابه الأول حرفاً حرفاً، فإن الرسول ربما خرم ما أملي عليه وافتعل الكتب وحرَّض المرسل على المرسل إليه وأغراه به وكذب عليه "[1].

والبيهقي قد أورد حكما وآراء من ملوك العجم، وكيف ينتقل الرسول بين درجات الرسل حتى يصبح رسولا للأمة، ففي بادئ الأمر يكون رسولا للخاصة، فإن أدى رسالته على أكمل وجه كان رسولا لأعداء دولته. وإن اجتازها ووثق به الملك جعله رسولاً للأمم كافة. وأما عند العرب فإنهم يرون تقصير الرسول في رسالته من تقصير المرسل، وأن الرسول إشارة لعقل المرسل:

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 120.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"إذا أرسلت في أمر رســـــــولا فأفـهـمه وأرســـله أديـبـــــــــــا
ولا تـترك وصيـته لشـــــــيء وإن هو كان ذا عـقل أديبـــــــــــــا
وإن ضيعـت ذاك لا تلـــــــمه على أن لم يكن علـم الغيوبـــــــــــا"[1]

وأما ما ورد عنده من مساوئ الرسل؛ فقصة أوردها عن تلاعب الرسول بالرسالة التـي يحملها، وقلة أمانته واتباع هواه.

محاسن الحُجَّاب ومساوئ الحجبة:

يعرض البيهقي في هذا الباب قصصاً وأخباراً متنوعة عن الحجاب، ومـا يـشترط فـي الحاجب، وينبغي على الحاجب أن يكون شديداً مع أهل بيت من ولّاه الحجابة، وأن يكون ليناً مع العامة. فقد كانت الأعاجم تقول: "ما شيء بأضيع للملكة ولا أضيع للرعية من صعوبة الحجاب، ولا شيء أهيب للرعية بسهولة الحجاب، لأن الرعية إذا وثقت من الـوالي بـسهولة الحجـاب أحجمت عن الظلم، وإذا وثقت منه بصعوبة الحجاب هجمت على الظلم، وركـب القـوي مـنهم الضعيف، فخير خلال السلطان سهولة الحجاب"[2]

وهذا دأب البيهقي في معظم أبوابه، حيث يقدم أخباراً عن ملوك فارس أو عـن عامتهـا وكأنه لا يستطيع أن ينسى أنه فارسي الأصل، وقد ذكر في محاسن الحجاب خبرا عن زياد ابـن أبيه وأظن أن مكانه في مساوئ الحجاب لا في محاسنه، لأن الحاجب في هذا الخبر يقدم معارفه ويؤخر من دونه، وهذا من مساوئ الحجاب.

وأما في مساوئ الحجاب، فقد أورد البيهقي عددا كبيرا من الأشعار التي تـذم الحاجـب، وتعيب عليه عمله ،وجاءت غالبية هذه الأبيات مضحكة وتدعو إلى السخرية، كمـا فـي قـول الشاعر:

"سأترك باباً أنت تملـــــــك إذنه وإن كنت أعمى عن جميـع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتـــــها وحوَّلت رجلي مسرعا نحـــو مالك"[3]

وقال آخر:

"وأحضر باب إبراهيم جـــــهلا بما فيه أرشو الحاجـــــــــــبين
وأخرج أن خرجت بغير شـــــيء وأدخل أن دخلت بدرهمـــــــــــين"[4]

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 120.
[2] المصدر نفسه، ص 122.
[3] المصدر نفسه، ص 125.
[4] المصدر نفسه، ص 125- 126.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محاسن الرجال ومساوئ الرجال:

إن ما أورده البيهقي في محاسن الرجال أقوال لم ينسبها إلى أحد بل كانت كلها تنسب إلى الأعراب، وهذه الأقوال التي جاء بها كانت تحث على مكارم الأخلاق وحسن الفعال ،وجاءت هذه الأقوال مسجوعة ومقتضبة ،"مدح أعرابي رجلا فقال: هو أكسبهم للمعدوم وآكلهم للمأدوم وأعطاهم للمحروم"[1].

وهو في هذا الباب يراوح بين مدح الفرد ومدح الجماعة، وأما في المساوئ فقد جاءت أطول من مثيلتها المحاسن، لكنه في بادئ الأمر لم ينسب الأقوال لأحد، وإنما جاءت الأقوال كما هي في المحاسن مقتضبة ومسجوعة، "وذم أعرابي رجلا فقال: إذا سأل ألحف وإذا سئل سوَّف، يحسن أن يفضَّل وزهد في أن يفضِّل"[2].

هذه الأقوال كانت تدل على سوء الأخلاق وعدم اصطناع المعروف مع الآخرين وقد أورد البيهقي قصة مطولة عن الحطيئة وذكر فيها عدداً من أبيات الشعر وكيف يتفاخر الرجال بسوء أخلاقهم وسوء صنيعهم .

محاسن الديْن ومساوئ الديْن:

يعرض البيهقي في محاسن الدين لقصتين، الأولى تتحدث عن أحد الرجال. وقد كان عليه دين واستطاع أن يتخلص من غريمه عند القاضي بفطنته وذكائه. والقصة الثانية تتحدث عن حسن التصرف، وكيف يفضي هذا الحسن لإسقاط الدين.

وقد أورد البيهقي أخبارا متنوعة في مساوئ الدين يتحدث فيها عن المدين وصاحب الدين، ويذكر غلاظة المدين وفظاظته في استيفاء حقه. كما أنه يذكر إنكار صاحب الدين لدينه، وأكله لهذا الدين ،وأن يحلف أنه لم يعطه شيء.

"ألم تعلما أني طموح عنانه وأني لا يقضي علي أمير
طمست الذي في الصك مني بحلفة سيغفرها الرحمن وهو غفور"[3]
"أرى الغرماء قد كثروا وضجوا إلى السلطان غير مقصرينا
فإن سألوا اليمين فقد ربحنا وإن سألوا الشهود فقد خُزينا"[4]

---

(1) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 197.
(2) المصدر نفسه، ص 199.
(3) المصدر نفسه، ص 219.
(4) المصدر نفسه، ص 220.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محاسن الرؤيا ومساوئ الرؤيا:

يتحدث البيهقي في هذا الباب عن الرؤيا وحسن تأويلها ،ويتحدث أيضا عن المأمون وكيف كان لا يؤمن بالرؤيا، حتى رأى رؤية في منامه وصَدَقَتْ، والرؤيا قد تكون صريحة واضحة أو تكون غامضة تحتاج إلى تأويل ،وقد تكون لصاحبها أو لآخر.

وأورد البيهقي قصة تتحدث عمّا يلحق النائم من أضغاث أحلام فتغمه وتحزنه، وهي ليست من الرؤيا، وقد أورد قصة واحدة في مساوئ الرؤيا تتحدث عن امرأة رأت في منامها شيئاً فظنته رؤيا. وبعد هذا رأت الرسول عليه الصلاة والسلام فأخبرها أنها أضغاث أحلام لا رؤيا.

محاسن الأمثال ومساوئها:

إن ما ورد عند البيهقي في هذا الباب أمثال أخذت جانب الكناية، فالبيهقي يورد المثل ثم يعلق عليه أو يشرحه، كقوله: " آتيه في البردين، يعني قبل أن يشتد الحر وبعدما يسكن، والمعنى فيه أيضا: بالغداة والعشي.

قال الشاعر:

يسرن الليل والبردين حتى إذا أظهرن رقعن الظلالا"[1]

والأمثال التي ترد في محاسن الأمثال غالبيتها أو معظمها يكون فيها مدح لمكارم الأخلاق والجود، وقد علّق البيهقي على بعضها بأبيات من الشعر.

ولعل ما ورد عند البيهقي في مساوئ الأمثال حكم مفيدة، وقد أوردها البيهقي في مساوئ الأمثال، لأنها قيلت في أناس يفتقرون للشجاعة والجود والكرم أو الحكمة وحسن التدبير، لكنها أمثال مفيدة نافعة ،وقد جاء في مساوئ الأمثال "أماطله العصرين، يعنون الغداة والعشي، وقال الشاعر:

أماطله العصرين حتى يملني ويرضى بنصف الدين والأنفُ راغمُ"[2]

ويرى الباحث أن هذا المثل وبيت الشعر لو كانا في مساوئ الدين لكان أفضل.

محاسن إصلاح البدن/ مساوئ ما يفسد البدن:

يتفاوت عرض البيهقي في هذا الموضوع بين المحاسن والمساوئ، فالمحاسن عنده جاءت طويلة في حين أن المساوئ لم تتجاوز السطرين. وما دعا له البيهقي في المحاسن حسن الاقتصاد بالطعام، وأن لا يكثر المرء في طعامه وأن يجلس على الطعام وهو يشتهيه، ويقوم عنه

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 331

[2] المصدر نفسه، ص 333.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يشتهيه، وأن عليه أموراً بسيطة إن عمل بها حفظ نفسه من شر عظيم ، كمثل " إياك أن تسير شبراً من الأرض وأنت حافٍ، ولا تذوقن نبتة ولا تشمنها حتى تعرفها، وإياك وأن تبول في شق الأرض فتخرج منه عليك داهية، ولا تشرب من فم قربة ولا إداوة حتى سكون الماء معينا، واحذر مرافقة المعرفة، ومن لا تعرف فلا تصاحبه، وإياك والسجود على بارية جديدة حتى تمسحها بكمك فرب شظية حقيرة فقأت عيناً خطيرة، ولا تنظرن في بئر عادية، ولا تشهدن من الحيوان الكبار ما هو في النزع، واقبل وصيتي ترشد ولا تدعها فتندم "[1].

ويرى البيهقي أن الوقاية من المرض أسهل من معالجته، وأن الإنسان لا يحتاج الدواء إذا وقى نفسه الوقوع في المرض، وإن كل ما ورد عند البيهقي في هذا الباب حكم وأقوال لفلاسفة ونصائح أطباء وأحاديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام.

كما عرض لأنواع من الأمراض تُذهب أمراضاً أخرى، وأما ما ورد في المساوئ فقد ذكر خبر رجل مع عبد الملك بن أبجر. وأما ما في الخبر النهي عن الجمع أثناء الطعام بين الضدين لأنه مما يفسد البدن.

محاسن ما قيل في المراثي ومساوئ ما قيل فيها:

إن نظرة البيهقي للمراثي وما حسن منها فإنما يتفق مع الدين ومكارم الأخلاق، وإنه ليعلو بذوق من يرويه ومن يسمعه، وإن الرثاء من أجود الشعر وأصدقه، ثم يذكر البيهقي شيئاً من أبيات الرثاء، ونخلص إلى الأفكار الآتية:

1- إن المرثي لا يموت بل يبقى حياً بما قيل فيه من الرثاء .
2- الإيمان بالله وقدره وأن الموت حق.
3- إن مصيبة الموت تهون أمامها أي مصيبة.
4- إن الأبيات التي اختارها تخلع على الميت أفضل الصفات وأكرم الأخلاق.

والمساوئ تتعارض مع ذوق المسلم ، فإنما جاء فيها خبر عن القاسم بن عبد الله الذي تعالى وتجبر وطغى وأفسد ثم جاءه الموت، وقد قال شعراً قبل موته يتفاخر فيه بما صنع من المعاصي وما آلت إليه حاله وهو على فراش الموت.

وهذا ما دعا بعض الشعراء لهجاء القاسم بن عبد الله بعد موته، بقوله:

"خرجت من الدنيا ذميما إلى القبر فلا أحد يأسى ولا عبرة تجري

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 220-221.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترت رسول الله في أهل بيتـــه فكيف رأيت الله طالب بالوتر"[1]

وقد ذكر أيضا شعرا قيل في رثاء النصارى، ومنه:

"وما نار بمحرقة جـــــــوادا وإن كان الجواد من المجوس"[2]

وفي المساوئ خبر أسنده البيهقي للجاحظ.

محاسن الفقر، مساوئ الفقر:

ويمضي البيهقي في تتبع الصفات الخلقية ويتناول الفقر أثنـــاء عرضـــه لهـــذه الـــصفات، والبيهقي أديب ذو ثقافة دينية، وقد ابتدأ حديثه عن الفقر بأحاديث نبوية تدل على أجر الفقير عنـــد الله عز وجلّ يوم القيامة. وذكر بعد هذا أقوالاً لبعض الصالحين ومن ابتلاهم الله بالفقر، فحوّلـــوا هذا الابتلاء إلى نعمة قد شكروا الله عليها، ومنهم الفضيل بن عيّاض، حيث قال في دعائه: "اللّهم أجعتني وأجعت عيالي، وتركتنا في ظلم الليل بلا مصباح، وإنما تفعل هذا بأوليائك فبأي منزلـــة نلت هذا منك يا رب ؟"[3].

وقد ذكر أيضاً دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام حيث دعا ربه أن يجعل رزقـــه جـــوع يوم وشبع يوم. وبعد هذا ينتقل البيهقي إلى مساوئ الفقر، وقد تطرّق فيه إلى عدة موضـــوعات، فهو لم يذكر مساوئ الفقر فقط بل مساوئ الغنى، وذكر أيضاً نظرة المجتمع للفقيـــر، فهـــو فـــي نظرهم ميت ولا يعبأ به أحد. ومن جهة أخرى ذكر ما يفعل الغنى بـــالفقير إذا حـــسنت حالـــه. وقيل إنه إذا أيسر الفقير ابتلي به ثلاثة: "صديقه القديم يجفوه وامرأته يتزوج عليها وداره يهدمها ويبنيها"[4].

وعلى هذا كان البيهقي ينتقل من مساوئ الفقر إلى مساوئ الغنى، وقد ذكر أخباراً متنوعة عن الفقر وما يؤول إليه حال الفقير. وبعد أن انتهى من الأخبار جاء بما قيل في هذا الباب مـــن شعر، فمن مادح للفقر أو ذامٍ له، وكذلك كان الفقر بين مدح وذم.

وقد اختلف الشعراء بما قالوا في هذا الباب كل حسب ما يرى. وقد تهكّم بعضهم وصـــوّر لنا صورة الفقر بأسلوب مضحك.

"بقيتُ ومركبي البرذون حتـــى أخفّ الكيس إغلاء الشعيـــــر

وصرت الى البغال فأعجزتني وصرت من البغال الى الحمير

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص259.
[2] المصدر نفسه، ص 259.
[3] المصدر نفسه، ص 205.
[4] المصدر نفسه، ص 205.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعزّتني الحمير فصرت أمشـــي أزجّي الرّجل تزجية الكسيـــــر"[1]

"أتراني أرى من الدهر يومـــاً لي يوماً مطية غير رجلـــــي

وإذا كنت في جمع فقالـــــوا قرِّبوا للرحيل قرّبت نعلـــــي

حيثما كنت لا أخلّف رحـــــلاً منْ رآني فقد رآني ورحْلـــي"[2]

وقد تضمّنت بعض الأبيات حكماً تسدّد طريق القارئ، و مما لا شك فيه أن الحكم أنجع لـــدى المتلقي و أسهل في الحفظ.

منْ كان ذا مالٍ كثيرٍ فـــــلمْ يقنعْ فذاك الموسرُ المقـــــتر

الفقر في النفس و فيها الغنى وفي غنى النفس الغنى الأكبرُ[3]

محاسن الأزكان، مساوئ الأزكان:

يعرض البيهقيّ موضوعات متنوعة متناولاً فيها جوانب الحيـــاة كافـــة، مـــصوراً إياهـــا تصويراً دقيقاً، وقد يطيل في بعض الأبواب وأخرى يتناولها بالاختصار الـــشديد. وهـــذا البـــاب يعرض فيه لفطنة الرجل، وعلى أيّ حالٍ يكون ذلك. وتقتصر الفطنة عنده على الأخبـــار التـــي رواها عن إياس، وما كان من قدرته في تتبّع دقائق الأمور وخبرته في أمور الحياة، سواءً كـــان ذلك في المحاسن أو في المساوئ . وإياس يظهر في المساوئ أيضاً بشكلٍ حسن، إلاّ أن ظنه قد وافق ما كان عليه حال من ظنّ به السوء فوجده على ذلك.

ولم يعرض البيهقيّ لغير إياس من الرجال و كذلك استثنى النساء من هذه الميزة.

محاسن العبيد، مساوئ العبيد، مساوئ سوء معاملات الموالي لعبيدهم:

قد حاول البيهقيّ في كتابه تناول فئات المجتمع وكان للعبيد والموالي حظ عنده. وقد حاول في هذا الباب لفت النظر إلى ما يكون منهم من أدبٍ وأخلاق، فإن كان مولىً أو عبـــد فهـــذا لا ينتقص من قدره شيء، لأن الأخلاق موجودة فيه، وليس لها شأن إن عظم شأن الفـــرد أو قـــلّ. ففي المحاسن يظهر من بعض العبيد الكرم والأمانة وكذلك حسن التصرّف. وهذا ما دعا بعـــض السادة لشرائهم وإعتاقهم، فكان حسن صنيعهم وأدبهم عوناً لهم في أن ينالوا حريتهم.

ولمّا كان البيهقيّ ينظر إلى فئة العبيد على أنهم طبقة من طبقات المجتمع و قـــد صـــوّر محاسنها فلا بد له أن يصور المساوئ. وقد اهتمّ البيهقيّ بمحاسن الخلق، ولذا كانت المـــساوئ

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 209.

[2] المصدر نفسه، ص 209.

[3] المصدر نفسه، ص 210.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنده تُعنى بأخلاقهم، ومن سوء الخلق الذي تحدّث عنه البيهقيّ في المساوئ النميمة، وعدم إطاعة العبد لسيّده.

ولم يكتف البيهقيّ بالحديث عن محاسن العبيد ومساوئهم، بل وتحدّث عن مساوئ معاملة الموالي لعبيدهم، وقد عاب على الموالي ضربهم لعبيدهم وأخذهم بالشيء اليسير، كما عاب عليهم غلظتهم وإساءتهم لهم بأخلاقٍ تتنافى مع الدين الإسلامي، كقول أحدهم: "باعك الله في الأعراب. فقال: لأنّا نجيع كبده ونعري جلْده ونطيل كدّه"[1]

محاسن المعلّمين/ مساوئ المعلّمين/ محاسن مطالبة المعلمين بالتعليم:

لعلّ اطّلاع البيهقيّ على كتب الجاحظ ورسائله دعاه للتأثر به أشدّ التأثر، فقد كتب الجاحظ في (البيان و التبيين) شيئاً عن المعلمين وأخبارهم و قد أفرد لهم رسالة سمّاها (رسالة المعلمين)، ورد فيها بعض الأخبار التي أوردها عند البيهقيّ في كتابه (المحاسن و المساوئ).

وتظهر قدرة المعلم في المحاسن على الردّ والإقناع، ودفع الدليل بالدليل، والحجة بالحجة فتكون له الغلبة والنصر على خصمه. كما تظهر ثقافة المعلم و تأديبه للصبيان وأخذهم بالشدّة لبطالة الغلام وبلادته.

وفي المساوئ يأخذ البيهقيّ على المعلمين سوء قراءتهم للقرآن، والوقوف في مواضع لا يجب الوقوف فيها، أو خلطهم بين آياتٍ متشابهات بسورٍ مختلفة.

وقبل هذا كله قدم البيهقيّ أخباراً تُعنى بحسن اختيار المعلم ومطالبته بالتعليم على أحسن ما يكون، والأخبار التي أوردها كانت تدور حول الرشيد وولديه الأمين والمأمون وما كان من الرشيد من فطنة في اختيار المعلم، كما أنّ الرشيد كان يوجه المعلم بأصناف العلوم التي يجب أن يعلمها و كذلك كيفية تأديب الولد.

محاسن الشعراء/ و في مدح الشعراء/ مساوئ الشعراء/ ذكر من كره الشعر /في ذم الشعر/ ومنه مضاحيك الشعر:

يخوض البيهقيّ في الشعر والشعراء وآراء النقّاد وما استحسنوا من قولهم وما استقبحوا، فيذكر محاسن بعض الشعراء وفضلهم على الشعراء الآخرين وما استفتحوا لهم من منغلِق، وما قدموه من صور غريبة وأسلوب رشيق. ويعرض لآراء النقاد وما مدحوا فيه كل شاعر، ولم

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 417.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تخلُ هذه الآراء النقدية من هون و تسرّع كقولهم :" افتتح الشعر بـــامرئ القــيس وخـــتم بـــابن هرمة"[1]

"وأشعر الشعراء ثلاثة: امرؤ القيس والنابغة وزهير"[2]

"وأشعر الناس في صفة الخمر ثلاثة: الأعشى والأخطل وأبو نوّاس"[3]

وقد غلب على هذه الآراء تكرار الرقم ثلاثة وإلزامهم أنفسهم بأشعر ثلاثة في الجاهليـــة أو الإسلام أو أشعر ثلاثة من الفرسان. وأمّا في مدح الشعراء فقصر هـــذا البـــاب علـــى مـــدحهم للرّسول والدين وأخلاق المسلمين وهجائهم للمشركين. وفي المساوئ يتحدّث عن هجاء الشعراء وما يكون منهم في التعرض للحرم و الأخلاق و تأثر الناس بهجائهم.

ويظلّ البيهقيّ يعرض موضوعاً تلو الموضوع من تلك التي لها علاقة بالشعر و الشعراء، فيعرض لذكر من كره الشعر من الخلفاء وعلى أيّ حالٍ كرهه، فمنهم من كره المديح و الهجـــاء ولم ير الشاعر أهلاً لهذا الفن، وآخر كمعاوية يفصح عن رأيه في الشعر.

"إيّاك والتشبيب فتهجن به كريما، والهجاء فتثير به لئيماً، وإيّـــاك والمـــدح فإنّـــه كـــسْب الخسيس، ولكن افخر بمآثر قومك. وقل من الأمثال ما تزين به نفسك و تؤدّب به غيرك"[4]

وبعد أن انتهى البيهقيّ من هذا ينتقل لأخطاء الشعراء وما يجد في قولهم من عيب، وعاب عليهم تكرارهم بعض الألفاظ في البيت مرّتين أو ثلاث، كقول الطّرماح:

فما للنوّى لا بارك الله في النوّى وهمّ لنا منها كهمّ المباين[5]

من بعد هذا يمضي البيهقيّ في ذكر نوادر من ظنّ في نفسه القدرة على قول الـــشعر وقـــد بلغ قولهم حدّاً في الإضحاك والسخر. "الحمدوني قال: أتاني رجل فقال: قلت شـــعراً أحـــبّ أن أعرضه عليك، فقلت: هات. فقال:

إنّ لي حبّاً شديداً ليس ينحيه الفرار

فقلت: نعم هو شعر. فقال:

إنّ من أفلت منه لابسٌ ثوب المخازي

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 313.
[2] المصدر نفسه، ص 313.
[3] المصدر نفسه، ص 314.
[4] المصدر نفسه، ص 316.
[5] المصدر نفسه، ص 316.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقلت: ذاك راء وهذا زاي! قال: لا تنقطه. فقلت: فهبني لم أنقطه ذاك مرفوع وهذا مخفوض! قال: يا أحمق أنا أقول لا تنقطه وأنت تعجمه!"[1]

محاسن برّ الآباء/ محاسن تأديب الولد/ مساوئ جفاء الآباء/ محاسن برّ الأبناء بالآباء والأمهات/ مساوئ عقوق البنين/ محاسن البنات/ محاسن برّ البنات/ مساوئ من كره البنات/ مساوئ البنات:

قد أقام البيهقيّ في صدر كتابه هذا مواضيع مختلفة. وقد تناول فيها جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية المختلفة. كما كانت بعض المواضيع مؤتلفة فيما بينها، فكان حقاً على الباحث أن يقيمها مترابطة لتتضّح الفكرة كي يقف على قصد الكاتب ورأيه، مع أن بعض الموضوعات قد ذكر فيها المحاسن ومن بعدها المساوئ، ثم أخذ بتفصيل كل شيء وإضافة أبواب إلى أبواب حتى يستكمل الموضوع. ومن هذه الموضوعات أمور تتعلق بالأسرة وهي اللبنة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، فإن صلحت صلح المجتمع، وإن فسدت كان الفساد في المجتمع أشرى وأشد.

ففي محاسن برّ الآباء جاء البيهقيّ بأخبار عديدة يذكر فيها بالقصة الطريفة و المفيدة خبر بعض الآباء مع أبنائهم، ومنهم عمر بن عبد العزيز مع ابنه عبد الملك، وقد سيّر إليه رقعة يبصِّره بأمور، ويجلّي له ما استغمض عليه، ويفتح له أبواب الخير، فيذكّره بطاعة الله ومخافته وحمده وشكره، ويبّغض له الكبرياء والزهوَ في النفس ويحذره من عمل الشيطان ومعصية الله عز وجل. وهذا الأب بعد أن يذكّر ابنه بهذا ويدفع إليه بالرقعة، يرسل أحد خاصّته كي يختبر ابنه ويرى على أيّ حالٍ هو.

كما جاء بعض الأبناء فخراً لأبيهم بشرفهم و علمهم، وما وصلوا إليه من درجة رفيعة. وصورة الأب في هذه القصص تكون بين تسديدٍ لرأي الولد وحثّه على الخير، و نهيه عن الشرّ، وإكرامه أشدّ الإكرام، و حبّه له ومداعبته، فيجمع بين الشدّة واللين و الرحمة والحزن.

وينتقل بعد هذا لمحاسن تأديب الولد ويعرض فيها لبعض ما يقع من الأولاد من خطأ، و كيف يعالج الأب خطأ ابنه بحسن تأديبه ونهيه عمّا وقع فيه بالأدب الرفيع.

من ثمّ ينتقل بحديثه إلى مساوئ جفاء الآباء وسوء معاملاتهم لأبنائهم، فمن سابٍ لابنه بألفاظ قبيحة، ومن رجل لا يحفظ ودّ ابنه، ولا يذكره بخير وآخر يظلمه و يؤذيه.

حتى كأن البيهقيّ يقيم بين هذه الموضوعات محاسن الشيء ومساوئه، كما ذكر فيما كان مؤتلفاً من هذه الموضوعات.

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 317.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظلّ هذا حال البيهقيّ يفضي به كل موضوع إلى آخر، حتى يأتي إلى محاسن بر الأبناء بآبائهم وأمهاتهم، فيذكر فيه ما يكون من برّ بعض الأبناء بالآباء والأمهات، وأنّ الولد الصالح يبيع دنياه بآخرته، لكنّ الله عزّ وجلّ يؤتيه خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

وقد قدّم البيهقيّ قصصاً تدل على هذا، فكانت القصص الأولى تتحدّث عن برّ الأبناء بآبائهم، من ثمّ أتبعها ببرّ الأبناء بأمهاتهم، وأن الرجل ببرّه لأمه لا يفيها حقها وإن عظم ما يقدّمه لها، فبعضهم قد طلّق امرأته واختار برّ أمّه.

وكما ذكر البيهقيّ محاسن برّ الأبناء أفرد باباً لمساوئ عقوق البنين. و قد ذكر في هذا الباب قصصاً فيها من الغريب والعجيب الشيء الكثير من عقوق البنين وإساءتهم لآبائهم أو أمهاتهم، فمنهم من كان يضرب أباه، وآخر يدسّ السمّ في طعام أمه. وقد جاء هذا الباب طويلاً بعض الشيء مقارنة بما قد ذكره في الموضوع ذاته في الأبواب السابقة.

وبعد أن انتهى البيهقيّ من محاسن الأبناء، وقد قصرها على الذكور منهم، عمد إلى ما يكون من الإناث. وابتدأ بمحاسن البنات، وقد ذكر أحاديث نبوية عن الرسول عليه الصلاة والسلام التي تحببّ بالأنثى وترفع من شأنها وقدرها في النفس والمجتمع، و يذكر أقوالاً لبعض الخلفاء والأدباء في محاسن البنات. ومن الغريب أنّ الأم وهي أنثى تبغض البنات أحياناً.

وكما فعل البيهقيّ بتقسيمه الخاص بالبنين في هذا الموضوع ، فقد قسّم كذلك موضوع البنات. وفي محاسن بّر البنات يخبر البيهقيّ عن بعض البنات اللواتي كنّ عوناً لآبائهم، وقد وجبت عليه العقوبة فبدا منهنّ التضرّع والبكاء فأشفق وليّ الأمر عليها و رفع عنه العقوبة. وتظهر في هذه الأخبار بلاغتهنّ وقدرتهنّ على قول الشعر والارتجال و سرعة البديهة والخاطر، ومن ذلك تلك البنت التي قامت تدافع عن أبيها، وترجو معاوية أن لا يأخذه بذنبه فأنشدت:

"معاويَ لا تقتلْ أباً كان مشفقاً عليناً فنبقى إن فقدناه شرّدا

وتوتم أولادٌ صغارٌ بقتله وإن تعفُ عنه كنت بالعفو أسعدا

معاويَ هبْهُ اليومَ لله وحدَه و للباكياتِ الصارخاتِ تلدّدا

معاويَ منك العلمُ و الحلمُ و التقى و كنتَ قديماً يا ابن حربٍ مسدّدا"[1]

وفي مساوئ من كره البنات يذكر البيهقيّ شعراً لمن أحبّ ابنته وأشفق عليها بعد موتها، متسائلاً من سيعيلها ومن سيكفيها، وأولئك الآباء قد قنطوا من رحمة الله، وهو الذي يرزق من يشاء بغير حساب، وكان هذا سبب كرههم لهم. ومن قولهم:

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 408.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحبّ بنيّتي و وددت أنّـــي دفنت بنيّتي في جوف لحـــــــدِ"
ومالي بغضها غرضاً و لكن مخافة ميتتي فتضيع بعـــــــدي
مخافة أن تصير إلى لئيـــمٍ فيفضح والدي و يشين جـــــدّي
فليت الله أكرمها بقبـــــــرٍ وإن كانت أعزّ النّاس عنـــــدي
فتستر عورتي و تكون أجراً إذا قدّمتها وكتمت وجـــــــدي
وتُتبع بعد ذاك بأمّ صـــــدقٍ فتؤنس بنتها وأعيش وحـــــدي"[1]

وفي مساوئ البنات يعرض لنكران البنت لفضل والدها وجحودها له بعد أن أبرّها وأحسن تأديبها، ففضلّت عليه من أحبّت، وقد كان عدّواً لأبيها، وقد خانت أباها في ملكه فكان جزاؤهـــا بعد ذهاب ملك أبيها عقوبة نزلت بها.

محاسن الأدب/ المناظرات في الأدب/ مساوئ من ذم الأدب:

يثني البيهقي على الأدب في هذا الباب، ويعيب الجهل ويذكر أقـــوالاً لـــبعض الحكمـــاء العرب وغير العرب، يشير به إلى مكانة الأدب وعلو شأنه. فمن وضعه حـــسبه رفعـــة أدبـــه. والغريب عندهم من لا أدب له. وقد فضل البيهقي فيما أورد من أقوال، العلم على المال. والأدب عند القدماء: الأخذ بالعلم من كل طرف. وهذا ما أكد عليه البيهقي في هذا البـــاب. قـــال بعـــض الحكماء: إن كان الرزق لا بد مطلوبا بسبب، فأفضل أسبابه ما افتتح بالأدب، ونظرنا فلـــم نـــره اجتمع لشيء من أصناف الصناعات، كما اجتمع للكتبة لأنها لا تكمل لأحد حتى يبتدئها برياضـــة نفسه في الأدب، فينفذ في الخط و البلاغة في الكتب والفصاحة في المنطق والبـــصر بـــصواب الكلام من خطابه و العلم بالشريعة و أحكامها والمعرفة بالسياسة والتدبير"[2].

كما يذكر أخباراً عن أناس نفعهم أدبهم. وقد طالت هذه القصص والأخبار عنـــد البيهقـــي وكانت كلها ترمي إلى المنفعة التي يحصّلها الفرد من أدبه.

وفي باب مساوئ من ذم الأدب يورد البيهقي قولين وبعض أبيات من الشعر، و قصده مما ورد أن الأدب إن كان يلهي عن ذكر الله فلا منفعة فيه، وأنَّ ه يضيّق على صاحبه فـــي رزقـــه. وجاء الشعر يؤيد هذا القول.

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 410.
[2] المصدر نفسه، ص294.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جدول رقم 5

المختلف عند البيهقي (محاسن وحدها ومساوئ وحدها) :

الرقم	المختلف عند البيهقي (محاسن وحدها و مساوئ وحدها)	
1	محاسن الرسول –صلى الله عليه و سلم- /محاسن المعراج /مساوئ من تنبى	
2	محاسن الخلفاء الراشدين / محاسن أبي بكر /محاسن عمر بن الخطاب رضوان الله و رحمته عليه/ محاسن عثمان بن عفان رضوان الله و رحمته عليه/ محاسن علي بن أبي طالب رضوان الله و رحمته عليه/ محاسن من أمسك عن الوقوع في أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم -/ مساوئ تلك الحروب ومن تنقص على بن أبي طالب رضوان الله ورحمته عليه/ مساوئ من عادى على بن أبي طالب رضي الله عنه/ محاسن الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم /مساوئ قتلة الحسين بن علي /مساوئ الحرة/ محاسن ما قيل فيهم من الأشعار	
3	محاسن ما قيل في الشيب	
4	محاسن استصلاح المال	
5	مساوئ أخذ الجار بالجار	
6	محاسن الحلم	
7	محاسن الدلائل/ ومنه باب آخر	
8	محاسن المكافأة	
9	محاسن النظر في المظالم	
10	محاسن ذكر التنعم	
11	مساوئ الثقلاء	
12	محاسن السؤال/ أصناف المكدين و أفعالهم و من نوادرهم	
13	محاسن مضاحيك وألقاب/ فنّ منه في الطمع/ فنّ منه آخر/ محاسن المزاح/ مزاح الشعراء	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محاسن الرسول – صلى الله عليه و سلم- /محاسن المعراج /مساوئ من تنبى:

افتتح البيهقي كتابه "المحاسن والمساوئ" بذكر محاسن الرسول –صلى الله عليه و سلم – راجياً الفضل والبركة واليمن والتوفيق، فابتدأ بذكر أصله الشريف و نسبه الرفيع ،منتقلاً إلى مكانته بين الرسل والأنبياء-عليهم السلام- وذكر العديد من المعجزات التي أجراها الله عز وجل –على يديه وكانت تفوق معجزات غيره من الأنبياء،"وكما قال بعض الحكماء: لئن كان سليمان،عليه السلام، أعطي الريح غدوها شهر ورواحها شهر لقد أعطى نبينا –صلى الله عليه وسلم- البراق الذي هو أسرع من الريح ،ولئن كان موسى –عليه السلام- أعطى حجرا تتفجر منه اثنتا عشرة عينا لقد وضع أصابعه –صلى الله عليه و سلم- في الإناء والماء ينبع من بين أصابعه حتى ارتوى أصحابه –رضي الله عنهم- وما لهم من الخيل"[1]. و غيرها من المعجزات التي امتاز بها-صلوات الله عليه- فقد جعل الله دعاءه مستجاباً، ثم يذكر البيهقي عدداً من القصص و الأخبار التي تشهد بنبوته –صلى الله عليه و سلم-.

ومن تلك القصص: قصة الرسول – صلى الله عليه و سلم - مع جابر بن عبد الله في غزوة الخندق إذ دعاه على شويهة للغداء فأطعمت هذه الشاه ببركة الرسول–صلى الله عليه وسلم- كل أصحابه.

وقصص أخرى جرت على ألسنة الحيوانات وأنّها صدقت بالنبي–صلى الله عليه وسلم- وشهدت بأنه رسول الله.

وينتقل البيهقي بعد ذلك للحديث عن آيات الرسول –صلى الله عليه و سلم- التي لا يعرفها إلا الخاصة "وهي محاسن أخلاقه وأفعاله التي لا تجتمع لبشر من قبله ولا تجتمع لأحد من بعده، وذلك أنّا لم نر ولم نسمع لأحد قط صبره وحلمه ووفاءه وزهده وجوده ونجدته وصدق لهجته وكريم عشيرته وتواضعه وعلمه وحفظه، وصمته إذا صمت ونطقه إذا نطق، ولا كعفوه وقلة امتنانه"[2].

ويثبت البيهقي هذه الأخلاق و محاسن الأفعال بالقصص والأخبار الصادقة فيذكر عدداً من القصص في زهد النبي –صلى الله عليه وسلم- وكرمه وقوله الحق وغيرها من الصفات الخلقية والخلقية وإخباره عن أمور الغيب القريب و البعيد، فبعضها حصل في حياته والبعض الآخر كان بعد وفاته. ويخبر عنها البيهقي و يرويها و قد صدّق بها من اتبعه.

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 17.
[2] المصدر نفسه، ص 21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتناول البيهقي بعد ذلك جمال الرسول –صلى الله عليه و سلم- و بهاءه وحسن ولادته " فتقول أم عثمان بن أبي العاص و قد حضرت آمنة أم النبي –صلى الله عليه و سلم- لما ضربها المخاض: جعلت أنظر إلى النجوم تتدلى حتى قلت لتقعن علي،فلما وضعته خرج منها نور أضاء له البيت و الدار حتى صرت لا أرى إلا نورا"[1]

ويذكر البيهقي بعد ذلك حادثة الإسراء وتصديق أبي بكر الصديق –رضي الله عنه- للرسول –صلى الله عليه و سلم- بعد أن كذبه الناس. وهذا ما دفع البيهقي للحديث عن محاسن المعراج، وقد ذكر الإسراء في محاسن الرسول–صلى الله عليه و سلم-.

وهكذا يفرد البيهقي باباً في الحديث عن محاسن المعراج، يتحدث فيه عن قصة المعراج، وعروج النبي–صلى الله عليه وسلم- إلى السماء، وما حدث معه في كل سماء، ما كان من أمر تحريم الخمر وفرض الصلوات الخمس. ويتحدث بعد ذلك عن حسن ألفاظه –صلى الله عليه وسلم- وبعده عن التكلف.

ثم يذكر أقواله في الصحابة : أبي بكر، وعمر، وعلي، والحسين بن علي –رضي الله عنهم-. وقوله في الأنصار. ثم يروي أحاديث شريفة عن النبي –صلى الله عليه و سلم- فيها توجيهات نبوية كريمة و نصائح للأمة.

ثم يذكر البيهقي في باب مساوئ من تنبى عدداً ممن ادعى النبوة على زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم- كمسيلمة الكذاب وطليحة، ومنهم من تنبى أيام الرشيد فزعم أنه نوح عليه السلام، وآخر تنبى في أيام المأمون. فما كان إلا أن يظهر الله –عز وجل- سوء نواياهم ويكشف أكاذيبهم، فينالون العقاب على ذلك إما بقتل أو صلب.

وقد أورد الجاحظ في كتابه "الحيوان شيئاً من هذا، وقد تحدث فيه عن مسيلمة وطرق خداعه وحيله.

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 23.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محاسن الخلفاء الراشدين/ محاسن أبي بكر رضوان الله و رحمته عليه/ محاسن عمر بن الخطاب رضوان الله و رحمته عليه/ محاسن عثمان بن عفان رضوان الله ورحمته عليه/ محاسن علي بن أبي طالب رضوان الله ورحمته عليه/ محاسن من أمسك عن الوقوع في أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم -/ مساوئ تلك الحروب ومن تنقص علي بن أبي طالب رضوان الله ورحمته عليه/ مساوئ من عادى علي بن أبي طالب رضي الله عنه/ محاسن الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم / مساوئ قتلة الحسين بن علي/ مساوئ الحرة/ محاسن ما قيل فيهم من الأشعار:

يبتدئ البيهقي في حديثه عن محاسن الخلفاء الراشدين بذكر محاسن أبي بكر –رضي الله عنه- ولعل السبب في ذلك، عوضاً عن أنه كان أول الخلفاء الراشدين، المنزلة الكريمة التي تبوأها. فقد كان إيمانه يعدل إيمان أهل الأرض جميعا. و أقرب الناس إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم – "وعن أبي أمامه الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله أبا بكر، زوجني ابنته، و حملني إلى دار الهجرة، و عتق بلالاً من ماله"[1].

وينتقل البيهقي بعد ذلك للحديث عن محاسن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-،فقد كان يمتاز بالشجاعة والقوة و العدل، ولا يخاف في الحق لومة لائم، حتى إن الشيطان كان لا يسلك من الطريق التي يسلكها عمر-رضي الله عنه- ويذكر البيهقي أحاديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم- في عمر تؤكد عظم شأنه في الإسلام، وعزة الإسلام به."عن ابن عباس عن النبي- صلى الله عليه وسلم –قال:جاء في جبريل عليه السلام، حين أسلم عمر، رحمه الله، فقال لي: تباشرت الملائكة بإسلام عمر وعمر سراج أهل الجنة "[2] كما يذكر مكانة عمر عند الله –عز وجل-.

ويتحدث البيهقي عن محاسن عثمان بن عفان –رضي الله عنه- بذكر حديثين شريفين الأول عن تبشيره-رضي الله عنه- بالجنة، وأنه رجل تستحي منه الملائكة والآخر أمر الله-عز وجل-للرسول –صلى الله عليه و سلم-بأن يزوج عثمان كريمته.وقد جاء الباب قصيراً جداً.

ويتم البيهقي حديثه عن الخلفاء الراشدين بذكر محاسن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- فيذكر أقولاً للنبي –صلى الله عليه وسلم- في علي – ثم يذكر خبراً طويلاً لابن عباس عن الشيعة، و يذكر أقوالاً أخرى لابن عباس في علي –كرم الله وجهه- وفي مكانته فكان يقول علي-رضي الله عنه-إذا أرخى الليل سدوله: "يا دنيا إياي تغرين؟ أمثلي تشوقين؟ لا حان حينك

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 33.
[2] المصدر نفسه، ص .36.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل زال زوالك ،قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها ،فعيشك حقير، وعمرك قصير، وخطرك يسير آه آه من بعد السفر ووحشة الطريق وقلة الزاد"[1].

وقد جاء هذا الباب من أطول الأبواب التي خصصت للخلفاء الراشدين و لعل هذا يعود لثقافة البيهقي الدينية إذ ينتمي للمذهب الشيعي.

ويؤكد البيهقي على ما طرح في الأبواب السابقة للصحابة من محاسن. ويحذر من الوقوع فيهم والحديث عنهم بسوء، فيعرض البيهقي في باب محاسن من أمسك عن الوقوع في أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم- أخباراً و قصصاً لأناس رفضوا الخوض في أحاديث تسيء لأحد من الصحابة لا سيما عثمان وعلي –رضي الله عنهما- "ومن ذلك ما ذكر عن عمر بن عبد العزيز إذ حضر مجلسه جماعة من أهل العلم فذكروا علياً، رضي الله عنه، وعثمان وطلحة والزبير، رضي الله عنهم أجمعين، وما كان بينهم فأكثروا، وعمر ساكت، قال القوم: ألا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أقول شيئاً ،تلك دماء طهر الله منها كفي فلا أغمس فيها لساني"[2]

وفي مساوئ تلك الحروب، ومن تنقص علي بن أبي طالب رضوان الله ورحمته وبركاته عليه، يذكر البيهقي فقط موقف أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها- من علي-رضي الله عنه- بروايات مختلفة كلها تنهى عن قتال علي رضي الله عنه. وقد ورد ما يقارب هذه الأخبار في باب محاسن الندامة.

أما في مساوئ من عادى علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- فقد ذكر البيهقي في هذا الباب رأي علي بن أبي طالب –رضي الله عنه-في الخلافة لمن سبقه وعلى أي حال كانت، وكيف كان هو الأجدر بها بعد وفاة عثمان –رضي الله عنه-و لكي تتضح الفكرة أكثر قد ذكر مساوئ معاوية وعمر بن العاص، وما كان منهما لعلي بن أبي طالب-كرم الله وجهه- وذكر قولهما في علي، وهما عدوان له.وقد جاء قولهما بالثناء عليه، ومدحه بصفات عديدة. ومن ثم يخلص البيهقي لمكاتبات جرت بين معاوية وعلي، وما كان من علي في الرد عليها بالحجة والدليل.

ثم يذكر وقعة صفين و لقاء معاوية وعمرو بن العاص بعلي، و كيف جبُنا عن لقائه. ويذهب البيهقي إلى أبعد من ذلك فيذكر ما قيل في مدح علي من شعر العامة و كيف انتقدوا فعل معاوية:

"قد سرت سير كليب في عشيرته لو كان فيهم غلام مثل جسّاس

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 41.
[2] المصدر نفسه، ص 42.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطاعن الطعنة النجلاء عانـــدها كطرة البرد أعيا فتقها الآســـــي"[1]

والبيهقي فيما أورد من أقوال قصد إلى إعلاء شأن علي –كرم الله وجهه-و الحط من شأن معاوية-رضي الله عنه- وقد أكّد على فكرته هذه في باب محاسن كلام الحسن بن علي –رضي الله عنه- ومحاسن كلام عبد الله بن العباس-رضي الله عنه- ومحاسن كلام غانمة بنت غانم في شرف بني هاشم و فخرهم ،وقد سبق الإشارة لها في المواضيع المؤتلفة.

وينتقل البيهقي في حديثه إلى محاسن الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فيتحدث عن شبه الحسن –رضي الله عنه- برسول الله-صلى الله عليه وسـلم-و يـذكر صفاتهما من كرم أخلاق وتفريج كروب الناس، وحب الناس لهما. وإنه في بعض ما أورد مـن أخبار يرفع من شأنهما حتى يصفهما بالملائكة و يؤكد فيما أورد أيضاً على نجدتهما وإحـسانهما للناس سواء أكان السؤال لهما أو لغيرهما.

وفي مساوئ قتل الحسين بن علي رضوان الله عليهما، يذكر البيهقي قصة الحسين رضي الله عنه. ثم يذكر عاقبة من أعان في قتل الحسين. ويذكر البيهقي وفاة معاويـة وكيـف أخـذت البيعة لابنه يزيد من بعده وأن الحسين وعبد الله بن الزبير كانا في أول من طلبت مـنهم البيعـة فأبيا. كما يذكر غدر أهل العراق بعلي-رضي الله عنه- وابنه الحسين من بعده، وما حلّ فـيمن ساعد على قتل الحسين، أو أعان عليه. وقد أرجع البيهقي بعض الأمور الطبيعية كلون الغروب وغيره إلى قتل الحسين وجعل هذا اللون يظهر في السماء بعد قتله.

"أبو عبد الله غلام الخليل، رحمه الله،قال: حدثنا يعقوب بن سليمان قال :كنت في ضـيعتي فصلّينا العتمة وجعلنا نتذاكر قتل الحسين، عليه السلام، فقال رجل من القوم: ما أحد أعان عليـه إلا أصابه بلاء قبل أن يموت ،فقال شيخ كبير من القوم: أنا ممن شهدها وما أصابني أمر كرهته إلى ساعتي هذه، وخبا السراج فقام يصلحه فأخذته النار وخرج مبادراً إلى الفرات وألقى نفـسه فيه فاشتعل وصار فحمة"[2].

وأما في مساوئ الحرة فيذكر البيهقي واقعة الحرة وما صار بها من قتال بمبايعة يزيد بن معاوية، وما شهدته هذه الموقعة من قتل عبد الله بن حنظلة وابن حزم، وبضعة عشر رجلاً مـن الوجوه وتسعون رجلاً من قريش وبضعة وسبعون رجلاً من الأنصار، وقتل من سـائر النـاس نحو أربعة آلاف فرد، وقتل ابنين لعبد الله بن جعفر وقتل أربعة من ولد زيد ابن ثابت"[3].

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 47.
[2] المصدر نفسه، ص 53.
[3] المصدر نفسه، ص 54.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبيهقي في وقوفه على من قُتل في وقعة الحرة، يحاول أن يعرض لتلك المأساة وفظاعة تلك الحرب. كما يذكر أخباراً عن يزيد بن معاوية و مسلم بن عقبة، وكيف كان أقرب الناس إلى يزيد يذمّه ويثلبه. كما يذكر فعل مسلم بن عقبة بأهل المدينة، وقتله لأهلها، وأخذهم بالشدة ومحاصرته لمكة، كما يورد أخباراً عجيبة في مسلم بن عقبة، وكيف أن امرأة بعد موته نبشت قبره وأحرقته وعلقت أكفانه على شجرة. كما يذكر أخباراً عن بعض من كان في جيش مسلم بن عقبة، ومن شهد تلك الواقعة، وكيف حصلت لهم حوادث غريبة.

ويذكر البيهقي في محاسن ما قيل فيهم من الأشعار أبياتا من الشعر منها في مدح الحسن والحسين وذم معاوية ومنها ما قاله المأمون، ومنها ما قاله كعب بن زهير:

"مسح النبي جبينه فله بياض في الخدود

وبوجهه ديباجة كرم النبوة و الجدود"[1]

ولعل ذكر البيهقي لمحاسن الحسن و الحسين، وما كان من حرب بين علي ومعاوية وموقعة الحرة يعود إلى المذهب الديني للبيهقي، الذي قد سبق الإشارة إليه.

محاسن ما قيل في الشيب

قد تناول البيهقيّ في محاسن ما قيل في الشيب شعراً لشعراء مختلفين ، و قد ذكر كثيراً من شعر ابن المعتز، وكانت تتحدث الأبيات عن الشيب و كيف صوّره الشعراء ، فمنهم من صوّره باللؤلؤ، و آخر قد عدّه من الأدب و من العز و المكرمة . و اتفقت الأبيات كلّها التي وردت في هذا الباب على كره النساء لشيب الرجال و صدودهنّ عن الرجال بعدما شابوا . و قد عيّب بعض الشعراء على النساء فعلهنّ و وجد الشيب أشدّ عيباً في النساء منه في الرجال.

"إنّ المشيب رداء الحلم و الأدب كما الشباب رداء الجهل و اللعب

تعجّبَتْ إذ رأت شيبي فقلت لها لا تعجبي من يطلْ عمرٌ به يَشِبِ

شيب الرجال لهم عزٌ و مكرمةٌ وشيبكنّ لكنّ الذل فاكتئبي." [2]

محاسن استصلاح المال

تناول البيهقيّ محاسن استصلاح المال رغم قصر هذا الباب بالعرض الجيد، فذكر فيه القصص والحِكَمْ، وأبيات من الشعر في هذا الموضوع. ولم يقتصر الموضوع على استصلاح المال إنما تعداه إلى استصلاح كل ما أمكن إصلاحه، فيغدو ذا فائدة، ويستفيد منه الناس، وتقضى

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 56.

[2] المصدر نفسه، ص 261.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

به حوائجهم، فمن حافظ على الصغير لم يضع منه الكبير، ومن ذلك قــولهم: "الإفــلاس ســوء التدبير"[1] ومن جمع القليل إلى القليل نال الكثير. فيقول الشاعر:

ربّ كبيرٍ هاجـــــه صغيـــر وفي البحـــــور تغرق البحـــــور

مساوئ أخذ الجار بالجار

يقصد البيهقيّ بأخذ الجار بالجار: أن يؤخذ الرجل بذنب غيره، فقد "كانوا إذا أصاب إبلهم العر كووا السليم ليذهب العرّ عن السقيم، فأسقموا الصحيح من غير أن يبــرأ الــسقيم"[2] وأورد البيهقيّ عدداً من أبيات الشعر في هذا الموضوع، و كان هذا الباب من الأبواب القــصيرة جــداً عند البيهقيّ.

محاسن الحلم

يذكر البيهقيّ في محاسن الحلم عدداً من القصص التي تحث على الحلــم والأنــاة وأن لا يكون الإنسان أسرع للغضب، ولا يكتفي في باب محاسن الحلم بالحديث عن المحاسن فقط، إنمــا أشار إلى المساوئ أيضاً، وعاقب من أخذه غضبه فاستثار. فقد (حُكي عن أنو شروان أن وفوداً وفدوا عليه من قِبل الملوك فأتوه واستأذنوا، فأمر رجلاً من بطانته أن يأتيه بتاجه . فأقبل الرجل بالتاج فارتعشت يده وسقط التاج من يده فانكسر وذلك بعين كسرى. فغضّ طرفه لــئلا يرعبــه. فتناول الرجل التاج وقال له كسرى: لا بأس عليك! انطلق إلى الحاجب ومُرْه أن يصرف الوفود في هذا اليوم)[3].

محاسن الدلائل/ ومنه باب آخر

إن البيهقي في هذا الباب يبحر في عالم الغيبيات بحديث ورد عن رسول الله –صــلى الله عليه وسلم- فيما يختص بحياة المؤمن، وعلى أي نحو يكون تقسيم حياته إذا ما شاخ وكبر. وكل ما أشار إليه في هذا الحديث تقلب المؤمن في درجات الخير، وكيف يكون حب الله له كلما كبــر وامتد به العمر، فــإن الله يعوِّضه عما يلقاه في الدنيا بالخير الجزيل، وكذلك قول عمــرو بــن العاص في تغير الغلام بين مرحلة زمنية ومرحلة أخرى. وقد قام هذا التقسيم في الحديث الــذي ورد عن الرسول–صلى الله عليه وسلم- وقول عمرو بن العاص فاعتمد على الفارق الزمني بين مرحلة ومرحلة. وقد كان هذا الفارق الزمني مضبوطاً ضبطاً دقيقاً وخبرة عمرو بن العاص في

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 218.

[2] المصدر نفسه، ص 365. (عر فلان قومه بشر إذا لطخهم، قال أبو عبيد الله: وقد يكون عرهم بشر من العر وهو الجرب أي أعداهم شرّه، العرر: صغر السنام. وقيل: ذهابه وهو من عيوب الإبل، جمل أعرّ وناقة عرّاء وعرّة – لسان العرب ج 4/ ص 599).

[3] المصدر نفسه، ص 377.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوله، ترجع إلى المعرفة التراكمية والملاحظة الدقيقة. وقد أكد البيهقي في محاسن الدلائل على ارتباط بعض الأحوال بشيء آخر سواء أكان في الواقع، أو في الغيب فيستدل على الشيء بالشيء.

قال ابن عباس (إذا رأيتم السيوف قد أعريت، والدماء قد أريقت فاعلموا أن حكم الله عز وجل قد ضُيِّع وانتقم من بعضهم البعض. وإذا رأيتم الرياء قد فشا فاعلموا أن الناس قد منعوا ما عندهم من الزكاة فمنع الله عز وجل ما عنده)

وكان البيهقي شديد الاختصار والإيجاز في هذا الباب. وقد اكتفى ببعض الإشارات. كما أن الفكرة لم تكن واضحة كما هي في أبواب أخرى.

محاسن المكافأة

هذا الباب جاء قصيراً جداً عند البيهقي ومبهماً جداً. لكن ما يتبين للباحث مما أورده البيهقي هو: أن لا تُمكِّن عدوك من نقاط ضعفك وأن لا تعلمه بها، وأن لا تقابل السيئ بالسيئ،فإن صاحبها قد يعود إلى الخير يوماً ما، فإذا ألححت عليه بالسيئ انقلب وعاد إلى ما كان عليه.

محاسن النظر في المظالم

ابتدأ البيهقي هذا الباب على غير عادته بالتمهيد ببعض الأحاديث وأقوال لبعض الحكماء، بل أوردها بعد الأخبار التي جاء بها عن بعض مجالس المظالم، وما كان فيها. فيروي أحاديث للرسول –صلى الله عليه وسلم- عن الظلم وما يكون عقاب الظالم في الدنيا والآخرة ثم يتبعها ببعض الأقوال والتوقيعات التي كانت من بعض خلفاء بني العباس لعمالهم على الأمصار يتهددونهم بها إذا ظلموا، ويردونهم عن ظلمهم. وقد انقسمت كل الأخبار في الحديث عن عمر ابن عبد العزيز وعدله في رعيته ونصرته للمظلوم وبين الخليفة المأمون. فعمر بن عبد العزيز ينتصر للمظلوم، وإن كان من ظلمه أهل الخلافة أو أحد الولاة، وقد بلغ من عدله جلوسه في ديوان المظالم ليسمع أخبار العامة ويعرف مظالمهم حتى إنه قد عوض الرجل منهم بثياب غير التي كانت عليه إن كان الرجل قد أتى الخليفة من مضر. وقد كان مجلسه أثناء جلوسه للمظالم متواضعاً لا يعلو على العامة وفيه بساطة ورقة حال. وأخبار الخليفة المأمون كانت بين أخذ ورد،ففي بعض الأخبار كان عادلاً، وفي البعض الآخر كان ظالماً وهو مع عدله هذا لم يبلغ المبلغ الذي وصل إليه عمر في عدله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محاسن ذكر التنعم

لعل البيهقي قد تأثر بما ورد عند الجاحظ في (البيان والتبيين)، وحديثه عن بعض أقوال العرب في هذا الباب، فيبدأ البيهقي بذكر مثل، ومن ثم يحكي قصة هذا المثل، وما كان من صاحبه والواضح أنَّ السرور والنعمة لا تكون بعلو شأن أو منزلة رفيعة بل ينظر إلى أبعد من ذلك أي إلى الهدف المرجو منه وكل يرى السرور كما يشتهي ويحب، وهكذا يكون السرور شيئاً مختلفاً باختلاف الطبائع والحرف.

"وقيل لوراق: ما السرور؟ قال: جلود وأوراق وحبر براق وقلم مشاق.

وقيل لفتاة: ما السرور؟ فقالت: زوج يملأ قلبي جلالاً وعيني جَمالاً وفِنائي حِمالاً.

وقيل لطفيلي: ما السرور؟ فقال: ندمى تسكن صدورهم وتغلي قدورهم ولا تغلق دورهم." [1]

مساوئ الثقلاء:

يبتدئ البيهقي هذا الباب بنصيحة يقدمها بختيشوع للمأمون مضمونها ألا يجالس الثقلاء، ولا يسمع إليهم، وبختيشوع هذا طبيب وهو يجمع في طبه بين الأعراض الجسدية والأعراض النفسية، ويخبر أن الثقلاء حمّى الروح وهم بذلك يسببون أمراضاً نفسية لمن جالسهم كما يرسم البيهقي صوراً للثقلاء تتسم بالإلحاح والإصرار على الشيء وأنهم لا يفرّقون بين المجلس الخفيف والمجلس الطويل. وأنهم لا يفهمون التصريح ولا التلميح إذا بدا من صاحب المجلس لصرفهم عن مجلسه.

كما أورد البيهقي شيئاً من المكاتبات التي جرت بين الثقلاء ومن وقع عليه أذاهم وتطلبهم، وكيف امتنع صاحب الحاجة عن قضاء حوائجهم فما زادهم ذلك إلا إصراراً وإلحاحاً في أخذها. من ثم أورد البيهقي شيئاً من الشعر مما قيل في الثقلاء. وقد اتسم هذا الشعر بالسخرية والإضحاك.

"يا من له حركات على النفوس ثقيله
وليس يعرف معنى قصيرة على طويله
أورثتني بجلوسي إليك حمّى طويله
فاصفع لنفسك عنّي فإن كفي عليله" [2]

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 203.
[2] المصدر نفسه، ص 429.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محاسن السؤال / أصناف المكدِّين و أفعالهم و من نوادرهم

يروي البيهقيّ في هذا الباب خبراً يسنده إلى الجاحظ في الكدية وطرق الاحتيال، ويظهر في هذا الخبر تتبع المكدين لمواسم الخير في أنحاء البلاد وكيف أنهم حازوا البلاد طولاً وعرضاً، وأنهم لا يخشون شيئاً في سفرهم، فهم أفقر خلق الله عز وجل، وفي هذا الخبر يُتعلّم حديث صناعة الكدية من ذوي الخبرة في هذه الصناعة و يأخذ عنه طرق الاحتيال.

والبيهقيّ في هذا الباب يطرح موضوعاً قد طرحه الجاحظ في كتاب (البخلاء)، فيذكر البيهقيّ أصناف المكدين ويفصلهم تفصيلاً دقيقاً، كما يذكر طرق حيلهم بتفصيل جميل يظهر فيه ذكاء جليّ ودهاء واضح، وبعد هذا العرض التفصيليّ عن أصنافهم وأفعالهم في طرق حيلهم يذكر من نوادرهم شيئاً، وأنّ المكدين يحتالون على الناس حتى يأخذوا منهم ما أرادوا. وصورة المكدين عند البيهقيّ فيها طرافة وذكاء، وقد قسم البيهقيّ هذا الأمر بين الرجال والنساء فمنهم من كان فصيحاً بليغاً وآخر ضيّق الصدر بذيء اللسان إذا حُرم مسألته.

"قال: وبعث المنصور إلى زياد بن عبد الله مالاً وأمره أن يفرقه في القواعد والأيتام والعميان، فدخل عليه أبو حمزة الرقيّ فقال : أصلح الله أمير المؤمنين! قد بلغني الكبَر فاكتبني في القاعدين. قال: يغفر الله لك إنما القواعد النساء اللواتي قعدن عن الأزواج. قال: فاكتبني في العميان فإن الله جلّ ذكره يقول: "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" [الحج: 46] وأنا أشهد أنّ قلبي أعمى، واكتب ولدي في الأيتام فإن من كنت أباه فهو يتيم. قال: اكتبوه في العميان و اكتبوا ولده في الأيتام "[1].

وبعد أن يفرغ البيهقيّ من أخبار المكدين ينتقل بالقارئ إلى بعض أدعيتهم وأقوالهم، وتظهر في أقوالهم بلاغة وفصاحة، كما تظهر فيها ثقافة عالية باستخدام ألفاظ القرآن الكريم وبعض الآيات وتفسيرها.

"قال: نقص الكيل وعجفت الخيل وقلّ النيل فهل من رحيم آجره الله، فإنه لا غنى عن الله لقوله عزّ وجلّ : (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) [الحديد: 11] لم يستقرض ربنا جلّ وعزّ من عدم ولكن ليبلو ويختبر"[2].

---

[1] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 426.
[2] المصدر نفسه، ص 427.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محاسن مضاحيك وألقاب/ فنّ منه في الطمع/ فنّ منه آخر/ محاسن المزاح/ مزاح الشعراء

بعد أن ينتهي البيهقيّ من باب الكدية و ما كان من أصحابها من حيل طريفة يختتم كتابه بنوادر مسلية وممتعة ومضحكة، فيذكر بعض الألقاب وكيف جرت على ألسنة الناس وكيف اشتهر أهلها. من ثم يذكر لنا نوادر عن شدة الطمع وما يكون من حال أصحاب هذه الصفة وما هم عليه من سفاهة رأي، وضعف عقل، حتى إذا حُرم مما أحب ساء خلقه وبذؤ لسانه. ويقسِّم البيهقيّ بابه هذا إلى عدة موضوعات يخلص من باب فيدخل في باب آخر .

وقد لاحظ الباحث أنّ البيهقيّ في كتابه (المحاسن والمساوئ) يكثر من الأبواب التي تتعلّق بالغرض الواحد، فهو شديد التصنيف، جيّد الانتقاء حتى إنّ بعض الروايات والأخبار تحصن أن تقع في باب آخر، إلا أنّ البيهقيّ بذوقه المتميّز فرق بين الأخبار المتشابهة وأفردها في موضوعات خاصة بها، لا كما فعل الجاحظ في كتابه (المحاسن والأضداد) تحت عناوين كانت تتقارب بالطرح مع الموضوع ذاته، فيخلص البيهقيّ من باب إلى باب بتقارب بينهما في الطرح والموضوع، فيذكر لنا أخباراً طريفة تتعلّق بالأمور الاجتماعية في عصره وكيف يكون تعاطي الناس معها كل باختلاف ثقافته وبيئته.

وهذا ما يتضح في باب (فن منه آخر) المتعلّق بباب (محاسن مضاحيك وألقاب) وفي هذا الباب يذكر البيهقيّ في نهايته بعض النوادر المحرمة والطرف المكروهة.

ولعل هذه النوادر والطرف المكروهة هي ما استدعى البيهقيّ لإفراد باب جديد أسماه (محاسن المزاح) و قد دارت كل الأخبار التي وردت فيه حول نعيمان[1] وما كان من أمره مع رسول الله عليه الصلاة و السلام عندما أراد أن يبره، وما كان منه مع الصحابة، فأقره الرسول عليه الصلاة والسلام فيما فعل ولم يعنفه، إذ إنّ مزاحه كان خفيفاً لم يتعرض للحرمات أو المكروه.

وقد ذكر الباحث أن البيهقيّ شديد التصنيف في كتابه فيخلص من هذا الباب إلى باب (مزاح الشعراء) فيذكر فيه قصتين عن مزاح الشعراء. وعلى أيّ حال دارت حالهم. فقصة أبي

---

[1] نعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم أبو عمرو . شهد بدراً مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قدم بصرى مع أبي بكر الصديق (تاريخ مدينة دمشق ج 62/ ص 39،40- وبقي النعيمان بن عمرو حتى توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان ليس له عقب – تاريخ مدينة دمشق ج 62 ص 149- وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم- الطبقات الكبرى ج 3/ ص 493).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دلامة بُنيت على الحيلة اللطيفة في أخذ المال من الخليفة، وقد أقره على هذا. وأمّا أبو نوّاس فقد أفحش في القول والفعل وخالف الدين في عدة وجوه.

وبعد أن خلص الباحث من العرض التفصيلي للموضوعات الزائدة في كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي، وبيَّن ما فيها، وقد بسط ما فيها من أقوال، فعرَّف ما غمض، وعلّق على ما ورد فيها من آراء خاصة بالبيهقي، يرى أن يقف على المميزات الخاصة بهذا الفصل فيذكر ما يلي:

1. إن الموضوعات الزائدة اتصفت بالقصر، لا كمثيلتها في المؤتلف بين الجاحظ والبيهقي.
2. تشابهت بعض الموضوعات تشابها تاما في بعض الكتب المثبتة للجاحظ كالبخلاء والبيان والتبيين والحيوان.
3. عُني البيهقي بالتفصيل الدقيق للموضوعات المتشابهة الخاصة بغرض ما.
4. كانت الموضوعات كلها ذات طابع أدبي وخلقي.
5. أغفل البيهقي الموضوعات المتعلقة بالنساء، وأبدلها بمواضيع تتعلق بتربية الأنثى وما شابه ذلك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

فصل النقد والتحليل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

فصل النقد والتحليل

وهكذا يخلص الباحث بعد عرض هذه الآراء إلى نسبة كتاب "المحاسن و الأضداد" للجاحظ وأن البيهقي قد وضع كتابه "المحاسن والمساوئ" على شاكلته، مهذبا موضوعاته ومرتبا أبوابه. ولعل كتب التراجم القديمة منها والحديثة قد حفظت للجاحظ حقه في نسبة الكتاب. ومثل هذه الظاهرة في تهذيب بعض الكتب قد دعت بعض الأدباء والنقاد إلى نسبة الكثير للذي عمل على تهذيبها، ومن ذلك سيرة ابن هشام والتي هي في الأصل سيرة كبيرة لابن إسحاق. لكنه أعاد النظر في توزيع مواد الروايات تجميعاً وترتيباً، فكان أن خرج للناس بكتاب جديد. أي أنه كما عمل ابن إسحاق من قبل حين جمع مواد روايات شيوخه فصنفها وبوَّبها واستوعبها و فق نظرة خاصة به، فعل ابن هشام الشيء نفسه. وفي مقاييس إسلامية محضة، ولم يكتف بهذا بل شرح بعض الغريب، واستدرك بعض الروايات وترجم أخرى، فارتقى بالكتاب إلى درجة عالية.

ولعل الأعمال الفريدة والنفيسة هي التي دعت بعض المؤلفين إلى وضع كتاب على مثل هذا العمل "ففي تاريخ الإنسانية غالبا ما أثارت الأعمال العبقرية معاصريها ما بين معجب وحاسد وناقد ورافض. ولم يقتصر هذا على العمل بل شمل صاحبه. وقد يمتد الخلاف ويتعمق الجدل ويستمر عبر العصور. وهذا ما حدث بالفعل بالنسبة لابن إسحاق"[1].

وكتاب السيرة موجود اليوم بين أيدي الناس. وقد اشتهر على أنه لابن هشام. وأشار الجاحظ إلى مثل هذه القضية في مقدمة كتابه "المحاسن والأضداد" بقوله :"إني ربما ألَّفتُ الكتاب المحكم المتقن في الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والأحكام وسائر فنون الحكمة، و أنسبه إلى نفسي؛ فيتواطأ على الطعن فيه جماعة أهل العلم بالحسد المُرَكَّب فيهم، وهم يعرفون براعته وفصاحته، وأكثر ما يكون هذا منهم إذا كان الكتاب مؤلفا لملك معه المقدرة على التقديم والتأخير والحط والرفع والترهيب والترغيب، فإنهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الإبل المغتلمة، فإن أمكنتهم الحيلة في إسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذي ألف له فهو الذي قصدوه، وأرادوه، وإن كان ذلك الكتاب عند السيد الذي ألف له فهو الذي قصدوه و أرادوه، وإن كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريرا" نقابا" و نقريسا" بليغا" وحاذقا" فطنا" وأعجزتهم الحيلة، سرقوا

---

[1] ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معاني ذلك الكتاب وألفوا من أعراضه وحواشيه كتابا و أهدوه إلى ملك أخر ومنوا إليه به وهم قد ذموه وثلبوه لما رأوه منسوبا إلي وموسوما بي"[1]

وبعد أن فرغ الباحث من عرض الكتابين وتناول المؤتلف بينهما والمختلف وكان المختلف على ضروب. وقد وضع الباحث هذه الضروب في مكانها، بقيت قضية نسب الكتاب أهو للجاحظ أم للبيهقي؟

لقد ظهر في بداية القرن الماضي العناية بكتب الجاحظ وأثاره وهي مصنفات عديدة وكثيرة منها المخطوط ومنها غير ذلك، مما قطع بنسبته للجاحظ. وقد ظهر كتاب "المحاسن والأضداد" ودار حول نسبته للجاحظ جدل كبير إن كان له أم لإبراهيم بن محمد البيهقي. وهذا الجدال كان سببه التشابه بين موضوعات الكتابين عندهما. كما أن بعض كتب التراجم والتي اهتمت بآثار الجاحظ لم تذكر كتاب المحاسن والأضداد ونسبته للجاحظ، لكن التراجم أيضا قد أغفلت ذكر البيهقي وكتابه. وهذا ما دعا طائفة من المحدثين إلى الشك في نسبة الكتابين.

وتتمة لهذا البحث يقف الباحث على بعض من أنكر أن الكتاب للجاحظ ومن أثبت من القدماء والمحدثين.

من أنكر نسبة الكتاب للجاحظ	من أثبت نسبة الكتاب للجاحظ
1 أمالي المرتضي/ الشريف المرتضى ص 194-199.	1- الفهرست/ ابن النديم ج 1/ ص 210-211
2-ياقوت الحموي/ معجم الأدباء ج 6/ ص 52- 82.	
3-وفيات الأعيان/ ابن خلكان ج 3 / ص 47.	2- تاريخ بغداد/ البغدادي ص 208.
4-تاريخ الأدب العربي/ كارل بروكلمان ص 134	3-خزانة الأدب/ البغدادي ج 1/ ص 23
5-أدب الجاحظ/ حسن السندوبي ص 44	4- دائرة المعارف الإسلامية ص 2133
6- العصر العباسي الثاني/ شوقي ضيف ص 540	5- الجاحظ/ خليل مردم ص 37
7- آثار الجاحظ/ محمد الدروبي ص 205	6- مقالات شفيق جبري ص 233- 242
	7- كشف الظنون/ حاجي خليفة ص 1609
	8- الأعلام/ الزركلي ج 5/ ص 74
	9- التجربة الجمالية عند العرب/ هناء حرامي ص 146

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 7.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكي يقف الباحث على حقيقة صحة نسبة الكتاب أو الترجيح، إن كان للجاحظ أم لغيره:يعرض لآراء قد شكت في نسبة الكتاب للجاحظ والأسس التي اعتمدت عليها.

أول ما يطالع الباحث في الشك القائم حول نسبة الكتاب هي تلك المقدمة التي أوردها الجاحظ في مستهل كتاب " الحيوان" وقد أورد فيها عدداً من كتبه ولم يكن كتاب " المحاسن والأضداد "مما أورد. وهذا السبب قد دعا كثيراً من النقاد للشك في كتاب " المحاسن والأضداد" بنسبته للجاحظ.

والجاحظ قد ألف كتابه "الحيوان" سنة 234هـ وقدمه للوزير ابن الزيات وقد كان صديقاً له. وقد عاش الجاحظ بعد كتابه هذا واحداً وعشرين عاما. فلعله وضح كتاب "المحاسن والأضداد"بعد كتاب "الحيوان". فإن كاتباً كالجاحظ قد أورد عدداً كبيراً من كتبه في مستهل كتاب "الحيوان" لا يقف هذه السنوات الطويلة بعد كتاب "الحيوان" دون تأليف.

ورأي آخر اعتمد عليه النقاد في شكهم وإغفال بعض كتب التراجم هذا الكتاب فيما أوردوا من كتب للجاحظ.

وكتب التراجم تذكر أن كتب الجاحظ تربو على المائتين. وهي لم تذكر أسماء هذا العدد من كتبه، وعلى هذا لا يستطيع الباحث الاطمئنان لهذه القوائم التي وردت في كتب التراجم. كما أن بعض كتب التراجم القديمة قد شكت في بعض الكتب المنسوبة للجاحظ. وهذا ما ذكره ياقوت الحموي في شكه في كتاب الإبل والهدايا. وياقوت لم يذكر كتاب " المحاسن والأضداد" في قائمة الكتب التي نسبها للجاحظ، أو في تلك التي شك فيها.

وكتاب الفهرست لابن النديم لم يذكر كتب الجاحظ كلها و قد أشار بعض النقاد للنقص الموجود في الكتاب. ومع هذا النقص إلا أنهم قد اتخذوه حجة في نفي نسبة الكتاب للجاحظ. وقد وقف الباحث على تحقيقين مختلفين لكتاب الفهرست وكان أحدهما لا يذكر كتاب " المحاسن والأضداد" والآخر قد أثبته للجاحظ.

وعلى هذا فإن الباحث يثبت ما أثبتته التراجم في قائمته السابقة، ويعرض لآراء بعض المشككين بنسبة الكتاب و بعض من أثبت الكتاب للجاحظ. ويعرض لبعض آراء من أثبت نسبة الكتاب للجاحظ أولا.

رأي خليل مردم:

"كتاب المحاسن والأضداد" كتاب حسن جمع الجاحظ فيه نحو ثمانين موضوعا متقابلاً، فهو يعقد للموضوع فصلاً يذكر فيه محاسنه ثم يعقبه بضده وهكذا إلى آخر الكتاب. وقد بدأه بذكر محاسن الكتابة وختمه بذكر شيء من محاسن الموت وجميع المواضيع التي عالجها ذات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بال، كمحاسن الجواب و المشورة و العفو والوفاء وحب الوطن وأضدادها، وقد صرح الجاحظ في المقدمة بأنه لم يسبق إلى هذا الكتاب بقوله : "وهذا كتاب وسمته بالمحاسن والأضداد لم أسبق إلى نحلته ولم يسألني أحد صنعه" والكتاب من أكثر كتب الجاحظ تنسيقاً وترتيباً و أشدها مراعاة لحسن التبويب وضم كل معنى إلى مشاكله. وقد جرى على نسقه البيهقي فألف كتابا سماه " المحاسن و المساوئ"[1].

رأي شفيق جبري:

"يرى شفيق جبري أن الجاحظ لديه فلسفة خاصة. وقد عقد فصولاً في كتبه المختلفة لهذه الفلسفة؛ وهي سخريته من بعض الشخصيات وتندره عليها أو تحسين الشيء وتقبيحه، وأنه وضع كتاب "المحاسن و الأضداد" تأكيداً على نظريته و فلسفته"[2].

رأي هناء حرامي في دراستها:

"تحدث الجاحظ عن محاسن الشيء ومساوئه. فمن ذلك ما جاء في ثنايا كتبه ورسائله. كما ورد في كتابه الحيوان. وفي رسالته "الشارب والمشروب"، أو خصص في ذلك كتابا ككتاب "المحاسن والأضداد" وجاء البيهقي ليكتب في الموضوع ذاته، فتراه متأثرا بالجاحظ إلى حد كبير في كتابه" المحاسن والمساوئ"[3]

وتشير هناء حرامي إلى الشبه بين الكتابين في العناوين وكيف غيَّر البيهقي بعض تلك العناوين.

آراء الدكتور حسن السندوبي:

يشكك الدكتور حسن السندوبي في بعض الكتب التي نسبت للجاحظ وما يعنينا من هذه الكتب كتاب "المحاسن والأضداد" وهو قبل تشكيكه هذا يتحدث عن حمل الجاحظ الكتب على ألسنة غيره في بداية رحلته الأدبية. كما عرض لبعض من شك في كتب الجاحظ من القدماء والمحدثين. "وكما حمل الجاحظ على غيره من الأدباء كتباً ليست لهم.كذلك حمل عليه الأدباء والمصنفون من بعده الشيء الكثير منها قديما: كتاب "الإبل" وكتاب "الهدايا" ذكر ذلك ياقوت في معجمه.... ونسبوا إليه كتاب "المحاسن والأضداد"[4] ويذهب الدكتور حسن السندوبي في تشكيكه بنسبة كتاب "المحاسن والأضداد" للجاحظ إلى عدد من الآراء بقوله:"خُدع كثير من الناس بهذا

---

[1] مردم بك، خليل، الجاحظ، 1930، ط1، مكتبة عرفة: دمشق، ص 37.
[2] الجبري، شفيق، مقالات شفيق جبري، مجلة المجمع العلمي العربي: دمشق، مجلد 12.
[3] حرامي، هناء، (2003)، التجربة الجمالية عند العرب، رسالة ماجستير،حلب، ص146.
[4] التكة: واحدة التكك، وهي تكة السراويل/ وجمعها تكك والتكة رباط السراويل (لسان العرب، ج 10، ص 406- مختار الصحاح ج 1، ص 33).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتاب ونسبوه إلى الجاحظ، بلا بحث ولا تحقيق. وممن خُدع به قديماً الشيخ محيي الدين بن العربي. فقد رأيته ينقل عنه في كتابه.

"محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار". والحقيقة أن الجاحظ يبرأ إلى الله منه و ممن زيَّفه عليه. إذ هو كتاب غث سقيم حشي بكثير من الأكاذيب الممزوجة بقليل من أشباه الحقائق، والظاهر أن أحد الوراقين في القرن الرابع لفّقهُ ولم يجد سبيلا إلى ترويجه إلا بأن ينسبه إلى الجاحظ "[1].

حسن السندوبي في رأيه هذا يشير صراحة إلى أن الكتاب غث وسقيم، وأنه ليس للجاحظ وإنما نسبه إليه أحد الوراقين في القرن الرابع ويدلل على رأيه هذا بمجموعة من الإشارات التي وردت في الكتاب نفسه و من تلك الآراء: رأيه في قصيدة لعبد الله بن المعتز:

"تعلمت في السجن نسج التكـــك[2] وكنت امرءاً قبل حبسي ملـــــك

وقيدت بعد ركوب الجيـــــــاد وما ذلك إلا بدور الفـــــــــلك

ألم تبصر الطير في جوفـــــها تكاد تلاصـــق ذات الحـــــبك

إذا أبصرته خطوب الزمـــــان أوقعنه في حـــبال الشـــــــرك

فهذاك من حالق قد يصـــــــاد ومن قعر بحر يصاد الســـــمك"[3]

فيوردها ويرد عليها بقوله:"قرأت هذه الأبيات فعجبت كيف يروي الجاحظ لابن المعتز. وقد مات الجاحظ قبل أن يبلغ ابن المعتز من العمر ست سنين؟ فقد ولد ابن المعتز في شعبان سنة 249 ومات الجاحظ في المحرم سنة 255 فهل من المعقول أن يروي الجاحظ عنه وهو في هذا السن ؟ وهل يتفق عرفاً و عادة أن ابن ست سنين يقول شعراً؟

على أن نظرة في هذه الأبيات تكفي لنفيها عن ابن المعتز أيضاً. لأنها من الضعف والسقم والإسفاف إلى حد كبير. فهي لا تتفق ونفس ابن المعتز، ويعلو أسلوبه عنها. ولأن ابن المعتز لم يسجن فضلاً عن أن يبقى في السجن حتى يتعلم نسج التكك. وحقيقة ذلك أنه لما أقامه رجال الدولة خليفة لم يلبث في دست الخلافة أكثر من يوم وليلة، ثم ثار عليه رجال المقتدر وتمكنوا من خلعه فاختفى في دار ابن الجصاص الجوهري ثم أخذه مؤنس الخادم، أحد قواد الدولة المشهورين، فقتله ثم سلمه إلى أهله في كساء. فهل يظن وهو مختفٍ في دار ابن الجصاص،

---

[1] السندوبي، حسن، (1931)، أدب الجاحظ، ط1،المكتبة التجارية الكبرى: القاهرة، ص 44.

[2] المصدر نفسه، 156.

[3] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 43؛ السندوبي، حسن، أدب الجاحظ، ص156.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطلب مشتد عليه، والذعر والفزع متملكان فؤاده، يفرغ لتعلم نسج التكك؟! فضلا عن أن يقول الشعر فيها و في تعلم نسجها؟ على أنني لم أعثر على هذه الأبيات في ديوانه"[1].

يحاول الدكتور حسن السندوبي في آرائه هذه التشكيك بنسبة كتاب"المحاسن والأضداد" للجاحظ فيما ورد فيه من إشارات كهذه الأبيات وقد رد عليها. ويرى الدكتور حسن السندوبي أن عبد الله بن المعتز ولد سنة 249ه و أن الجاحظ توفي سنة 255ه. فكيف يحسن بطفل أن يقول هذه الأبيات وأن يروي عنه الجاحظ. وعندما بحث صاحب الأطروحة عن هذه الأبيات في المصادر والمراجع وجدها قد نسبت لبابك في بعض الأحيان، كما هو في كتاب "يتيمة الدهر" لأبي منصور الثعالبي.

كما أن الدكتور حسن السندوبي يشير للضعف الظاهر في هذه الأبيات. و أن أسلوب عبد الله بن المعتز يعلو عن هذا الأسلوب. كما أن ابن المعتز لم يسجن ولم يلبث في سجنه مدة طويلة يتعلم معها نسج التكك. وإذا كان هذا هو رأي حسن السندوبي في أن عبد الله بن المعتز لم يسجن، فإنّ عدم الالتفات لهذه الأبيات أولى من أن نجعلها دليلاً نقيمه في الشك بنسبة الكتاب للجاحظ.

ثم إنّ هذه الأبيات قد وردت أيضا في "المحاسن و المساوئ" مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، فكيف يقيمها الدكتور حسن السندوبي دليلا في شكه بنسبة الكتاب للجاحظ، و هل يحسن بها أن ترد في كتاب "المحاسن والمساوئ" في حين أنّ ورودها في "المحاسن والأضداد" مدعاة للشك.

ثم إن الدكتور حسن السندوبي قد بحث في ديوان ابن المعتز ولم يجدها، وكأنه يدحض الدليل الذي جاء به بالدليل. وإنّ بعض النقول والأخبار التي وردت عن عبد الله بن المعتز في الكتابين جاءت مرة صريحة في نقلها عن صاحب الخبر. يقول الكاتب، قال: عبد الله بن المعتز (ص:119) وفي مرة أخرى قال ابن المعتز (ص:43) و ثالثة: قال المعتز (ص:24) فهل هم شخصية واحدة أم ثلاث شخصيات مختلفة ؟.

ويواصل الدكتور حسن السندوي عرض أرائه التي تتعلق بعبد الله بن المعتز بقوله: "رأيت واضع الكتاب يقول: و قال عبد الله بن المعتز " أهل الدنيا كركبٍ يسارُ بهم و هم نيام" وسبيل هذا سبيل ما سلف"[2].

---

[1] السندوبي، أدب الجاحظ، ص 156-157.
[2] المصدر نفسه ، ص 157.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد نسب الزمخشري هذا القول في كتابه "ربيع الأبرار ونصوص الأخبار" لعلي ابن أبي طالب –كرم الله وجهه-.

"ومما جاء في الحسن من الشعر قال عبد الله بن المعتز: أنشدنى أبو سهل إسماعيل ابن علي لأبي الصواعق:

ومريض طرف ليس يصرف طرفه نحو المدى إلا رماه بحـــتفه

ظبي له نظر ضعيف كلمـــــــا قصد القوي أتى عليه بضعــفه

قد قلت لما مر يخطر مائســـــاً والردف يجذب خصره من خلفه

يا من يسلّم خصره من ردفـــــــه سلم فؤاد محبة من طرفـــــه

فقلت (يعني ابن المعتز) في هذا المعنى و على هذا الوزن:

وحيـــاة مـــن جـــرح الفـــؤاد بظرفـــه لأجبـــرن قـــصائدي فـــي وصـــــفه

قمـــر بـــه قمـــر الـــسماء متيـــــم كالغـــصن يعجـــب نـــصفه مـــن نـــصفه

إنـــي عجبـــت لخـــصره مـــن ضـــعفه مـــاذا تحمـــل مـــن ثقالـــة ردفـــــه؟

هـــذا و مـــا أدري بأيـــة فتنـــــة جـــرح الفـــؤاد بلطفـــه أم طرفـــــه؟

أم بالـــدلال أم الجمـــال أم الـــضيا مـــن وجهـــه أم بالقفـــا مـــن خلـــــفه

ولم أعثر على هذه الأبيات في ديوانه"[1]

وسبيل هذه الأبيات التي وردت على لسان عبد الله بن المعتز سبيل الأبيات السابقة في إسقاطها وعدم الالتفات لها. إذ إن الدكتور السندوبي قد رد على شكه بدليل أقوى منه. فهو لم يجدها في ديوان عبد الله بن المعتز كما ذكر.

كما يوجد في الكتاب أبيات أخرى وردت على أنها لابن المعتز ومنها:

"يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل "[2]

---

[1] السندوبي، أدب الجاحظ ، ص 157.

[2] اليافعي، عفيف الدين أبو السعادات عبد الله بن أسعد، 1984، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط1، تحقيق: عبد الله الجبوري، مؤسسة الرسالة: بيروت،ص1254؛ الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص24.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أشارت المصادر، التي عاد إليها الباحث، إلى نسبة هذا البيت لابن السكيت وأنه كان أستاذا للمعتز وذلك في كتاب "مرآة الجنان وعبرة اليقظان "لليافعي وأن ابن السكيت قد توفي سنة "ست وأربعين ومائتين"[1] أو سنة "أربع وأربعين ومائتين"[2] فلعل بعض النساخ والوراقين قد حملوا على ابن المعتز ما ليس له من الشعر وهو في الحقيقة للمعتز

وبيتان أخريان وردت نسبتهما لابن المعتز حيث يقول :

" كم تائه بولايـــــة وبعزله يعدو البريــد

سكر الولاية طيب وخماره صعب شديد"[3]

وقد ورد في التذكرة الحمدونية على أنهما لابن الرومي. وقد أشارت المصادر إلى أن ابن الرومي "ولد سنة 221 "[4] "و توفي سنة 283"[5]

وهكذا يتضح خطأ الوراق والنساخ في نسبة بعض الأبيات أو نسبتها لغير صاحبها.

كما يذكر الدكتور السندوبي سندا يشكك في روايته، وأنه لا يصح أن يحدث بعضهم عن بعض". يقول: حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان، ولا يصح مطلقا أن يحدث الجاحظ عن ثعلب"[6].

وعندما عاد الباحث إلى كتب التراجم ليقف على صحة هذا السند، وهل عاصر رواته بعضهم البعض؟ أم كان بينهم انقطاع زمني. أشارت التراجم إلى أن أبا العباس المعروف بثعلب "ولد سنة 200 وتوفي سنة 291 للهجرة"[7] وأن الفتح بن خاقان " توفي سنة 247 للهجرة "[8] والجاحظ كما هو معروف توفي سنة 255هجرة. وعلى هذا، فإن رواة السند قد تعاصروا وكانوا في نفس الفترة الزمنية. فلماذا شكك الدكتور السندوبي في هذا السند؟! لعل الدكتور السندوبي قد التبس عليه الأمر بين ثعلب، وقد أشار الباحث إلى اسمه وكنيته، والثعالبي وهو أبو منصور

---

(1) اليغموري، الحافظ، (1964)، نور القبس من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، دار النشر فرانس شتاينر: بيروت، ص 651؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 400.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 400؛ الزركلي، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج8، ص194.

(3) ابن حمدون، (1996)، التذكرة الحمدونية، تحقيق: بكر وإحسان عباس، دار صادر: بيروت، ص 6362. الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص47

(4) الزركلي، الأعلام، ج4، ص297.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص 171؛ الزركلي، الأعلام، ج 4.

(6) المصدر نفسه، ص 157.

(7) الزركلي، الأعلام، ج1، ص 267؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 60.

(8) المصدر نفيه، ص 133.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثعالبي صاحب اليتيمة. و لقد أشارت المصادر إلى أن الثعالبي "ولد سنة 350هـ وتوفي سنة 429"[1] وعلى هذا لا يصح أن يحدث الجاحظ عن الثعالبي.

وأخيرا يذكر الدكتور السندوبي أبياتا من الشعر يشكك أيضا فيها بقول "و قال آخر:

يا ملاح الدلال و الاغتـــــاج ما أرى القلب من هواكن نـــــاج

أنت زرفنت فوق خديك صدغا من عبير على صفائح عـــــاج

أشرقت وجنتاك بالنور حتـــى أغنتا الخلق عن ضياء الســـراج

فعلت مقلتاك بالقلب منـــــي فعلة القرمطي[2] بالحُـــــــجاج

يا هلالا آنست منه بضـــــوء جنح ليل من ظلام الـــــــداج

وقد لفت نظري في هذه الأبيات بقوله" فعلة القرمطي بالحجاج " فإنّ هذه العبارة تشير إلى وقعة حدثت بعد وفاة الجاحظ بأربعين سنة .

وذلك أن ذكرويه زعيم القراطمة هاجم الحجاج بجيوشه سنة 294 وفتك بهم فتكا ذريعا. حتى قالوا إنّ عدة القتلى كانت عشرين ألفا؟ إلخ. فكيف يتسنى للجاحظ أن يروي في كتاب له شعرا تُذكر فيه حادثة لم تقع إلا بعد وفاته بأربعين سنة؟ هذا ما لا يقول به عاقل! [3].

والباحث يتفق مع الدكتور السندوبي في هذا الرأي، لكن يظن الباحث أنه من زيادة النساخ أو الوراقين، وقد أضاف الوراقون شيئا غير قليل في كتب التراث . كما أن هذه الأبيات لم يذكر قائلها.

وقد أشار محمد الدروبي إلى آراء السندوبي والضعف الظاهر فيها بقوله: "تبدو بعض الأدلة التي يسوقها السندوبي في محاولة إسقاط نسبة بعض الكتب عن الجاحظ غير مقنعة ولا كافية إلى حد ما، وهو ما تنبه إليه بعض من عنوا بالتأليف عن الجاحظ "[4].

آراء شوقي ضيف:

يشكك د.شوقي ضيف في نسبة كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ أثناء حديثه عن ظاهرة تحسين الشيء وتقبيحه في العصر العباسي. بقوله: "تسري هذه الروح في قصص وحكايات

---

[1] المصدر نفسه، ج1، ص 267؛ المصدر نفسه، ج1، ص86.

[2] (ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وثلثمائة في المحرم منها اعترض القرمطي أبو طاهر الحسين بن أبي سعيد الجنابي لعنه الله ولعن أباه للحجيج وهم راجعون من بيت الله الحرام قد أدوا فرض الله عليهم فقطع عليهم الطريق فقاتلوه دفعاً عن أموالهم وأنفسهم وحريمهم فقتل منهم خلقاً كثيراً لا يعلمهم إلا الله وأسر من نسائهم وأبنائهم ما اختاره واصطفى من أموالهم ما أراد فكان مبلغ ما أخذه من أموال ما يقاوم ألف ألف دينار ومن الأمتعة والمتاجر نحو ذلك. البداية والنهاية، ابن كثير، ج 11، ص149- تكملة تاريخ الطبري).

[3] حسن السندوبي، أدب الجاحظ، ص 158.

[4] محمد الدروبي، آثار الجاحظ، ص 23.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخبار جُمعت ونُسقت في الكتاب المسمى بكتاب "المحاسن والأضداد "المنسوب خطأ للجاحظ"[1] ويعلل د.شوقي ضيف رأيه هذا بقوله: "لأنه يفتتح بكلمة: "قال أبو عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ "وتتوالى نقول عنه في فضائل الكتب ووصف فوائدها، نجدها مبثوثة في كتاب الحيوان"[2]. ويعقب على قوله هذا بأن يجعله علة لنسبة الكتاب للجاحظ عند القدماء.

ولعل هذا الاستهلال هو الذي جعل القدماء يظنون أن الكتاب من تأليف الجاحظ، وأيضا بأنه ينقل عنه في بعض فصوله نقولاً مختلفة. ولكن من يعرف أسلوب الجاحظ المطرد في كتبه يعرف تواً أن الكتاب ليس له، والطريف أن صاحبه ذكر في مستهله عن الجاحظ قوله في بعض رسائله: "أني ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن في الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والأحكام وسائر فنون الحكمة وأنسبه إلى نفسي فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم ..." [3].

ورأي د. شوقي ضيف يشكك في ذوق القدماء ومعرفتهم بالأمور من جهة، ومن جهة أخرى يشكك بعلمهم ومعرفتهم بأسلوب الجاحظ. ويجعل ما ورد في مقدمة الكتاب "المحاسن والأضداد "حجة عليهم تكون في صالح البيهقي لا في صالح الجاحظ.

والجاحظ في هذه المقدمة التي أوردها في مستهل كتابه "المحاسن والأضداد" يشير صراحة إلى ما كان منه من نسبته الكتب لابن المقفع وسهل بن هارون وسلم، صاحب بيت الحكمة، ويحيى بن خالد والعتابي. وهو بهذه الإشارة يؤكد أن كتاب "المحاسن والأضداد" له وأن أحداً لم يسأله صناعته أو تأليفه. وإنما كان عن اجتهاد منه وتبصر بالأمور ودراية. فإذا كان هذا الكتاب للبيهقي فلماذا يصدِّره بهذا الاستهلال. أظن البيهقي كما ظن د.شوقي ضيف أن أهل عصره يجهلون أسلوب الجاحظ، وأن هذه المقدمة ستكون عونا له في نسبة الكتاب للجاحظ. ثم بعد أن يشتهر الكتاب يعود البيهقي فينسب الكتاب لنفسه؟.

فلئن كان الجاحظ قد نحل بعض الكتب كما أسلفنا وأخبر هو عن نفسه. فقد كان هذا في عصر لم تكن فيه صناعة الورق قد اتسعت. وعلى هذا تكون النسخ محدودة وليست منتشرة. وإنّ دخول صناعة الورق في العصر العباسي جعلت كتابة الكتب وحركة التأليف والنسخ تزداد. فقد أنشأ الفضل بن علي البرمكي "في عهد الرشيد مصنعاً ببغداد للورق"[4] وذلك "لأن المدونين

---

[1] د. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص540.
[2] د. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص540.
[3] المصدر نفسه، ص540.
[4] المصدر نفسه، ص103.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نشطوا نشاطاً عظيماً في القرن الثاني عندما اشتدت حركة حفظ التراث القديم وخاصة بعد شيوع استعمال الورق"[1] .

ولعل أكبر دليل عل ذلك الإشارات الكثيرة إلى دواوين الشعراء في طبقات ابن المعتز، والقوائم الطويلة لدواوين الشعراء في كتاب الفهرست لابن النديم"[2] وقد أشار الجاحظ بنفسه إلى كثرة النسخ الموجودة من الكتاب الواحد بقوله: "وعن موسى بن يحيى قال: ما كان في خزانة كتب يحيى، وفي بيت مدارسه إلا وله ثلاث نسخ"[3] وإن ما يذهب إليه الباحث أن الجاحظ قد استطاع أن ينسب بعض الكتب في بداية حياته الأولية لسهل بن هارون وابن المقفع وغيرهما؛ لأن صناعة الورق لم تكن معروفة، ولم تكن النسخ منتشرة وإن هذا يتعذر في الفترة الزمنية التي عاش فيها البيهقي؛ لأن صناعة الورق قد انتشرت وساعدت على وجود النسخ من الكتاب الواحد وإنّ مؤلفات الجاحظ كانت تلقى رواجاً وسمعة بعد سطوع نجمه في عالم الكتاب والوراقين. وللوقوف على ذيوع مؤلفات الجاحظ وانتشارها نورد ما أورده ياقوت الحموي في ترجمته عن الجاحظ:

1- حدث يحيى بن علي المنجم قال، قلت للجاحظ: مثلك في علمك ومقدارك في الأدب يقول في "كتاب البيان" ويكره للجارية أن تشبه بالرجال في فصاحتها، ألا ترى إلى قول مالك بن أسماء الغزاري:

وحديــث ألــذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا

منطق صائبا وتلحن أحيا ناً وخير الحديث ما كان لحنا

فتراه من لحن الأعراب، وإنما وصفها بالظرف والفطنة، وإنما تلحن أي توري في لفظها عن أشياء وتتنكب ما قصدت له، فقال: فطنت لذلك، قلت: فغيره، فقال: فكيف لي بما سارت به الركبان؟! فهو في كتابه على خطئه"[4].

2- "ثابت بن قرة قال: ما أحسد العرب إلا على ثلاثة أنفس.... والثالث أبو عثمان الجاحظ... شيخ الأدب، ولسان العرب، كتبه رياض زاهرة، ورسائله أفنان مثمرة، ما نازعه إلا رشاه آنفاً، ولا تعرض له منقوص إلا قدم له التواضع استبقاء، الخلفاء تعرفه، والأمراء تصفه وتنادمه، والعلماء تأخذ عنه. والخاصة تسلم له، والعامة تحبه. جمع بين اللسان والقلم، وبين الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر النظم، وبين الذكاء والفهم، طال عمره وفشت

---

[1] علي الزبيدي، مجلة كلية الآداب: بغداد، مقالة مصادر الآداب العباسي، ص52.

[2] علي الزبيدي، مجلة كلية الآداب: بغداد، مقالة مصادر الآداب العباسي، ص54.

[3] الحيوان، الجاحظ، ج1، ص43.

[4] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص 2109، 2110.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكمته، وظهرت خلته، ووطئ الرجال عقبه، وتهادوا أدبه، وافتخروا بالانتساب إليه، ونجحوا بالاقتداء به، لقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب" [1].

3- "قال أبو حيان: وحدثنا ابن مقسم قيل لأبي هفان وقد طال ذكر الجاحظ له: لم لا تهجو الجاحظ ، وقد ندد بك، وأخذ بمخنقك فقال: أمثلي يخدع عن عقله، والله لو وضع رسالة في أرنبة أنفي لما أمست إلا بالصين شهرة، ولو قلت فيه ألف بيت لما طن بيت منها في ألف سنة"[2].

4- "قال أبو حيان: سمعت أبا معمر الكاتب في ديوان بادوريا قال: كتب الفتح بن خاقان كتاباً يقول في فصل منه: إن أمير المؤمنين يجد بك ويهش عند ذكرك. ولولا عظمتك في نفسه لعلمك ومعرفتك لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه، ولغصبك رأيك وتدبيرك فيما أنت مشغول به ومتوفر عليه، وقد كان ألقى إلي من هذا عنوانه فزدتك في نفسه زيادة كف بها عن تجشيمك، فاعرف لي هذا الحال، واعتقد هذه المنة وأعكف على "كتاب الرد على النصارى "وافرغ منه وعجل به ألي، وكن ممن حدا به على نفسه لتنال مشاهرتك. وقد استطلقته لما مضى، واستسلفت لك لسنة كاملة مستقبلة، وهذا ممن لم تحتكم به نفسك، وقد قرأت رسالتك في بصيرة غنام ولولا أني أزيد في مخيلتك لعرفتك ما يعتريني عند قراءتها، والسلام" [3].

5- قال أبو حيان: ومن عجيب الحديث في كتبه ما حدثنا به علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح قال: سمعت ابن الأخشاد شيخنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان في أول "كتاب الحيوان" أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرس، ومر بي في جملتها "الفرق بين النبي والمتنبئ" و"كتاب دلائل النبوة" وقد ذكرهما هكذا على التفرقة وأعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع لشيء دعاه إليه، فأحببت أن أرى الكتابين. ولم أقدر إلا على واحد منهما، وهو "كتاب دلائل النبوة" وربما لقب بالفرق خطأ، فهمني ذلك وساعدني في سوء ظفري به، فلما شخصت من مصر ودخلت مكة حرسها الله تعالى حاجاً أقمت منادياً بعرفات ينادي، والناس حضور من الآفاق على اختلاف بلدانهم وتنازح أوطانهم و تباين قبائلهم وأخبارهم من المشرق إلى المغرب ومن مهب الشمال إلى مهب الجنوب وهو المنظر الذي لا يشابه منظر: "رحم الله من دلنا على كتاب الفرق بين النبي والمتنبئ لأبي عثمان الجاحظ على أي وجه كان". قال

---

[1] المصدر نفسه، ج5، ص2114.
[2] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص2114.
[3] المصدر نفسه، ص2114، 2115.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فطاف المنادي في ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال: عجب الناس مني ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به قال ابن أخشاد: وإنما أردت بهذا أن أبلغ نفسي عذرها قال المؤلف: وحسبك بها فضيلة لأبي عثمان أن يكون مثل ابن الأخشاد، وهو هو في معرفة علوم الحكمة، وهو رأس عظيم من رؤوس المعتزلة، يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام، وهذا الكتاب موجود في أيدي الناس اليوم، لا تكاد تخلو خزانة منه، ولقد رأيت أنا منه نحو مئة نسخة أو أكثر" [1].

6- "قال أبو الفضل : ..... يا أبا القاسم كتب الجاحظ تعلم العقل أولا و الأدب ثانيا"[2].

7- "حدث أبو عبد الله الحميدي في"الجذوة"، قرأت على الأمين بن أبي علي عن القاضي أبي القاسم البصري عن أبيه قال، حدثنا محمد بن عمر بن شجاع المتكلم، حدثنا أبو محمد الحسن بن عمرو النجيرمي قال: كنت بالأندلس فقيل لي إن ها هنا تلميذاً لأبي عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن زيد و يكنى أبا خلف، فأتيته فرأيت شيخاً هماً، فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان، ولم يقع أبو عثمان إلى الأندلس فقال: كان طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بلقاء أبي عثمان، فوقع إلينا "كتاب التربيع و التدوير" له فأشاروا إليه، ثم أردفه عندنا "كتاب البيان و التبيين"له فبلغ الرجل الصكاك بهذين الكتابين....." [3].

فمن خلال هذه الآراء يستطيع القارئ والباحث الوقوف على انتشار كتب الجاحظ وذيوعها ومعرفة الناس بها وشهرتها. كما أن صناعة الورق أوجدت أفراداً مختصين بكتابة الكتب وهم الوراقون، وكان للجاحظ وراقان هم: "زكريا بن يحيى بن سليمان ويكنى أبا يحيى"[4]، "وعبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن أبي حية، أبو القاسم"[5] وهذان الوراقان قد اختصا بنسخ كتب الجاحظ وترويجها. وعلى هذا فهما أعرف الناس بكتبه وأعلمهم بأسلوبه. ولقد أشارت المصادر إلى أن البيهقي عاش بين عامي 295-320 للهجرة و لقد أشار الباحث لشيء من حياة البيهقي في مقدمة الفصل الثاني.

---

[1] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص 2116.
[2] المصدر نفسه ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص 2116.
[3] المصدر نفسه، ص 2116، 2117.
[4] الفهرس للنديم، صفحة 208.
[5] تاريخ مدينة السلام، ج 12، ص 287.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووراق الجاحظ عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن أبي حية قد "مات في شعبة من سنة تسع عشر وثلاث مئة"[1]. فإذا كانت وفاة هذا الوراق في هذه السنة فكيف يستطيع البيهقي أن ينسب كتاب "المحاسن و الأضداد" للجاحظ وقد عاش هذا الوراق حتى عاصره.

كما أن البيهقي لم ينسب كتاب المحاسن والمساوئ لنفسه بل جاءت نسبة هذا الكتاب له عن طريق أحد طلبته بقوله:"تمَّقه الفقير إلى عفو ربه إبراهيم بن مبارك بن سليمان هذا كتاب المحاسن والمساوئ لمولانا وعمدتنا شيخ الإسلام وعمدة العلماء الأعلام، البحر الهمام .سيدي الشيخ إبراهيم بن محمد البيهقي تغمده الله برحمته"[2].

والدكتور شوقي يعلل عدم نسبة كتاب "المحاسن والأضداد" للجاحظ لما وجد فيه من نقول عن عبد الله بن المعتز، وقد عرض الباحث لهذه الأقوال في حديثه عن آراء الدكتور حسن السندوبي.

ومن آرائه أيضا في صرف الكتاب عن الجاحظ ونسبته للبيهقي: "وبين السطور نحس شعوبية المؤلف حين يعلي ضيافة الفرس وكرمهم على ضيافة العرب وما عرف عنهم من خصلة الكرم والجود. ولم يكفه ذلك فقد جعل حاتماً يذبح ناقة ضيفه ليقدم له الغداء والعشاء وإن عاد يقول إنه أعطاه بدلاً منها عشرين ناقة، فكان يريد أن يستر شعوبيته. ولعل هذا الجانب في الكتاب الذي جعل المؤلف لا يظهر اسمه، حتى لا يؤخذ به"[3] وما القصص والأخبار والحكايات التي وردت في كتاب "المحاسن والأضداد"بالنظر لمثيلتها في"المحاسن والمساوئ" من أمور تتعلق بالشعوبية إلا فيض من غيض؛ فقد أكثر البيهقي في كتاب "المحاسن والمساوئ" من القصص والأخبار والحكم والأمثال وغيرها والتي تعلي من شأن الفرس، وتتنحى منحى الشعوبية بالتصريح لا بالتلميح ليس كما هو في كتاب "المحاسن والأضداد". ومن تلك الأبواب: محاسن الدهاء والحيل –ص98. محاسن التيقظ - ص110، محاسن الرسل – ص120، محاسن الحجاب- ص121، محاسن المواعظ- ص256.

أفخاف البيهقي على نفسه من إشارات وقعت في "المحاسن والأضداد" وأمن تصريحه في كتاب "المحاسن والمساوئ"؟.

وقد سبقت الإشارة في الفصل الثاني إلى شعوبيته ومذهبه الديني. وقد كان البيهقي شيعيا ينتصر لأهل ذمته، ولعل النزاع بين الشيعية والمعتزلة جعل البيهقي يضع كتابه "المحاسن

---

[1] المصدر نفسه، ج 12، ص 287؛ الأنساب، ج5، ص 585.
[2] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 4.
[3] دكتور شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص 544.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمساوئ" على مثيله "المحاسن والأضداد"، فقد كانت المعتزلة تصدرت الأدب والفكر قبل الشيعة فكانت تكيد للمعتزلة وتحمل عليها. ولما استقر الأمر للشيعة أخذوا بالرد على كتب المعتزلة وتخطئتها أو إتلافها. "وقد أخذت الشيعة المشعل من أيدي المعتزلة فحافظوا عليه طيلة القرن الرابع"[1].

فإذا كان الأمر قد استقر لهم في القرن الرابع وفي هذه الفترة كانت حياة البيهقي. فلماذا ينسب الكتاب للجاحظ وبينهما ما بينهما من اختلاف وتناقض. بل إنّ البيهقي رأى أن يضع كتاباً على مثل كتاب"المحاسن والأضداد"للجاحظ وأن يبقي على بعض الأبواب التي تتفق ومذهبه. مثل تلك الأبواب التي كانت في شتم معاوية وعمرو بن العاص. وقد سبقت الإشارة لذلك في الفصل الثاني.

ويعلل الدكتور شوقي ضيف نسبة كتاب "المحاسن والأضداد "للجاحظ وهو في ظنه النسخة الأولى التي أصدرها البيهقي لما فيها من قصص تنبو عن الأذواق، وشعر فيه غير قليل من الفحش بقوله: "وبعض قصص النساء بها غير قليل من الفحش، وقد تذكر أشياء غريزية تنبو عن الأذواق، على نحو ما يجري في بعض قصص ألف ليلة وليلة، وكانت قد ترجمت، فربما تأثر المؤلف بها، وربما تأثر المؤلف في ذلك بالشعر المفحش الكثير الذي كان موجوداً في العصر. وقد يكون ذلك من أسباب تنكر المؤلف وإخفائه لاسمه" [2].

ولقد عرض الباحث لرأي الجاحظ في اللفظ والمعنى في الفصل السابق عرضا تفصيليا يبين فيه رأي الجاحظ قي الألفاظ والحكايات وبعض الأخبار التي تقوم على البطالات، وأن هذا هو أسلوب الجاحظ كما سيعرض الباحث شيئاً من أسلوبه في هذا الفصل.

ولقد أشار الباحث قبل قليل لمذهب البيهقي الديني وأنه قد أبقى على الأبواب التي تتفق وهذا المذهب. وكأن البيهقي راغبٌ في إصلاح المجتمع وتسديده، فعمد إلى نزع مثل هذه القصص والأخبار من كتابه أو إغفالها.

ويعود الدكتور شوقي ضيف في حديثه عن البيهقي بإعادة الحجج مرة أخرى ليؤكد للقارئ رأيه وما قد ذهب إليه.

"ويلتقي بهذا الكتاب في موضوعاته وأكثر مادته كتاب "المحاسن والمساوئ "لإبراهيم ابن محمد البيهقي. وقد أغفلت الحديث عنه كتب التراجم. غير أنه يفهم مما ذكره عن الخليفة المقتدر في آخر حديثه عن محاسن المسامرة أنه ألف كتابه في زمنه. وهو يستهل كتابه بالحديث عن

---

[1] شارل بيلا، أصالة الجاحظ، ص 11.

[2] دكتور شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص545.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فضائل الكتب ووصف محاسنها مثل المحاسن والأضداد، ويماثله أيضا في النقل كثيراً عن الجاحظ. ثم يفتح طائفة من الفصول لم ترد في الكتاب السالف يتحدث فيها عن محاسن الرسول صلى الله عليه وسلم وفضائله ومساوئ المتنبئين ومحاسن الخلفاء الراشدين ومناقبهم ومساوئ من عادى عليّاً بن أبي طالب ومحاسن ابنيه الحسن والحسين ومساوئ قتلة الأخير ومحاسن السابقين إلى الإسلام ومساوئ المرتدين ومحاسن كلام الحسن بن علي وعبد الله بن العباس وفضائل بني هاشم ومحاسن الافتخار بالرسول صلى الله عليه وسلم. وكل هذه المقدمات ينفرد بها هذا الكتاب بالقياس إلى كتاب "المحاسن والأضداد" وبمجرد أن تفرغ منها نجد الكتابين يلتحمان، حتى ليصبح كتاب "المحاسن والمساوئ" كأنه نسخة جديدة لكتاب "المحاسن والأضداد"، مما يؤكد أن مؤلفها واحد، وكأن البيهقي ألف الكتاب الأول. وأقحم فيه ما أقحم من أفكار الشعوبية والفحش في القصص، ثم رأى أن يخرجه إخراجاً جديداً وينسبه إلى نفسه منحياً منه ما يصور شعوبيته وما ينبو عن الأذواق السليمة من القصص المفحش، مع وضع المقدمات آنفة الذكر. ويبدو منها أنه كان يكن نزعة شيعية، وإن لم يبرزها خوفاً على نفسه من المقتدر وحواشيه. وهو في هذه النسخة الجديدة للكتاب يذكر ابن المعتز على نحو ذكره له في النسخة القديمة أو بعبارة أخرى في كتاب المحاسن والأضداد.

وطبيعي أن تكون مصادر هذا الكتاب هي نفسها مصادر الكتاب الأول المنحول للجاحظ، لأنه ليس أكثر من نسخة مجددة له، وغاية ما هناك أنه دخله التنقيح وتهذيب كثير، وإذن فكل ما قلناه عن المزيج الثقافي في المحاسن والأضداد ينطبق بحذافيره على هذا الكتاب"[1].

وهذا الرأي المطول للدكتور شوقي ضيف قد حاول الباحث الرد عليه أثناء حديثه عن كتاب "المحاسن والأضداد". وفي هذا الرأي يؤكد الدكتور شوقي ضيف على الفترة الزمنية التي عاش فيها البيهقي، كما يؤكد على الشبه بين الكتابين، والحقيقة أن الأبواب المتشابهة بين الكتابين كانت مختلفة غالبا كما وضَّحها الباحث في الأبواب المؤتلفة بين الجاحظ والبيهقي. كما أن الدكتور شوقي ضيف يرى في كتاب "المحاسن والمساوئ" نسخة محسنة ومنقحة، نزع منها البيهقي وصحح ما قد أورده في كتابه الأول وهو "المحاسن والأضداد" حسب رأيه.

وعلى هذا فإن الدكتور شوقي ضيف يورد في بعض النصوص وكيف جرى عليها التعديل والتنقيح. وقد تكون بعض الألفاظ التي أشار إليها الدكتور شوقي ضيف قد سقطت من النساخ أو كان خطأ منهم لا كما ظن هو. والبعض الآخر قد يكون لاختلاف الأديبين في قضية اللفظ والمعنى.

---

[1] دكتور شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص 546،547.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا التشابه بين الكتابين في بعض الموضوعات والقصص يجعل الدكتور شوقي ضيف يذهب إلى أن يداً واحدة هي التي كتبت هذين الكتابين. "وأن أولهما كان أشبه بمسودة، واتخذ الثاني شكل نسخة مهذبة ومنقحة قد صُفِّيت وأخليت من كل الشوائب اللغوية وغير اللغوية، ودخلتها إضافات من الأمثال والأحاديث النبوية والأشعار والأخبار والأقاصيص"[1] وزيادة قد اعتمد البيهقي فيها على كتب الجاحظ ككتاب "البخلاء".

ولعل الدكتور شوقي ضيف لم يدرس الكتابين دراسة متأنية تفضي به إلى حكم تطمئن معه النفس إلى ما ذهب إليه؛ فقد جاءت كل آرائه تفيد التشكيك لا الترجيح. وقد حاول الباحث الرد على آراء الدكتور شوقي ضيف مستخدماً الأدلة العقلية منها والنقلية.

وهو مع ذلك عندما يتحدث عن المناظرات والجدل عند الجاحظ في كتابه "الفن ومذاهبه في النثر العربي" يقول: وقد تشبث بطريقة الحوار والجدل وما يتعلق بهما من مغالطة وسفسطة، فتكلم كثيراً عن محاسن الأشياء، ثم عاد فتكلم عن مساويها، ولعل خير ما يفسر ذلك كتاب المحاسن والأضداد الذي ينسب إليه، وقد لا يكون هذا الكتاب له، ولكن من يقرأ فيه يؤمن بأنه إما أن يكون من صنع الجاحظ نفسه أو من صنع شخص استمده من مغالطات الجاحظ في كتبه"[2].

آراء محمد الدروبي:

وقد سار بعض الباحثين على هذه الآراء التي ذكرناها للدكتور شوقي ضيف والدكتور حسن السندوبي فأثبتوها في دراساتهم دون تحقيق أو بحث أو تقصٍ للحقيقة. ومن هذه الدراسات دراسة الدكتور محمد الدروبي "أثار الجاحظ" قد حاول الدروبي تقصي الكتب والرسائل المشكوك في صحة نسبتها للجاحظ، فذكر عددا من الكتب والرسائل وما يهم الباحث منها كتاب المحاسن والأضداد، وقد اعتمد في تشكيكه في صحة نسبة الكتاب على الدكتور حسن السندوبي والدكتور شوقي ضيف مع شيء يسير من أراء كانت خاصة بمحمد الدروبي فذكر عددا من الذين أثبتوا أن الكتاب للجاحظ وذلك من القدماء والمحدثين. وحاول أن يجد أراء تشكك بنسبة الكتاب للجاحظ بقوله (سأجتهد فيما يلي في رصد أهم الأدلة و الشواهد التي تشير إلى خطأ نسبة الكتاب إلى أبي عثمان)[3].

وللوقوف على التأثر بآراء من سبقه وآرائه نعرض لها:

---

[1] دكتور شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص 548.
[2] المصدر نفسه، ص 173.
[3] محمد الدروبي، آثار الجاحظ، ص 205.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1- "تقوم منهجية الكتاب على منهج واضح من التقسيمات الدقيقة المحكمة التي تُعنى بذكر محاسن الأشياء وأضدادها من غير أن يكون هناك أثر يذكر في الخروج على الموضوع أو الانحراف عنه. ومعنى هذا أن المنهج الذي بنى عليه المؤلف كتابه، لا يتفق مع المنهج العام الذي أشاعه الجاحظ في كتبه، لا سميا فيما يتعلق بظاهرة الاستطراد التي لا نكاد نلمس لها حضورا – ولو على نحو – في هذا الكتاب" [1].

يتفق الباحث مع محمد الدروبي فيما ذهب إليه من حسن تنظيم الكتاب وتقسيم أبوابه بدقة. وقد أشار الدكتور خليل مردم لحسن هذا التنظيم، وأنه أكثر كتب الجاحظ تنظيما وترتيبا. إلا أن الجاحظ قد صرح برأيه الذي ورد في محاسن الكتب عن التنوع الذي يتضمنه الكتاب بقوله: "وجملة الكتاب وإن كثر ورقه، فليس مما يمل لأنه وإن كان كتابا واحدا فإنه كتبٌ كثيرةٌ في خطابه والعلم بالشريعة والأحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير"[2].

وأما عن ظاهرة الاستطراد والتي عرف بها الجاحظ فإننا نلحظها بشكل أو بآخر وإن كانت خفيفة في بعض الموضوعات. وقد أشار لها الباحث في مكانها، وإن من أكبر الإشارات التي تدل على الاستطراد عنده خروج الجاحظ من موضوع إلى آخر، لا سيما في تلك الموضوعات المتعلقة بالنساء، ولعل قصر الأبواب التي تناولها الجاحظ حالت دون ظهور هذه الظاهرة بشكل جلي .

2 - يقول الدروبي: (لا يكاد مؤلف الكتاب يطلع علينا في ثنايا مختاراته ومرويّاته، فالكتاب يجري من فاتحته إلى خاتمته على أساس الاختيار المحض . وليس هذا – كما هو معروف- من أساليب الجاحظ الذي كان يدخل على موضوعه و يحاوره ويقف منه موقفاً محدداً يضمن حضور شخصيته وظهوره بشكل واضح) [3].

"الأسلوب هو الكاشف عن فكر صاحبه ونفسيته، يقول أفلاطون: [كما ترون طبائع الشخص يكون أسلوبه]"[4] ومن خلال هذا القول يستطيع الباحث أن يقف على شخصية الجاحظ وهي الشخصية التي تثير فيك الفضول وتجعلك تبحث عن الحقيقة حتى تصل إليها، فيكون بذلك لذة النجاح.

وقد عمد الجاحظ في كتبه العديدة إلى السخرية والتهكم من بعض الشخصيات وقد أشار الدكتور شفيق جبري في كتابه "الجاحظ: معلم العقل والأدب" وبعض مقالاته إلى هذه الظاهرة

---

[1] محمد الدروبي، آثار الجاحظ، ص 205.
[2] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 12.
[3] محمد الدروبي، آثار الجاحظ، ص 205.
[4] عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ص 43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عند الجاحظ. كما أشار إلى كتاب المحاسن والأضداد. على أن الجاحظ قد أقامه على ذكر محاسن الشيء وضده سخرية منه وتهكماً.

"كلف الجاحظ بالإضحاك أمر بيِّن، وقد بسط مذهبه هذا في أكثر كلامه، ولست في حاجة إلى ذكر نادرة من نوادره في أثناء كلام له على بعض الحيوان، أو على الفلاسفة، أو على الدين فإن هذه النوادر مبعثرة في كتبه، والحقيقة أن الذهن قد تتعبه أمور العلم فيحتاج إلى التنشيط"[1].

"فإذا كان الجاحظ في تعظيمه الشيء وتصغيره، وفي تحسينه إياه وتقبيحه يرمي إلى حقيقة فلسفية، فيصور لنا طبقة من الناس، يستحسنون طائفة من الأمور ثم يصور لنا طبقة غيرهم يستقبحون ما استحسن غيرهم، إذا كان غرض الجاحظ في هذه الأساليب تقرير هذه الحقيقة، فكأنما يريد أن يقول لنا، لا حقيقة مطلقة في الدنيا. وإذا كان هذا قوله فكأنما الجاحظ هزىء بالحياة كلها"[2].

كما يورد الدروبي بعض الآراء التي تأثر بها بالدكتور شوقي ضيف والدكتور السندوبي. ويذكرها هنا الباحث كي لا يغفل أي رأي جاء به الدروبي في دراسته. وقد سبق الرد على مثل هذه الآراء عند مناقشة أراء د.شوقي ضيف ود.السندوبي.

"تختلف مقدمة الكتاب في بنائها وأسلوبها عن مقدمات آثار الجاحظ الجزلة التي كان يولد فيها الشخوص ويتوجه بكلامه إليهم. والظاهر أن هذه المقدمة كانت وراء نسبة الكتاب إلى الجاحظ، إذا إن المؤلف استهلها بعبارة: "قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.... "ويبدو أن هذه العبارة أشكلت على بعض الذين تعاوروا على نسخ الكتاب، فظنوا أن الكتاب من تأليف أبي عثمان، فترجموه باسمه، وبهذه الطريقة أضيفت بعض الآثار إلى الجاحظ، كما سبق"[3].

كما يشير الدروبي إلى قضية عبد الله بن المعتز وما ورد عن شعر قد نسب له. وقضية أخرى هي التشابه بين كتاب "المحاسن والأضداد" و"المحاسن والمساوئ" وقد سبقت مناقشة هذه الآراء.

أسلوب الجاحظ

وهكذا يستطيع الباحث أن يطمئن بعض الشيء إلى أن كتاب "المحاسن والأضداد" للجاحظ،وأن البيهقي قد وضع كتابه "المحاسن والمساوئ" على النهج الذي اتبعه الجاحظ في

---

[1] شفيق جبري، الجاحظ معلم العقل والأدب، ص 189.
[2] المصدر نفسه، ص201.
[3] محمد الدروبي، آثار الجاحظ ، ص205.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتابه. وكي يستطيع الباحث الاطمئنان أكثر إلى ما ذهب إليه، يعرض ما يميز أسلوب الجاحظ وطريقته في تأليف الكتب.

قد امتاز الجاحظ بأسلوبه الفريد وعنايته بالألفاظ، فألفاظه عذبة رشيقة تتفق والموضوع الذي يتحدث فيه. وقد أكد الجاحظ في غير مكان من كتبه على مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

كما أنه في أسلوبه يؤكد على التوسط بالكلام أي ما بين كلام العامة وكلام الخاصة. ولكنه في روايته للأخبار والقصص والحكايات يؤكد على إيرادها كما صدرت من أفواه قائليها وبألفاظهم، وأنه لا يجب أن تضع لفظاً مكان لفظ، "وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، وملحة من ملح الحشوة والطغام، فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظاً حسناً، أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرياً؛ فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ، ويخرجها من صورتها. ومن الذي أريدت له. ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها".[1]

كما أن الجاحظ عرف بالتوازن والازدواج والتكرار في أسلوبه. "والتوازن هو: تعادل الفقرات على نحو السجع. ويختلف عن السجع بعدم التقيد بالقوافي. ويرى البيانيون أن حسنه قائم (كحسن السجع)على ما يلي:

1. أن تكون الفواصل على زنة واحدة.
2. ألا تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني.
3. أن تكون العبارات قصيرة متساوية"[2].

والازدواج هو أن تكون الجمل متقاربة في قصرها وطولها وكأنها قد قطّعت تقطيعاً صوتياً متماثلاً، وأما التكرار؛ هو أن يأتي الجاحظ بالمعنى الواحد في جمل عديدة ويلح على معناه.

ونلحظ هذا في كثير من آرائه، ومنها رأيه في محاسن الكتب. "قال الجاحظ: وبعد فما رأيت بستاناً يحمل في ردن، وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى آمن من الأرض، وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جاراً آمن ولا خليطاً أنصف ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً أخضع ولا صاحباً أظهر كفاية وعناية ولا أقل ملالاً ولا إبراماً ولا أبعد من مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب"[3].

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1،ص146.
[2] هناء حرامي، التجربة الجمالية،عند العرب، ص65
[3] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص11.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالملاحظ في هذه الفقرة الوصف اللطيف لفوائد الكتاب ونعته لصفات عديدة، لا بل الإلحاح عليها. وقد يكون هذا الإلحاح من سبيل إيضاح الفكرة عند الجاحظ. وقد جاءت جمله قصيرة متوازنة وقد خلت من السجع مع توازن صوتي. وبما أن الجاحظ قد اعتمد في كتابه "المحاسن والأضداد "على الاختيارات المتضادة في حديثه عن محاسن الشيء وضده فجعل الخبر ضد الخبر والحكاية ضد الحكاية وكذلك المثل والشعر. فالباحث يرى أن يدرس البنية الحكائية في كتاب "المحاسن والأضداد"؛ لأن الجاحظ لا يطل على قارئه من هذا الكتاب إلا في مواضع قليلة.

وتأليف الجاحظ لكتبه قد قام على عدد من النقاط منها:

1- الكلام في الشيء وضده

امتلأت كتب الجاحظ بالمناظرات والجدل فأصبحت هذه الطريقة أسلوباً يمتاز به الجاحظ و"كل ذلك يمثل مقدرة الجاحظ على صناعة الكلام والمداورة بالمعاني المختلفة، وقد أصبحت هذه الصناعة بين يديه أداة مرنة يعبر بها عن كل شيء، عن الحق والباطل، عن الشيء وضده على سواء، ولا سيما أن طرفي النقيض كثيراً ما يتماسان في الحقيقة الواحدة فيقرب الشيء من نقيضه، لقد أصبح الكلام، ولا سيما في الخطابة الجدلية غاية لذاته هدفه إحراز الغلبة وإفحام الخصم بالتأثير والإقناع،مهما كانت صحة الوسائل المستعملة وشرعيتها"[1].

2- الاستطراد الظاهر في كتبه.

فقد عرف الجاحظ بهذه الظاهرة وهو انتقاله من موضوع إلى آخر. "إذ يلاحظ كل من يقرأ في أدب الجاحظ حالاً من التشعب في التأليف. فهو دائماً ينتقل من باب إلى باب ومن خبر إلى خبر ومن شعر إلى فلسفة ومن جد إلى هزل في تشعب هائل "[2].

وقد استخدم في أسلوبه هذا أيضاً المزاوجة بين الجد والهزل وإنّ قصد الجاحظ من استطراده ومزاوجته بين الجد والهزل حثّ القارئ على قراءة الكتاب وتنشيطه. يقول "... وللصبر غاية، وللاحتمال نهاية، ولا بأس بأن يكون الكتاب موشّحاً ببعض الهزل. وعلى أن الكتاب إذا كثر هزله سخف، كما أنه إذا كثر جده ثقل. ولا بد للكتاب من أن يكون فيه بعض ما ينشّط القارئ وينفي النعاس عن المستمع، فمن وجد في كتابنا هذا بعض ما ذكرنا، فليعلم أن قصدنا في ذلك إنما على جهة الاستدعاء لقلبه، والاستمالة لسمعه وبصره"[3].

---

[1] فيكتور شلحت اليسوعي، النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ، ص125.
[2] الدكتور شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، 166 .
[3] رسائل الجاحظ، ج3، ص153.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول الجاحظ موضحاً هذا الأسلوب: "وإن كنّا قد أمللناك بالجّد وبالاحتجاجات الصحيحة والمروّحة، لتكثر الخواطر وتسحر العقول... فإنّا سننشطك ببعض البطالات وبذكر العلل الظريفة، والاحتجاجات الغريبة، ... وسنذكر من هذا الشكل عللاً، ونورد عليك احتجاجات الأغبياء حججاً، فإن كنت ممن يستعمل الملالة، وتعجل إليه السآمة، كان هذا الباب تنشيطاً لقلبك، وجماماً لقوتك"[1].

والجاحظ لم يستخدم أسلوب الاستطراد في كتابه "المحاسن والأضداد" إلا في مواضع قليلة، كما فعل في الموضوعات التي تتحدث عن أخبار النساء. ولعلّ قلة شيوع هذه الظاهرة في كتابه "المحاسن والأضداد" تعود إلى ما يأتي:

أ. قصر الأبواب، إذ إنّ هذه الظاهرة تحتاج إلى أبواب طويلة بعض الشيء.

ب. انتقاله السريع من موضوع إلى آخر.

ج. اختياره المحض للأخبار والقصص والحكايات والشعر .فهو لا يتدخل بأي رأي له إلا فيما ندر.

3- الواقعية.

وقد أقام الجاحظ كتبه على كثير من حكايات الواقع فتحدث عن حسنات عصره كما تحدث عن مساوئه. فهو في أدبه يصور مجتمعه تصويراً دقيقاً. وهذا ما يظهر في تضاعيف الكتاب من قصص وأخبار فيها شيء غير قليل من فحش وألفاظ تنبو عن الأذواق. وقد استخدمها الجاحظ ليذهب ملل القارئ ويستميل سمعه.

يقول: "وقد غلطك فيه بعض ما رأيت في أثنائه من فرح لم تعرف معناه، ومن بطالة لم تطلع على غورها، ولم تدر لم اجتلبت... ولأي جد احتمل ذلك الهزل، ولأي رياضة تجشمت تلك البطالة، ولم تدر أن المزاح جد إذا اجتلب ليكون علة للجد، وأن البطالة وقار ورزانة. إذا تكلفت لتلك العاقبة"[2].

4- العقلانية.

فقد ناقش الجاحظ في كتبه آراء كثيرة وأخضعها للعقل، وبيّن خطأها من صوابها، وقد اتسمت مؤلفاته بإعمال العقل للوصول إلى الحقيقة. وعلى هذا جرى كتاب "المحاسن والأضداد" فهو يعلي من شأن العقل ويجعله إماماً ليهتدي به إلى الصواب. وقد تأثر الجاحظ في أدبه هذا

---

[1] الجاحظ، الحيوان، ج3، ص5، ص6.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص37.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بآراء المعتزلة وإعلائهم العقل. فأقام كثيراً من كتبه على تحسين الشيء وتقبيحه أو ذكر الشيء وضده. "وهو أول من وضع كتاباً في فكرة من الفِكَرْ، ثم نقضه بكتاب آخر، فكان أبرع كاتب جمع بين النقيضين، واحتج للنقيضين، وذم ومدح النقيضين. وما ذلك إلا باب من أبواب التفنن والتمكن من ناحية البيان والبراعة في الكلام وقوة الاختراع"[1].

توظيف الحيوان عند تعرض الشخصية للخطر:

قصة المورياني

"قال صاحب الديك لصاحب الكلب: وسنضرب لك المثل الذي ضربه المورياني للديك والبازي، وذلك أن خلاد بن يزيد الأرقط قال: بينما أبو أيوب المورياني جالس في أمره ونهيه..."[2]

لقد عمد الجاحظ في عدد من حكاياته إلى أسلوب التمثيل وإشراك الحيوان مع الإنسان في الأحداث التي يتعرض لها ، لاسيما تلك الأحداث الصعبة. ونرى الجاحظ في الحكايات يعمد لقصة تحكيها الشخصية التي تشعر بالخطر" حيث لجأت الشخصية إلى سرد حكاية تمثل حالته على ألسنة الحيوانات." [3]

وتبدأ الحكاية بعرض بسيط للمورياني وهو جالس في أمره ونهيه، وهذا دلالة على مكانته. فهو أحد وزراء أبي جعفر المنصور المقربين، وقد أحس بالخطر بعد رؤيته لرسول الخليفة، الذي كان قد أهدر دمه، وهنا تبدأ الأحداث بالتعقيد، وحالة عدم التوازن بعد أن كانت مستقرة، من ثم لجأ المورياني إلى قصة البازي التي عملت على إيضاح الفكرة لدى سامعيها. وهذه القصة ساعدت على إعادة حالة الاستقرار والثقة إلى الشخصية.

وهذا الأسلوب عند الجاحظ نراه في غير حكاية من حكاياته كما هو في قصة بلاش بن فيروز إلى ملك الهند. "قال الكسروي: كتب بلاش بن فيروز إلى ملك الهند يخطب ابنته فلم ينعم له ورد رسوله خائبا"[4]

تروي هذه الحكايه خبر بلاش مع ملك الهند وابنته وقد قدَم الجاحظ شيئاً بسيطاً عن ملك الهند. لأن الحكاية تتحدث عن ابنة ملك الهند ، وما كان من أمرها مع ابنة السائس وهي إحدى زوجات بلاش، ونلحظ في الحكاية حالة من الاستقرار قبل شعور الشخصية بالخطر، وعندها

---

[1] هناء حرامي، التجربة الجمالية عند العرب، ص12.
[2] انظر الملحق، نص1.
[3] خولة شخاترة، بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان، ص 109.
[4] انظر الملحق، نص 2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلجأ الشخصية إلى حكاية تصور حالها على ألسنة الحيوانات؛ فابنة السائس بعد أن شعرت بالخطر قصَت على بلاش حكاية الثعلب، مع عظيم الطير، وما كان من أمره وخداعه لجموع الطير، مع تحذير الطيور لعظيمها من مكر الثعلب، بعد أن فقدوا أفاضلهم وذلك بعد مجيء الثعلب إلى أرضهم، وما كان من دفاع عظيم الطير عن الثعلب حتى وقع في قبضته. "يُقال إن ثعلباً جاع في ليلة، فرقى شجرة ليأكل منها فسال الوادي الذي فيه تلك الشجرة بسيلٍ شديد فاقتلعها"[1].

وقد حاولت ابنة السائس بهذه القصة إعادة التوازن بعد شعورها بالخطر. وقبل أن يتحقق لها هذا قصَت ابنة ملك الهند على بلاش حكاية الغراب والحمامة، وقد حاولت هي الأخرى تصوير حالها مع ابنة السائس و تبرير قلة وفائها و نكرانها لجميل من أحسن إليها. "زعموا أن غرابا ألف مطبخاً لبعض الملوك فأخذ من أطيب اللّحمان ، التي قد صارت فيه، شيئاً...." [2]

وهكذا استعادت ابنة ملك الهند حالة الاستقرار و التوازن بعد أن كادت ابنة السائس أن تستميل الملك إلى جهتها.

قصة المأمون

وكما في قصة المأمون "و قيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل قال: يا عدو الله أنت الذي تفسد في الأرض....." [3]

بداية هذه القصة مثل سابقتها لا تحفل بوصف المأمون ولا حتى بالشيء اليسير وتقدم الحدث بأن المأمون قد ظفر برجل كان يطلبه. وعند شعور هذا الرجل بالخطر حاول أن يفتدي نفسه بالمال إلا أن المأمون أبى وأصرّ على قتله، فلجأ الرجل إلى إنشاد الخليفة شيئاً من الشعر يتحدث فيه عن حكاية البازي والعصفور وما كان من أمرهما، وهو في هذه القصة يصور نفسه مع الخليفة المأمون.

وبعد أن يسمع الخليفة شعر الرجل تتجه الحكاية إلى استعادة التوازن و الاستقرار فيطلق سراحه و يصله.

- **السمات المشتركة بين القصص السابقة**:

إن الناظر في هذه القصص يستطيع أن يلمح توظيف العنصر الحيواني فيها. وأنَ هذا التوظيف قد ساعد الشخصيات على الخروج من مأزق قد وقعت فيه. فقامت الشخصيات التي

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 165.
[2] المصدر نفسه، ص 166.
[3] انظر الملحق، نص3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشعر بالخطر بقص حكاية مماثلة لواقع الأزمة التي تمر بها الشخصية، فتساعد هذه الحكاية الشخصية في التخلص من مأزقها، وقد جرت الحكايات كلها على الطريقة ذاتها في تطور الحدث وتأزم العقدة ومن ثم انفراجها. وهذا التطور غير مرتبط بمدة زمنية محددة "ويمكن الحديث هنا عن بنية زمنية خاصة بالحكايات. وهي زمنية الانتقال من وضعية إلى أخرى. مروراً بحالة عدم التوازن، دون تحديد تلك المدة بزمن أو تقييدها"[1].

وفي ما يلي بيان هذه الحالة في هذه الحكايات:

1- في حكاية المورياني تتضح حالة الثبات والتوازن في جلسة المورياني في أمره ونهيه. وهذه الإشارة تدل على الاستقرار قبل وقوع الحدث، وفي لحظة تأزم الحدث وتصعيده يأتيه رسول الخليفة المنصور، ويتضح للقارئ تأزم الحدث من حالة الفزع التي أصابت المورياني" فانتقع لونه، وطارت عصافير رأسه، وأذن بيوم بأسه، وذعر ذعراً نقض حبوته، واستطار فؤاده"[2] وهنا نلحظ حالة عدم التوازن من ثم تتجه الحكاية إلى الانفراج شيئاً يسيراً، بعد أن عاد طلق الوجه، ثم تذكر المورياني منزلته الرفيعة وأخذ بسرد القصة التي تتحدث عن البازي والديك لكي يعيد حالة التوازن لنفسه. وقد أنهى قصته بعد أن استعاد حالة التوازن مرة أخرى بقوله: "ولكنكم أنتم لو علمتك ما أعلم، لم تتعجبوا من خوفي، مع ما ترون من تمكن حالي"[3].

2- وقصة بلاش بن فيروز تتضح فيها السمات ذاتها التي أشرنا إليها، فلا تحفل الشخصية التي يقع فيها التهديد بالوصف أو بالحديث عنها، وكانت حالة التوازن والاستقرار موجودة عند ابنة السائس قبل اتصال ابنة ملك الهند بها والانقطاع إليها، ويظهر ذلك في قول الحاضنة " إني وجدت له أربعمائة امرأة ما بين أمة وحرَة وليس فيهنَ أكرم عليه من ابنة سائس من سوَاسه أعجبته فتزوج بها"[4] ونلاحظ بعد تطور الأحداث حتى تصل إلى الأزمة وبهذا تبدأ حالة عدم التوازن بعد أن غدرت ابنة ملك الهند بابنة السائس وحازت على رضا الملك، والضعف الذي يظهر على ابنة السائس بعد تأزم الأحداث إذ قالت: أيتها السيدة متوجهة إليك بشيء هو أملك بك من حلمك ولا أعطف على فضلك ولم يظلم من رفع فوقي من هو أفضل مني وكل فرع يرجع إلى أصله ولكل زهر ينسب إلى سنخه"[5] ولما فشلت ابنة السائس في استعطاف ابنة ملك

---

[1] خولة شخاترة، بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان للجاحظ، ص 111.
[2] الجاحظ، الحيوان، ج 2، ص 361.
[3] المصدر نفسه، ص 361.
[4] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص163.
[5] المصدر نفسه، ص 164.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهند وعزمت الأخيرة على تزويجها من خادمها قصَت ابنة السائس حكاية الثعلب مع عظيم الطير لتحذير الملك من غدر ابنة ملك الهند كي تستعيد بذلك التوازن الذي فقدته.

وقبل أن تستعيد ابنة السائس هذا التوازن قصَت ابنة ملك الهند قصة أخرى على لسان الحيوان، فما كان من ابنة السائس بعد فقدها التوازن الذي أرادته إلا أن تختار طريقة أخرى وهي الموت سماً "فقالت ابنة السائس من اعتاد معالي الأمور لم تطب نفسه بأسافلها إلا أن استعذبت الموت فعمدت إلى سم كان معها فقذفته في فيها فخرَت ميتة"[1] كما تظهر حالة الاستقرار عند ابنة ملك الهند في نيل رضا بلاش وانقطاعه عندها بعد أن علمتها ابنة السائس كيفية التعامل مع الملك. " فقام الملك حتى دخل عليها وانتهى إلى باب مجلسها فقامت إليه تمشي بأحسن هيئتها متكسرة في حليها وزينتها عبقة بطيبها وعطرها، فقبلت بين عينيه وأخذت بيده حتى أجلسته في صدر فرشها وجعلت تقبل يديه ورجليه ضاحكة إليه مظهرة السرور به فجذبها إلى نفسه ..... ثم أخذ منها في المداعبة وأقام عندها سبعة أيام"[2]

وبعد حالة التوازن هذه تفاجأت ابنة ملك الهند بدخول جارية لابنة السائس لتبدأ حالة عدم التوازن عندها. ويظهر ذلك في قول الجارية لابنة الملك: "إن سيدتي- تعني ابنة السائس – تقول قد اجتمع فيك ثلاث خصال: الأولى الغدر بمعلمتك، والثانية فضل تطاولك، والثالثة كفران النعمة. وإني عن قريب رادتك من الملك إلى غصص الغيظ. فأفحمتها وهملت عيناها ونظرت إلى الملك كالمستغيثة به"[3]

ومن ثم تتأزم العقدة ويتضاعف الضيق على الهندية بعد أن تقص ابنة السائس على الملك حكاية الثعلب مع عظيم الطير، فتسرع الهندية في قص حكاية أخرى عن الغراب والحمامة كي تستعيد بها التوازن مرة أخرى . ويظهر ذلك في عدم استجابة الملك بلاش لقصة ابنة السائس، و إصرار الهندية على تزويجها من خادمها.

3- وأما في قصة المأمون فلم نجد تقديماً عن شخصية الخليفة لأنها شخصية معروفة. و الرجل الذي ظفر به الخليفة كان في أمن قبل أن يقع في يده، وعندما بدأت هذه الشخصية في فقد حالة التوازن عرضت على الخليفة المال، فلما لم تفلح في استعادة التوازن، أنشدت الخليفة شعراً تحكي فيه قصة البازي و العصفور. واستطاعت أخيراً استعادة حالة التوازن مرة

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 167.
[2] المصدر نفسه، ص 164.
[3] المصدر نفسه، ص 164.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخرى، "قال: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تبقيني حتى أؤيدك بمال قال لا سبيل إلى ذلك. فقال: يا أمير المؤمنين فدعني أنشدك أبياتا"[1].

وتختلف هذه القصة عن سابقتيها بأن الحكاية جاءت شعراً لا نثراً، لكنها في النهاية أدَت الغرض ذاته، واستطاعت الشخصية أن تستعيد حالة التوازن . " فقال له المأمون: أحسنت! ما جرى ذلك على لسانك إلا لبقية بقيت من عمرك فأطلقه وخلع عليه ووصله. "[2]

"وتبدأ القصة بحالة مستقرة ثابتة تؤثر عليها قوة ما فتجعلها مضطربة فينتج عنها حالة من عدم التوازن، ثم تتم إعادة التوازن بفضل تلك القوة المبذولة في الاتجاه المعاكس. والتوازن الثاني يشبه التوازن الأول، ولكنهما غير متماثلتين أبداً. وبناء على ذلك، يوجد نوعان من الأحداث أو الحلقات في القصة: النوع الأول وهو ما يصف حالة التوازن أو عدم التوازن و النوع الآخر يصف التحول من حالة إلى أخرى"[3]

من خلال هذه الحكايات نستطيع أن نلمح هذا الأسلوب لبناء الحكاية الجاحظية و الذي وظَف فيه عنصر الحيوان. ومما لا شك فيه أن الجاحظ كان شديد الملاحظة أثناء وضعه لكتابه "الحيوان" و ما اختص به الله _ عزَ وجل _ هذه المخلوقات من حكمته و تدبيره، " وقد يعمد الجاحظ أحياناً إلى أسلوب تضمين الحكاية حكاية أخرى، وعندئذ نرى الشخصية التي يدور حولها الحدث المتأزم، تعود بنا إلى الخلف؛ لتقص علينا حكاية حدث وقع لها في الماضي، له علاقة وثيقة بالحدث الذي يدور حولها في الحاضر، مما يلقي الأضواء على حقائق كانت خافية، ويؤدي إلى انفراج المأزق في النهاية." [4]

مطلع الحكاية عند الجاحظ:

إن موهبة الجاحظ القصصية جعلته من روَاد هذا الفن حيث توافرت عنده معظم عناصر الحكاية من عناية بالمطلع و شخصيات وحوار وعقدة وصولاً إلى الحل. "ولذلك نجد البداية في الحكايات تشدنا إليها في الغالب، وتغرينا بمتابعة القراءة. ويلاحظ أن أساليب الاستهلال التي يعمد إليها الجاحظ في حكاياته كثيرة ومتنوعة، ويصعب حصرها جميعها"[5].

فالجاحظ في بعض حكاياته يشير إلى الحدث في مطلع الحكاية كي يشد القارئ ويغريه بمواصلة الحكاية. كما هو في قصة النعمان بن المنذر "قيل: وملك النعمان بن المنذر أربعين سنة

---

[1] المصدر نفسه، ص 38.
[2] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 38.
[3] خولة شخاترة، بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان للجاحظ، ص 106.
[4] توفيق أبو الرب، الحكاية في أدب الجاحظ، ص 212.
[5] المصدر نفسه، ص 138.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلم تر منه سقطة غير هذه وهو أنه ركب يوماً فبصر بجاريه قد خرجت من الكنيسة فأعجبته لجمالها ....." [1].

وإن القارئ ليتساءل من بداية الحكاية ما هي السقطة التي حصلت من النعمان وذلك بعد أن قدَم الجاحظ شيئاً عن حكم النعمان خلال أربعين سنة كان فيها خالياً من سقطات تُنسب إليه.

والجاحظ بهذه الطريقة يغري القارئ بمواصلة الحكاية وهو قد قدَم له شيئاً بسيطاً عن مضمونها ولكنه لم يفصح عن هذا المضمون.

وكذلك فيما جرى بين المأمون مع الرجل الذي ظفر به " قيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال يا عدو الله أنت الذي تفسد في الأرض بغير الحق...." [2].

وكما لاحظنا في القصة الأولى نلاحظ هنا أيضاً اهتمام الجاحظ بمطلع الحكاية، ونستطيع أن نحدد الفعل الذي يثير التشويش بمواصلة الحكاية وهو (ظفر). حيث "تبدأ الحكاية بداية متأزمة منذ أسطرها الأولى، كأن نرى خطراً يحيق بشخصية الحكاية، فيثور حب الاستطلاع في نفوسنا، ونأخذ نتساءل: ماذا سيحدث للشخصية: ستنجو أم سينالها الأذى؟!"[3].

كما أن بعض الحكايات التي تعتمد منذ البداية على الأزمة تثير في نفس القارئ تساؤل كيف حصل هذا ولماذا؟ وذلك في حكاية النظام "أخبرني أبو إسحق إبراهيم بن سيار النظام فقال: جعت حتى أكلت الطين وما صرت إلى ذلك حتى قلبت قلبي، أتذكر هل بها رجل أصيب عنده غداء أو عشاء ....." [4].

ومن الحكايات التي يشير فيها الجاحظ إلى شيء من المضمون من المطلع لكننا لا ندري على أي نحو ستجري حكاية بلاش بن فيروز إلى ملك الهند يخطب ابنته فلم ينعم له وردَ رسوله خائباً، فتحشم وسار إليه في خيله ورجله..." [5].

وهذه الحكاية منذ بدايتها يقدَم الجاحظ لمضمونها وهي تدور حول ابنة ملك الهند بجيشه. ولا ندري لمن ستكون الغلبة. والحكاية بعد هذا تجري أحداثها حول ابنة ملك الهند وإحدى زوجات بلاش.

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 201.
[2] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 38.
[3] توفيق أبو الرب، الحكاية في أدب الجاحظ، ص138.
[4] الجاحظ، الحيوان، ج3، ص 451.
[5] الجاحظ، المحاسن والأضداد، 162ص.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وأسلوب البداية القصصية المتأزمة الذي يعمد إليه الجاحظ في بعض حكاياته يدل على أن هذه الحكايات في الغالب تقوم في بنائها على الحبكة، التي يميل الجاحظ في أكثر الأحيان إلى الابتداء بها ليشد بها انتباه القارئ منذ الكلمات الأولى ويغريه بمواصلة القراءة حتى النهاية." [1]

وهذا ما نلاحظه في حكاية شهاب بن حرقة السعدي وما كان من أمره مع الحجاج" وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الأشعث الكندي ما كان، قال الحجاج: اطلبوا لي شهاب بن حرقة السعدي في الأسرى أو القتلى....." [2]

وهذه القصة منذ مطلعها تشد القارئ وتغريه بمواصلة الحكاية، وذلك لإلحاح الحجاج في طلب شهاب بن حرقة في الأسرى أو القتلى، وعلى هذا يأخذ القارئ بالتساؤل: ماذا فعل شهاب كي يطلبه الحجاج على هذه الطريقة؟ وما هو مصيره إذ هم وجدوه مع الأسرى؟ لا سيما أن الحكاية أشارت إلى ما كان من عبد الرحمن بن الأشعث. وتتواصل الأحداث حتى تبلغ ذروتها ويصل إبداع الجاحظ إلى العقدة، و من ثم يختار لها حلاً لا يستطيع القارئ التنبؤ به. وعلى هذا نرى الجاحظ بإبداعه القصصي يشد القارئ من مطلع الحكاية وصولاً إلى العقدة من ثم يختار لها نهاية مشوقة تزيد من شغف القارئ بهذا الأسلوب الحكائي.

والجاحظ في بعض حكاياته "يعمد في بداية الحكاية إلى الإلحاح في تصوير حدث عادي، غالباً ما يقع للشخصية، أو في وصف صفة ما تتعلق بها، حتى يبدو ذلك أشبه بإرهاصة توحي بأن أمرا طريفاً أو غريباً سيقع"[3] ومثال ذلك قصة ضمير جارية ميمونة بنت الحسن" كانت ضمير جارية مولدة لميمونة بنت الحسن بن علي بن زيد فأدَّبتها وعلمتها الغناء فبرعت فيه. وكانت من أحسن الناس وجهاً وبدناً وأبرعهم غناء وضرباً"[4] والجاحظ في إلحاحه على هذه الصفات للجارية يرسم في ذهن القارئ صورة لها كي يشوقه إلى الحدث الذي سيأتي. وبعد أن يضمن الجاحظ استقرار الصورة التي أرادها في مخيلة القارئ ينطلق به إلى أحداث القصة وشخصياتها والقارئ أثناء مواصلته لقراءة القصة لا يغيب عن مخيلته التصوير الأول الذي طبعه الجاحظ في مخيلته، فكلما مرَ بحدث عاد وتذكر ذلك الوصف.

---

[1] توفيق أبو الرب، الحكاية في أدب الجاحظ، ص 139.
[2] انظر الملحق، نص 4.
[3] توفيق أبو الرب، الحكاية في أدب الجاحظ، ص 104.
[4] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص219.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ولكن مهما يكن الأسلوب الذي يستهل به الجاحظ الحكاية، فالباحث يلاحظ عليه أمرين في الغالب: الأول أنه يشد ويغري بمتابعة القراءة، والثاني أننا لا نستطيع من خلاله أن نستشف كيف ستمضي الحكاية أو نعرف كيف سيكون منتهاها...." [1].

عنصر التشويق وتطــور الأحداث:

لقد أشرت قبل قليل إلى عناية الجاحظ بحكاياته كما أشرت إلى موهبته الأدبية التي ضمنت له أكبر عدد من القراء، وذلك أن الجاحظ قد عُني بأحوال الناس وتصويرهم والتعبير عن همومهم ومشاكلهم. وهو في حكاياته يطرق جوانب مختلفة من أحوال الناس ومعايشهم والجاحظ في حكاياته هذه يشوِّق القارئ من مطلع الحكاية حتى خاتمتها، وقد أشرت قبل قليل إلى عنايته بالمطلع، وكيف ضمن للقارئ مواصلة القراءة ورغبته بمواصلة الحكي، بعد أن أثار فيه عنصر التشويق من بدايتها، الأمر الذي ضمن وصول القارئ إلى هذا الشعور لمواصلة الحكاية وذلك بتقديم وصف للشخصية، التي يدور حولها الحدث من بداية الحكاية، أو بحدث متأزم من مطلع الحكاية حتى يضمن جذب القارئ، وتوليد الفضول في نفسه لمواصلة الحكاية أو عن طريق حدث تقوم عليه الحكاية من مطلعها، بحيث يثير تساؤلات عدة في نفس القارئ قبل مواصلته الحكاية.

وقد حرص الجاحظ أثناء حكاياته على عنصر التشويق ، وإثارة فضول القارئ من بداية الحكاية مروراً بحالة التأزم والعقدة وصولاً إلى الحل وانفراج المأزق كما هو في قصة شهاب بن حرقة السعدي، حيث نلحظ رغبة الحجاج في طلب شهاب بن حرقة وذلك في الأسرى أو القتلى. "وكي يضمن الجاحظ للقارئ مواصلة الحكاية يفصح الجاحظ عن رغبة الحجاج بقتله، كما يصور ثبات شهاب بن حرقة أمام الحجاج وعدم خوفه منه والرد عليه وعلى تهديده. "فلما أدخل على الحجاج قال له: من أنت؟ قال: أنا شهاب بن حرقة، قال: والله لأقتلنك. قال: لم يكن الأمير بالذي يقتلني، قال: ولم؟ قال: لأن فيَ خصالاً يرغب فيهن الأمير، قال: وما هنَ؟ قال: ضروب بالصفيحة، هزوم للكتيبة، أحمي الجار، وأذب عن الذمار،وأجود على العسر واليسر، غير بطيء عن النصر"[2]

وكأنَ الجاحظ يقدم في هذا الموقف الذي جرى بين الحجاج وحرقة إلى شجاعة هذا الأخير مصوراً هذه الشجاعة فيما سيأتي من أحداث.

---

[1] توفيق أبو الرب، الحكاية في أدب الجاحظ، ص142.
[2] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 74.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهنا يبدأ الجاحظ بإثارة فضول القارئ وتشويقه بعد أن يسأل الحجاج حرقة عن أشد شيء مرَّ عليه. فيأخذ حرقة في سرد قصة أخرى. وأسلوب الجاحظ هذا في تضمين الحكاية حكاية أخرى يزيد من تشويق القارئ، إذ إنه يخرج من حكاية إلى حكاية. وتساعد الحكاية المتضمنة الشخصية الرئيسية في انفراج المأزق والخروج من الأزمة . وفي الحكاية الثانية يعيد الجاحظ عنصر التشويق لدى القارئ عن طريق الرجز الذي تبتدئ به الحكاية، وما تمرُ به الشخصية من أحداث. ويكون في نهاية الحكاية المتضمنة إصرار الحجاج على قتل شهاب بن حرقة، وكيف تخلص حرقة بفطنته من هذا المأزق. "فقال الحجاج : الآن يا عدو الله طاب قتلك لغدرك بالفتى قال: كان خروجي على الأمير، أصلحه الله، أعظم من ذلك فإن عفى عني الأمير رجوت أن لا يؤاخذني بغيره فأطلقه ووصله وردَه إلى بلده" [1].

وتضمين الحكاية حكاية أخرى هو من الأساليب الناجحة في زيادة التشويق، والإمتاع لدى القارئ. وإننا نجده في غير ما حكاية من حكايات الجاحظ، مثل حكاية المورياني والقصة التي حكاها عن البازي والديك وحكاية بلاش بن فيروز مع ابنة ملك الهند. وكذلك حكاية الوالي أبيّ مع القحطاني والعدناني.

ويبتدئ الجاحظ في قصة المورياني التشويق من بداية الحكاية وذلك عندما يخبر صاحب الديك صاحب الكلب بالقصة التي سيحكيها له. ويقدم الجاحظ وصفاً لمكانة المورياني في الدولة العباسية تمهيداً للمفاجأة التي ستزيد من تشويق القارئ، وهي دخول رسول الخليفة وتغيّر حاله حيث يأخذ القارئ بالتساؤل لماذا انتقع لونه، وما سبب تغيّر حاله، من ثمّ يزيد الجاحظ القارئ تشويقا بعد أن يهدأ المورياني فيولد في نفس القارئ العجب من الحالتين اللتين مرّ بهما، ويعلل المورياني هذا الوضع الذي مرّ عليه بقصة البازي والديك. "فأسباب التشويق في حكايات الجاحظ لا يمكن ردها إلى سمة من سمات أسلوب المعالجة القصصي، أو إلى طبيعة المضمون المستوحى، كل على حدة، وإنما هي تأتي نتيجة تضافر عناصر العمل القصصي كلها معا في الحكاية، ودون انفصام، حتى إن القارئ يشعر في الحكاية -سواء أكان الجاحظ يرويها من غيره- أن ثمة نكهة خاصة فيها تتضوع من روح الجاحظ نفسه"[2].

وهذا ما نلحظه في قصة بلاش مع ابنة ملك الهند. وكيف حرص الجاحظ من بداية الحكاية على عنصر التشويق ومما زاد في إثارة التشويق. عند القارئ تلكما الحكايتان اللتان جَرَتَا على لسان ابنة السائس وابنة ملك الهند، وكيف وظّف الجاحظ عنصر تضمين الحكاية

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 77.

[2] توفيق أبو الرب، الحكاية في أدب الجاحظ، ص208.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكاية أخرى ليزيد من تشويق القارئ. وإذا نظرنا إلى حكاية بلاش والحكايات التي وردت فيها نلاحظ تغيراً في الشخصيات والأحداث، وأن الحكاية المتضمنة قد ساعدت الحكاية الأصل في كشف الحقائق والانحراف بها عن الحكاية البسيطة. ففي هذه القصة لا يروي الجاحظ خبرا فقط، لكنه بموهبته القصصية استطاع أن ينتقي من بين النهايات نهاية تنسجم مع طبيعة الحدث، فعلى الرّغم من الغدر الذي أظهرته الهندية لابنة السائس إلا أنها وفت لزوجها فأفلحا.

وعلى هذا يكون الجاحظ قد استخدم التشويق من مطلع الحكاية حتى خاتمتها. وأما في قصة أبيّ مع القحطاني يصور الجاحظ فيها مجلس الوالي أبيّ، وما كان في هذا المجلس من جماعات ترتاده. وقد ابتدأ الجاحظ التشويق بذكر عادة عند اليماني وهي لبسه للعمامة وعدم نزعها صيفاً أو شتاءً. "وكان شيخ اليمانية يدخل عليه معتما، وقد جذب كور عمامته، حتى غطى بها حاجبيه، وكان لا ينزعها في حر أو برد"[1].

وبذكر هذه العادة الغريبة يأخذ القارئ بالتساؤل عن هذه العادة، ولم العمامة ملازمة لصاحبها في كل حال. من ثم يجعل الجاحظ شخصية أخرى وهي الفتى القيسي يتخذ عادة لبس هذه العمامة عند الرجل اليماني سبيلا للإيقاع به عند الوالي أبيّ وأثناء هذه الأحداث يأخذ القارئ بالتساؤل هل سينجح الفتى القيسي بالإيقاع بالرجل اليماني؟ وماذا سيكون حال اليماني؟ مستذكراً بذلك السبب المبهم الذي لا ينفك اليماني يلبس عمامته لأجله. والحيرة التي آل إليها الوالي أبيّ للتخلص من هذه المشكلة بعد أن أوقع القيسي بالرجل اليماني عنده.

ومن خلال هذه الأحداث المتأزمة يثير الجاحظ التشويق في نفس القارئ ويتجه بالحكاية إلى الحل حيث يقص الرجل اليماني للوالي أبيّ حكاية تكون فيها الإجابة عن السبب الذي من أجله يظل ملازماً لعمامته. وهكذا يحصل الوالي على الإجابة دون أي سؤال." خرجت مع ابن أخي هذا ومع ابن عمي هذا، ومع ابني هذا ، أريد قريتي الفلانية، فإذا بقرب الجادة بعير قد نهشته أفعى، وإذا هو وافر اللحم، وكل شيء حواليه من الطير والسباع ميت، وقمنا منه على قاب أرماح نتعجب، وإذا عليه بعوض كثير..... "[2]

وهكذا يكون الجاحظ بأسلوبه الفريد قد ضمّن الحكاية الرئيسية حكاية أخرى. وفي هذا الأسلوب استمالة لقلب القارئ وإمتاع له وتشويقه بالأحداث التي ستجري بعد الحكاية المتضمنة كما لاحظنا، ولم تأت الحكاية المتضمنة عبثاً في حكايات الجاحظ بل قصد إليها قصداً وذلك بحسِه الأدبي.

---

[1] الجاحظ، الحيوان، ج5، ص 393-396.
[2] المصدر نفسه، ج5، ص 393-396.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يقف التشويق عند الجاحظ عند هذا النوع من الحكايات بل يتجاوزه إلى أبعد من ذلك. فالجاحظ كيفما جرى أسلوبه في حكاياته يحرص على إمتاع القارئ واستمالته وتشويقه. فإذا نظرنا إلى حكاية الدائن الذي علَّم المدين النباح نرى فيها أسلوباً آخر من أساليب الجاحظ بالتشويق، وهي انقلاب السحر على الساحر "فأحداث الحكاية تدور حول رجل قد كثر عليه الدين وتوارى من غرمائه فجاء أحدهم فعلّمه حيلة كي يتخلص من مطالبتهم إياه، والحيلة هي أن ينبح في وجه كل إنسان يراه، حتى يحمل إلى الوالي، فلا يزيده إلا نباحاً حتى إنه عرض للمدين شيء من المس، فيأمر بإخلاء سبيله. فلما فعل المدين ما أوصاه به صاحب الدين جاءه الأخير متقاضياً عدته، فلم يزده إلا نباحا، فأيقن صاحب الدين أنه قد وقع هو الآخر في الحيلة التي علمه إياها..." [1]

والجاحظ في هذه الحكاية يختار نهاية تتفق وموضوع القصة وأحداثها، وهي تتشابه من حيث المضمون بقصة بلاش بن فيروز مع ابنة ملك الهند التي تستميل بها قلب بلاش فما كان من الهندية إلا الغدر بمعلمتها.

كما "يلاحظ على حكايات الجاحظ أسلوب المعالجة القصصية ليس واحداً فيها جميعها، وإنما هو على قدر ما من التنوع، الأمر الذي ينعكس بدوره على الشكل الفني في الحكايات. بيد أنه مهما يتنوع أسلوب المعالجة القصصية عند الجاحظ فإننا نبقى نشعر في الغالب أنه يصدر عن روح فني واحد وينبثق من موهبة قصصية بعينها"[2] كما يلاحظ على حكايات الجاحظ أن أسلوب المعالجة القصصية ليس واحدا فيها جميعها، وإنما هو على قدر ما من التنوع، الأمر الذي ينعكس بدوره على الشكل الفني في الحكايات. ويبدو إنه مهما تنوع أسلوب المعالجة القصصية عند الجاحظ فإننا نبقى نشعر بالغالب أنه يصدر عن روح فني واحد، و ينبثق من الموهبة القصصية بعينها.

التكرار في أسلوب الجاحظ:

إن المتتبع لقصص وحكايات الجاحظ يرى فيها نفساً لأديب كان رائداً من روَاد الحكاية في الأدب العربي، فمهما اختلف المضمون وكيفية المعالجة القصصية نظل نشعر بهذه الموهبة الفنية لدى الجاحظ وأن أسلوب التكرار من أبرز ما يلاحظه القارئ في حكايات الجاحظ فما هي فوائد التكرار؟ وكيف عمل الجاحظ في حكاياته على زيادة التشويق وبناء الحكاية مستخدما هذا الأسلوب؟

---

[1] الجاحظ، الحيوان، ج2، ص171-172.
[2] توفيق أبو الرب، الحكاية في أدب الجاحظ، ص131.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1- تكرار الحدث

الجاحظ يعمد إلى أسلوب الترداد في الغالب حين تكون الحكاية طويلة شيئاً ما لأنه بوساطته يستطيع الإبقاء على تشوَق القارئ، عن طريق إثارة حب الاستطلاع في نفسه. بيد أنه قد يعمد إليه أحيانا ًفي حكايات قصيرةً جداً"[1] فمن الحكايات الطويلة حكاية الحجاج مع شهاب بن حرقة السعدي: "ثم قلت يا غلام خلَ عن الجارية و لك ما سواها، فقال: ويلك أحفظ الممالحة، قلت: لا بد من الجارية، فالتفت إليها وقال لها: قفي. ثم قال: يا فتيان هل لكم في العافية وإلا فارس لفارس. فبرز إليه رجل من أصحابي فقال له الغلام: من أنت؟ فلست أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل إلا كفئاً أعرفه، فقال: أنا عاصم بن كلبة السعدي فشدَ عليه وأنشأ يقول:

إنك يا عاصم بي لجاهــلُ إذ رمت أمراً أنت عنه ناكلُ

إني كما في الحروب باسلُ ليث إذا اصطك الليوث بازلُ

خرَاب هامات العدى منازلُ قتَال أقران الوغا مقاتـــلُ

ثم طعنه فقتله وقال يا فتيان هل لكم في العافية وإلا فارس لفارس. فتقدم إليه آخر من أصحابي فقال له الغلام: من أنت ؟ فقال : أنا صابر بن حرقة فشد عليه و أنشأ يقول:

إنك إلاله لستَ صابـــراً على سنان يجلب المقـــادرا

ومنصَل مثل الشهاب باتراً في كف فرم يمنع الحرائــرا

إني إذا رمت أمراً فكســراً يكون قرني في الحروب بائرا

ثم طعنه فقتله وقال يا فتيان هل لكم في العافية و إلا فارس لفارس، فلما رأيت ذلك هالني أمره وأشفقت على أصحابي فقلت: احملوا عليه حملة رجل واحد، فلما رأى ذلك أنشأ يقول:

الآن طاب الموت ثم طابا إذا تطلبون رخصة كعابا

ولا نريد بعدها عتابا.

فركبت نعيمة فرسها وأخذت رمحها فما زال يجالدنا ونعيمة حتى قتل منا عشرين رجلاً فأشفقت على أصحابي فقلت: يا غلام قد قبلنا العافية و السلامة، فقال : ما كان أحسن هذا لو كان أولاً ونزلنا وسالمنا"[2]

إن الناظر في هذه الحكاية يستطيع أن يلحظ ظاهرة التكرار وذلك في مقالة الفتى للخصم، وهذا التكرار لم يأت به الجاحظ عبثاً بل لتشويق القارئ وليس هذا فحسب بل له أهمية في بناء الحكاية وتطور أحداثها. حيث إنه في كل مرة يتكرر فيها هذا الحدث يزيد من رغبة القارئ

---

[1] توفيق أبو الرب، الحكاية في أدب الجاحظ، ص207.

[2] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 76-77.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمواصلة الحكاية ويغريه بالمتابعة. كما قي قصة عمر بن أبي ربيعه، حيث يتكرر مجيئه إلى مضرب رملة أخت عبد الملك بن مروان، وفي كل مرة يأتي بها تكون أحداث جديدة ووصف جديد. " وقال عمر بن أبي ربيعة: بينا أنا خارج محرماً إذ أتتني جارية كأنها دمية في صفاء اللجين في ثوب قصب كقصب على كثيب ....." [1].

وأما في الحكايات القصيرة فقد يعمد إلى أسلوب التكرار والترداد كما في قصة العجوز والفتيان التي يترَدد فيها حدث سقاية الخمر ثلاث مرات، قبل أن تصل إلى قفلتها الطريفة:

"جلست عجوز في طريق مكة إلى فتيان يشربون نبيذاً لهم، فسقوها قدحاً، فطابت نفسها، وتبسمت، ثم سقوها قدحاً آخر، فاحمر وجهها، وضحكت!

فسقوها قدحاً ثالثاً، فقالت: خبروني عن نسائكم بالعراق: أيشربون هذا الشراب!

فقالوا: نعم!

فقالت: زَنَيْنَ وربُّ الكعبة! "[2]

ففي هذه القصة يظهر تكرار الحدث وهو شرب العجوز للخمر. لكن هذا التكرار مع قصر القصة لا يبعث في روح القارئ الملل والسأم، لأن التكرار كان يخدم موضوع الحكاية. فهي في القدح الأول طابت نفسها وتبسمت. وهذا دلالة على بداية حالة السكر، وفي الثاني نراها تنتقل من الحالة الأولى وهي الابتسام، إلى حالة الضحك تمهيداً لفعل الحدث الثالث فيها. وقد تركه الجاحظ مضمراً مشيراً إلى قول العجوز: زنين ورب الكعبة.

وهذا الأسلوب عند الجاحظ يتَكرر في عدد من القصص القصيرة، منها قصة الحجاج و العسس، "حيث ذكروا أن الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه أعسس بنفسك فمن وجدَته فجئني به...."[3].

ففي هذه القصة يبدو تكرار حدث القتل من الحجاج، وهذا الحدث يتطور مع تطور القصة حتى ينتهي نهاية غير متوقعة وذلك كي تظهر به شخصية الحجاج وما كان من ظلمه، وقد تتضافر عدد من القصص التي تتحدث عن شخصية بعينها كي تظهر جانباً من جوانبها "كشخصية الحجاج مثلاً، فتشير إلى جوانب تتصف بها شخصيته، وهي في أغلبها جوانب معرفة تتلاءم مع ما يمثله في الذاكرة العربية من نموذج للظلم والقتل، واستخفاف بحياة الآخرين"[4].

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 220.
[2] الجاحظ، الحيوان، ج 3، ص 292.
[3] انظر الملحق نص5.
[4] خولة شخاترة، بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان للجاحظ ، ص70.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك في حكاية يوسف بن عمر، "قال: حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عيسى قال : كنت لا أحجب عنه وعن خدمته فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بخصي له يقال له حديج ....." [1].

"وكذلك حكاية الوالي مع الرجل الذي جنى جناية" [2].

ومثل ذلك حكاية "كذب بكذب"[3].

والملاحظ في هذه الحكايات التي تتكرر و يتردد فيها الحدث، أهمية التكرار في بناء الحكاية، وذلك من حيث اتجاه الحكاية إلى انفراج الأزمة أو الوصول إلى الحدث الطريف.

وتكرار الحدث عند الجاحظ لا يشعر القارئ بالملل بل يزيده تشويقاً، وتكرار الحدث في الحكاية يأتي غالباً في الحكاية الواحدة ثلاث مرات قبل الوصول إلى انتهاء الأزمة، وهذا ما نلاحظه في هذه الحكايات التي تجمع بينها هذه السمة.

2- تكرار الفعل

إن الناظر في حكايات الجاحظ يلاحظ تكرار الفعل "قال"، وهذا التكرار يأتي في الحكايات التي تقوم على الحوار، حيث نرى تكرار هذا الفعل في السطر الواحد أكثر من مرتين أو ثلاث، كما هو في حكاية حديج :"ودعا بخصي له يُقال له حديج فقرب إليه وحدة فقال لها إني أريد الشخوص أفأخلفك أو أشخصك معي فقالت: صحبة الأمير أحب إلي. ولكني أحسب أن مقامي وتخلفي أخف على قلبه؟ فقال: أحببت التخلف للفجور. يا حديج أضرب فضربها حتى أوجعها"[4].

"فالحكاية تطورت من خلال الحوار، الذي يلاحظ على عباراته أنها تميل إلى الإيجاز والتركيز، وإن كان يثقلها تصدر الفعل " قال" وتكراره. في بداية كل عبارة"[5] كما في حكاية أبي العباس السفاح وأبي دلامة.

ومن الأفعال الأخرى الملاحظ تكرارها في حكايات الجاحظ؛ الفعل "كان"، وهذا الفعل يتكرر غالباً في مطلع الحكاية، وكأنّ الجاحظ قد قصد بهذا التكرار التأكيد على صفات بعينها.

---

[1] انظر الملحق، نص 6.
[2] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 38.
[3] الجاحظ، البخلاء، ص 42-43.
[4] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 49.
[5] توفيق أبو الرب، الحكاية في أدب الجاحظ، ص 178.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"قيل: كان باليمامة رجلٌ من بني حنيفة يُقال له جحدر بن ألك، وكان لسناً فاتكاً شجاعاً شاعراً، وكان قد أبر على أهل هجر وناحيتها....." [1].

ويلاحظ أن الجاحظ يضطر إلى المباشرة في رسم الشخصيات، لأنه يبدأ بتقديمها أولاً قبل الحدث ومن الملاحظ أنه كان يصفها بعبارات تقريرية، مستعملاً في الغالب صيغة الفعل الماضي الناقص " كان".

3- تكرار الوصف

يعمد الجاحظ في بعض حكاياته إلى الجمل التقريرية أو الوصفية لكي يقيم في ذهن القارئ الصورة اللازمة قبل بدء الحكاية. ثم ينطلق بالقارئ إلى أحداثها حيث يكون الوصف الأول مصاحباً لذهن القارئ فيما سيأتي من حوار أو سرد.

"كانت ضمير جارية مولدة لميمونة بنت الحسن بن علي بن زيد فأدَبتها وعلمتَها الغناء فبرعت فيه. وكانت من أحسن الناس وجهاً وبدنا وأبرعهم غناء وضرباً "[2].

وكما هو مدوّن في القصة التالية: "وذلك أن رجلاً أتاني مرة فشكا إليَ حاله مع فتاة علقها فتزوجها. وكانت جارية غراً حسناء، وكانت بكراً ذات عقل وحياء، وكانت غريرة فيما يحسن النساء من استمالة أهواء الرجال، ومن أخذها بنصيبها من لذة النساء، فلما دخل بها امتنعت عليه، ودافعته عن نفسها"[3].

فالوصف الذي قدَمه الجاحظ في هاتين الحكايتين كان يدور حول ما سيأتي من أحداث، ففي قصة ضمير وبعد أن وصفها بالأدب والغناء تجري أحداث القصة كي تكشف عن هذا الوصف الذي قدَم إليه الجاحظ، وهذا ما ينطبق على القصة الثانية في وصف الجارية على أنها غرة حسناء، وأنها ذات عقل وحياء، فقد تمنَعت على زوجها وكان بينهما ما كان. وتطور القصة قد بُني على الوصف الذي قدَمه الجاحظ في بداية الحكاية.

"فإذا أنا بجارية أحسن ما يكون كأنها قضيب يتثنى، وسناء العينين[4] زجاء[5] الحاجبين، مصفصفة الخصر، حاسرة الرأس، مفتوحة الجربان، عليها قميص لاذ جلناري ورداء عدني، قد علت شدة بياض بدنها حمرة قميصها، تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين، وبطن كطي

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 70.
[2] المصدر نفسه، ص 219.
[3] الجاحظ، الحيوان، ج 2، ص 363.
[4] السنة: النعاس من غير نوم والوسن: أول النوم (لسان العرب، ج 13، ص 449)، الوسن والسنة: النعاس (مختار الصحاح، ج 1، ص 301).
[5] الزجج: دقة في الحاجبين وطول (لسان العرب، ج 2، ص 287؛ مختار الصحاح، ج 1، ص 113).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القباطي، وعكن[1] مثل القراطيس، لها جمة[2] جعدة المسلك محشوة، وهي يا أمير المؤمنين مقلدة خرزاً من ذهب وجوهر، يزهر بين ترائبها وعلى صحن جبينها طرة[3] كالسيج، وحاجبان مقرونان، وعينان كحلاوان، وخدان أسيلان، وأنف أقنى، تحته ثغر كاللؤلؤ وأسنان كالدر، وقد غلب جربانها سواد المسك والغالية، وأدبر العود النهدي على لبتها[4]، عبق الخلوق[5] وهي والهة صبرى واقفة في الدهليز وجائية تخطر في مشيتها ،قد خالط صرير نعلها أصوات خلخالها كأنها تخطر على أكباد محبيها" [6].

وعلى هذا تجري حكايات الجاحظ من مطلع الحكاية وحتى خاتمتها بالتشويق والأحداث. والجاحظ بأسلوبه الفريد المتميز يستميل قلب القارئ وفكره، إلا أن أدب الجاحظ وأسلوبه الحكائي متنوع بتنوع مصادر فكر الجاحظ، وقد وقفت على أهم مميزات أسلوبه الحكائي من تشويق وتطور أحداث وتكرار أو تضمين الحكاية حكاية أخرى.

عنصرا الزمان و المكان

لم يحفل الجاحظ بعنصري الزمان والمكان بشكل كبير في حكاياته إلا بالقدر اللازم لأحداث الحكاية. فهو في بعض الحكايات يشير إلى الزمان والمكان بصورة سريعة أو يستطيع القارئ تحديد عنصري الزمان والمكان عن طريق الشخصية و ذلك في الحكايات التاريخية. "ذكر أن الحجاج بن يوسف أرق ذات ليلة فبعث إلى ابن القرّية فقال: إني أرقت فحدثني حديثاً يقصر علي طول ليلي، وليكن من مكر النساء و فعالهن "[7].

ففي هذه الحكاية نستطيع تحديد الزمان من خلال الشخصية التي تدور حولها الحكاية وهي الحجاج. كما نستطيع أن نحدد المكان أيضاً من خلال هذه الشخصية، فلعلّه يكون دار ولاية الحجاج. وأحداث هذه الحكاية تجري ليلاً وبعد معاناة الحجاج من الأرق. ومثلها قصة الرشيد.

---

(1) العكنة: الطي الذي في البطن من السمن (مختار الصحاح ، ج 1 ، ص 188).

(2) جمة جعدة: الجمة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين (لسان العرب ، ج 12، ص 107) ــ الجمة بالضم: مجتمع شعر الرأس (مختار الصحاح، ج 1 ، ص 47).

(3) طرة كل شيء: حرفه. وطرة الجارية: أن يقطع لها في مقدم ناصيتها كالعلم أو كالطرة تحت التاج. والطرة من الشعر: سميت طرة لأنها مقطوعة من جملته (لسان العرب، ج 4، ص 500) ـــ طرة كل شيء حرفه والطرة : الناصية (مختار الصحاح، ج 1، ص 164).

(4) اللبب: موضع المنحر من كل شيء (لسان العرب، ج 1، ص 733)؛ اللباب: المنحر (مختار الصحاح، ج 1، ص 246).

(5) الخلوق: طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة (لسان العرب ، ج 10، ص 91) ـــ الخلوق بالفتح : ضرب من الطيب (مختار الصحاح، ج، ص78).

(6) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 204.

(7) المصدر نفسه، ص 174.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"قال السجستاني: أرق الرشيد ذات ليلة فوجه إلى عبد الملك الأصمعي وإلى الحسين الخليع فأحضرهما وشكا إليهما مدافعة نومه وشدة أرقه "[1].

وفي هذه القصة أيضاً نستطيع تحديد عنصري الزمان والمكان، فزمن الحكاية هو خلافة الرشيد وأحداثها تجري أيضاً ليلاً، ومكانها في دار الخلافة. لكن الجاحظ لم يشر إلى ذلك صراحة. ولا يقف عنصر الزمان والمكان عند حد في هذه الحكاية. بل نستطيع تحديد عنصري زمان ومكان آخرين من خلال حكاية الحسين الخليع. "قال: نعم يا أمير المؤمنين خرجت في بعض السنين منحدراً إلى البصرة وممتدحاً حال سليمان فقصدت محمد بن سليمان بقصيدتي فقبلها وأمرني بالمقام فخرجت ذات يوم إلى المربد وجعلت المهالبة طريقي فأصابني حر وعطش فدنوت من باب كبير لأستسقي" [2].

في هذه الحكاية يبدو عنصر المكان واضحاً، وقد فصّل فيه الجاحظ تفصيلاً شديداً وذلك لغايات بناء أحداث الحكاية التاريخية. "فحكايات الجاحظ التاريخية تفتقد فيها الإشارة إلى الزمان والمكان، ولكن الجاحظ يوحي بها من خلال الأسماء والقرائن التاريخية التي تنطوي عليها الحكايات في الغالب".[3] فإذا دعت الحاجة إلى التفصيل وكان هذا التفصيل يخدم بنية الحكاية لا يغفل الجاحظ هذا الجانب .

"فيأمره أن يتحول إلى منزله و أن تفرّغ إليه حجرة وأن لا يتحول إليه امرأة ولا جارية ولا حرمة ويقول له أريد بك الأنس في ليلي ونهاري. ومتى كان معك بعض حرمك قطعك عني. فاجعل منصرفك إلى منزلك في خمس ليال فإذا تحول الرجل أنس به وخلا معه وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحالة "أشهراً".[4]

المظهر الاجتماعي في حكايات الجاحظ

لقد عني الجاحظ في حكاياته بالتشويق وشد القارئ، وضمن له هذا من خلال أسلوبه في بناء الحكاية وكيفية تحرك الشخصيات والأحداث المصاحبة لهذا التحرك. كما أن الجاحظ عني بأحوال الناس وتناولها بحكاياته وأقام عدداً كبيراً منها في تصوير أحوالهم وطرق معايشهم، ولا يكاد الجاحظ في حكاياته يترك صغيرة ولا كبيرة إلا تناولها بالدرس والنقد؛ فمن الكدية إلى البخل إلى الفصاحة والبلاغة إلى أحوال العبيد والجواري و حيل اللصوص وغيرها الكثير.

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 203.
[2] المصدر السابق، ص 204.
[3] توفيق أبو الرب، الحكاية في أدب الجاحظ، ص 186.
[4] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 181.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجاحظ في طرحه لهذه الموضوعات إنّما يعبر عن ذوق الأديب وبراعته بالملاحظة. وطرحه هذا لا يخلو من جرأة، إذ إنه بهذه الحكايات وما تنطوي عليها من أحوال غريبة إنّما يعبّر عن مجتمع عصره. فإذا نظرنا إلى كتابه "المحاسن والأضداد" نجده متنوع الموضوعات لا يكاد يترك شاردة أو واردة إلا ضمّنها كتابه هذا مفسحاً للقارئ اختيار ما يراه مناسباً دون توجيه منه، فقد تناول موضوعات كثيرة لا سيما تلك المتعلقة بالنساء وأحوالهن. وهو في هذه الحكايات يعبّر عن رغبات النفس البشرية بصراحة دون حرج أو تكلف منه، خلافاً لما جاء عند البيهقي في كتابه "المحاسن والمساوئ"، فقد عمل البيهقيّ على توجيه الناس لما فيه خيرهم وصلاحهم، كما أنه لم يهتم برغبات النفس البشرية من الناحية الجنسية، ولم يصوّر في حكاياته العادات الغريبة التي تنتج عن هذه الرغبات، بل اكتفى بالموضوعات الاجتماعية في حكاياته.

إن اهتمام الجاحظ بما تحويه النفس البشرية من رغبات هو الذي أتاح له ولحكاياته الشهرة وضمن للقارئ الإقبال على كتبه، فإذا نظرنا للحكايات التي تصوّر الرغبات البشرية نراها واقعية تعبّر عن خلجات النفس وأسرارها مما أودع الله بها من حاجات.

فمن الموضوعات العديدة التي تناولها الجاحظ في حكاياته الخيانة الزوجية. والجاحظ يصوّر هذا الخلل الاجتماعي في العلاقة الزوجية تصويراً دقيقاً، و نلاحظ في هذه الحكايات أن المرأة هي التي تعمد إلى خيانة الزوج. "وعدت أعرابية أعرابياً أن يأتيها، فكمن في عُشَرة كانت بقربهم. فنظر الزوج فرأى شبحاً في العُشَرة، فقال لامرأته: يا هنتاه إن إنسانا يطالعنا من العُشَرة! قالت مهٍ[1] يا شيخ. ذاك جان العُشَرة! إليك عني وعن ولدي! قال الشيخ: وعني يرحمك الله! قالت: وعن أبيهم إن هو غطى رأسه ورقد. فنام الشيخ وجاء الأعرابي، فسفع برجليها ثم أعطاها حتى رضيت". وفي هذه القصة تظهر الخيانة الزوجية من قبل المرأة وكيف احتالت على زوجها للوصول إلى ما تريد، وتحقيق رغبتها.

وحكايات الجاحظ التي تتحدّث عن الخيانة الزوجية يكتفي بها بتصوير الأحداث التي تدور حول موضوع الحكاية، وهو لا يتطرّق إلى ما يجري بين الزوجة والرجل الذي تقع معه الخيانة، ففي حكاية جن العُشَرة يكتفي بقوله: "أعطاها حتى رضيت" [2].

"وتصوّر حكايات الجاحظ الجنسية المرأة ذات شهوة جنسية عارمة "[3] ومن الحكايات التي تصوّر الخيانة الزوجية في كتاب "المحاسن والأضداد" حكاية جيداء مع الأشتر وما كان

---

[1] مهْ: مبني على السكون اسم لفعل الأمر ومعناه أكفف، فإن وصلت نونت فقلت: مهٍ مهٍ. (مختار الصحاح، ج 1، ص 266).

[2] الجاحظ، الحيوان، ج 6، ص 168.

[3] توفيق أبو الرب، الحكاية قي أدب الجاحظ، ص 70.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منها من حيلة كي تبيت الليلة مع من تحب. "قال الأشتر: ما فيك حيلة يا جيداء فنتزوّد منك الليلة. قالت: لا والله ما إلى ذلك سبيل إلا أن أرجع إلى الذي تعلم من البلاء والشر. فقال: لا بد من ذلك ولو وقعت السماء على الأرض. قالت، فهل بصاحبك خير، قلت: بلى وهل الخير إلا عندي فاسألي ما بدا لك فإني منته إليه، ولو كان في ذلك كلّه ذهاب نفسي. فألبستني ثيابها وأخذت ثيابي ثم قالت، اذهب إلى خبائي فادخل في ستري فإن زوجي يأتيك مع العتمة فيطلب منك القدح ليحلب فيه فلا تعطه من يدك فكذلك كنت أفعل "[1].

ولا تكتفي هذه القصة بتصوير الخيانة الزوجية لكنها تتعدّى إلى أكثر من ذلك فتصوّر خيانة أخت جيداء لأهلها وذلك عندما جاءت كي تبيت الليلة عندها. "قلت: يا هذه تلك أختك مع الأشتر وقد قطع ظهري بسببها وأنت أولى من ستر عليها فاختاري لنفسك ولها فو الله لئن تكلّمت لتكونن فضيحة شاملة ثم رفعت يدي عن فيها فاهتزّت مثل القصبة من الروع وباتت معي ونلت منها الشهوة التامة ورافقتني أصلح رفيق رافقته ولم أذق شيئاً ألذ مما ذقت منها قط. فلم نزل نتحدّث و تضحك مني ومما بليت به حتى برق النور وجاءت جيداء" [2].

ونلاحظ في هذه الحكاية التعاون الذي كان بين الأختين كي تلبّي كل منهما حاجتها. والحكايات التي تتحدّث حول الخيانة الزوجية كلها جاءت تصف الأحداث التي تدور حول موضوع الحكاية. ولا تتطرّق إلى ما يكون بين الرجل و المرأة.

والجاحظ لم يقف في حكاياته عند هذا الحد من تصوير الخيانة الزوجية لكنه يعالج بحكاياته الرغبة الجنسية عند البشر. يقول: "قالوا: للإنسان قوى معروفة المقدار، وشهوات مصروفة في وجوه حاجات النفوس، مقسومة عليها، لا يجوز تعطيلها وترك استعمالها، ما كانت النفوس قائمة بطبائعها ومزاحاتها وحاجاتها. وباب المنكح من أكبرها، وأقواها، وأعمها " [3].

فيصوّر في بعض حكاياته بعض العادات الجنسية الشاذة وما ينتج عنها من لذة ومتعة، ومن تلك العادات ما يكون بين فتاتين من علاقة شاذة "وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة فيهن من الجواري جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة ألف درهم وكانت الجارية ولعت بي، وكانت أول من أجابت الدعوة وجائتني منهن فلما حصلت عندي رمت بنفسها عليّ تقطعني عضاً وقرصاً ثم خلونا نتمزز القهوة إلى أن يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا فتارة هي فوقي وتارة أنا فوقها، فحملها السكر على أن ضربت يدها على

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 199.
[2] المصدر نفسه، ص 200.
[3] الجاحظ، الحيوان، ج 1، ص 108.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكتي فحلتها ونزعت هي سراويلها وصارت بين فخذي كمصير الرجال من النساء فبينا نحن كذلك إذ دخل عليّ حبيبي وقد التزق قرطي بخلخالي. فلما نظر إلينا اشمأز لذلك وصدف عني وعنها صدوف المهرة العربية إذا سمعت صلاصل اللجم وعضّ على أنامله وولّى خارجاً"[1].

وفي هذه القصة نلاحظ العادات الجنسية الشاذة بين النساء، وهذه العادة كانت نتيجة للسكر الشديد الذي أصاب الفتاتين. والجاحظ في هذه القصة يعالج هذا الشذوذ الجنسي ويصوّر ما ينتج عنه من اشمئزاز وصدود من الرجال عن النساء اللواتي يقعن في مثل هذا الشذوذ الجنسي.

وقد تصوّر بعض القصص ما يقع على النساء من عقوبة جرّاء تحابهما واجتماعهما لقضاء اللذة. كما هو في قصة: "وعن علي بن يقطين قال: كنت عند موسى الهادي ذات ليلة مع جماعة من أصحابه إذ أتاه خادم فسارّه بشيء فنهض سريعاً فقال: لا تبرحوا، فمضى فأبطأ ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقاً مغطى بمنديل فقام بين يده فأقبل يرعد وعجبنا من ذلك ثم جلس وقال للخادم: ضع ما معك فوضع الطبق، وقال: ارفع المنديل فرفعه فإذا على الطبق رأسا جاريتين لم أر والله أحسن من وجهيهما ولا من شعورهما، فإذا على رأسيهما الجوهر منظوم على الشعر وإذا رائحة طيبة تفوح، فأعظمنا ذلك فقال: أتدرون ما شأنهما، قلنا: لا. قال: بلغني أنهما تحابا فوكلت هذا الخادم بهما لينهي إليّ أخبارهما، فجاءني وأخبرني أنهما قد اجتمعتا فجئت فوجدتهما كذلك في لحاف فقتلتهما ".[2]

كما أن الجاحظ يعرض في بعض حكاياته أنواعاً أخرى من الشذوذ الجنسي وهو "الرغبة بالتحوّل من الجنس البشري إلى الجنس الحيواني لتنال بتحولها هذا حظاً من اللذة تفوق ما تناله – كما تعتقد- إن بقيت على آدميتها"[3] أو ميل الشخصية الشديد لممارسة الجنس مع الحيوانات لتنال بفعلها هذا أكبر قدر من اللذة. "حكي عن عالج جارية مكشوح أنها حدثت مولاتها أنها كانت تغتسل كل يوم فسألتها عن ذلك، فقالت: يا هذه إنه يجب على المرأة ما يجب على الرجل بعد احتلامه، قالت: أو تحتلمين؟ قالت: إنه لا تأتي علي ليلة لا أجامع فيها إلا وأحتلم، قالت: فكيف يكون ذلك. قالت: أرى كأن رجلاً جامعني ولقد رأيت ليلة كأني مررت بدكان أبي مالك

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 205.
[2] المصدر نفسه، ص 193.
[3] خولة شخاترة، بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان للجاحظ، ص88.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطحان وبغل له واقف قد أدلى ورماني تحته فاحتلمت ثم انتبهت وأنا أجد معكة[1] في مراق بطني" [2].

والجاحظ في الحكايات التي يتحدث بها عن الجنس لا يفوته أن يصوّر في بعضها ما مكن أن يتعرّض له متابع النساء من إحراج أحياناً- خاصة إذا كان من يتابعها من الجواري الجريئات. فهي إذا لم ترق لها المتابعة كانت لا تتورع عن فضحه بأسلوب وقح، وبألفاظ جنسية سافرة. أمام السابلة من عامة الناس" [3].

"وكانت عنان تتوقى أبا نواس وتخاف مجونه وسفهه فتهيأت لأبي نواس وتصنعت له إلى أن صار إليها، فرأى عندها بعض وجوه أهل بغداد فأحب أن يخجلها فقال لها:

ما تأمرين لصب يكفيه منك قطيــرة[4]

فقالت :

إياي تعني بهــذا عليك فاجلد عميــرة

فقال:

إني أخــاف ربي على يدي من عبيرة

فقالت:

عليك أمـــك .... فنها كندبـــــــيره

فأخجلته فشاع الخبر حتى بلغ الرشيد ".[5]

وهكذا يتضح اهتمام الجاحظ بموضوع الجنس والرغبات الإنسانية والممارسات الشاذة لبعض أفراد مجتمعه. وكأن الجاحظ عالم اجتماعي يصوّر هذه العادات بدقة دون أن يغفل شيئاً مما يقع عليه بصره وسمعه. "ومن اللافت للنظر أن الحضور المكثف للجنس في النصوص بعامة، لم يحدد بوظيفة التناسل التي هي غاية الطبيعة... لذا فهو يعد في هذه النصوص غاية في حد ذاتها لا تخرج عن نطاق مبدأ اللذة. ومن هذا المنطلق يمكن أن نفهم لم اتخذ الحيوان وهو مرذول في عرف المجتمع ، كموضوع للنشاط الجنسي ، سواء أكان ذلك على سبيل الحقيقة أم على سبيل الأمنيات".[6]

---

[1] معكة: معكت الأديم أمعكه معكاً إذا داكته دلكاً شديداً (لسان العرب، ج 10، ص 490).
[2] الجاحظ، المحاسن والأضداد، 229.
[3] توفيق أبو الرب، الحكاية في أدب الجاحظ، ص 62.
[4] القطيرة: تصغير القطرة وهو الشيء التافه الخسيس (لسان العرب، ج 5، ص 108).
[5] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 132.
[6] بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان للجاحظ ، خولة شخاترة ، ص 89

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق الحكايات:

1- حكاية المورياني:

"قال صاحب الديك لصاحب الكلب: وسنضرب لك المثل الذي ضربه المورياني للديك والبازي: وذلك أن خلاد بن يزيد الأرقط قال: بينما أبو أيوب المورياني جالس في أمره ونهيه، إذ أتاه رسول أبي جعفر فانتقع لونه، و طارت عصافير رأسه، وأذن بيوم بأسه، وذعر ذعراً نقض حبوته، واستطار فؤاده، ثم عاد طلق الوجه، فتعجبا من حاليه و قلنا له: لإنك لطيف الخاصة قريب المنزلة، فلم ذهب بك الذعر واستفرعك الوجل؟ فقال : سأضرب لكم مثلاً من أمثال الناس.

زعموا أن البازي قال للديك : ما في الأرض شيء أقل وفاءً منك ! قال: وكيف ؟ قال: أخذك أهلك بيضة فحضنوك ، ثم خرجت على أيديهم فأطعموك على أكفّهم، ونشأت بينهم، حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحدٌ إلا طرت هاهنا وهاهنا وضججت وصحت. وأخذتُ أنا من الجبال مسنّاً فعلموني وألفوني، ثم يخلّي عني فآخذ صيدي في الهواء فأجيء به إلى صاحبي. فقال له الديك: إنك لو رأيتَ من البزاة في سافيدهم مثل ما رأيت من الديوك لكنت أنفر منّي!

ولكنكم أنتم لو علمتم ما أعلم، لم تتعجبوا من خوفي، مع ما ترون من تمكن حالي"[1]

2- حكاية بلاش بن فيروز و ابنة ملك الهند:

قال الكسروي: كتب بلاش بن فيروز إلى ملك الهند يخطب ابنته فلم ينعم له. وردّ رسوله خائباً، فتجشّم وسار إليه في خيله ورجله. فلما اصطفت الخيلان دعاه بلاش إلى المبارزة وقال إنه عارٌ على الملوك أن يوردوا جنودهم الهلاك ويفوزوا بأنفسهم فبرز إليه ملك الهند فاختلفت بينهما ضربتان فمنعت بلاشاً حصانة درعه. وضرب بلاش الهندي على عاتقه فقطع حبله حتى انتهى السيف إلى سندوءته فخرّ ميتاً وانهزمت خيله فافتتح بلاش مدينته، وأمر ثقاته فأحدقوا بقصر ابنة الملك، فلما احتوى على أمواله بعث إلى ابنة الملك أن تأتيه، فقالت للرسول وهي تبكي: قل للملك، المزين بالحلم، المحبّب في رعيته، السعيد بالظفر، إنك قد ملكتني وصرت ممن يستحق عطفك ورأفتك. فإن رأيت أن تطيب نفساً عن النظر إلي حتى ترجع إلى دار مملكتك فافعل، فانصرف الرسول إلى بلاش فأخبره فأجابها إلى ما سألت وسار وحملها حتى قدم دار المملكة، فهيّأ لها مقصورة مفردة عن سائر حرمه فأنزلها فيها وأمر لها بعتيق الديباج وفاخر الجوهر وأسفاط من الذهب والصلات والجوائز والأثاث ما لم يأمر لغيرها من نسائه. واستأذنها

---

[1] الحيوان، الجاحظ، ج 2، ص 361-363.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الدخول عليها، فأذنت له، فدخل عليها وأقام عندها سبعة أيام ولياليها عجباً منه بها لا يحير إليها جواباً ولا يخف عن صدر مجلسها فخرج من عندها اليوم الثامن وقد وقع في قلبه ما أظهرت من خفّة مجلسه عليها، ولبثت أشهراً لا يدخل عليها. فقالت يوماً لحاضنتها: ما أعجب أمر الملك بذل دمه في طلبي حتى إذا ظفر بي سلا عني! انطلقي حتى تسألي عن عدة نسائه، وأيهن أكرم عليه، وأتيني بعلم ذلك، فانطلقت حتى عرفت ذلك وانصرفت فقالت إني وجدت له أربعمائة امرأة ما بين أمة وحرّة، وليس فيهن أكرم عليه من ابنة سائس من سواسه، أعجبته فتزوج بها. فقالت: انطلقي إليها وأقرئيها مني السلام وأعلميها أني أريد مؤاخاتها والانقطاع إليها. فانطلقت الحاضنة إلى ابنة السائس فأبلغتها رسالة مولاتها فقالت لها: أقرئيها مني السلام وأعلميها أني قد أحببتها وأجبتها إلى ما سألت فتصير إلي، فانصرفت فأخبرتها بما قالت فتهيأت بأحسن هيئة وأقبلت إليها ودخلت عليها، فرفعت مجلسها، وأقبلت عليها فذكرت حبّها لها ورغبتها في مواصلتها فردّت عليها ابنة السائس أحسن الردّ وأعلمتها سرورها بذلك. ثم تحدثتا ساعة وانصرفت. وجعلت الهندية تأتيها غباً وتظهر الأنس بها. فلما أنست بها قالت لها: أنت قد استلبت قلب الملك وقهرت جميعنا بفضلك، وليس لواحدة منا نصيب فأعلمينا الأمر الذي فضلتينا به لنزداد سروراً بما أوتيت ومحبة لك والانقطاع إليك. قالت: إني لما عرفت ضعف نسبي وقلّة جمالي علمت أنه لا يرجع الملك مني إلى شيء أحظى به عنده مثل المؤاتاة بالخلوة، وأن أبسطه إذا همّ بالحركة، وأستميل قلبه باللطف وفضل الخدمة. فلما رآني على ذلك مستمرة ورأى من سائر نسائه أنفة الأكفّاء وزهو الجمال، وخيلاء الملك، وعلمت أني إن أخذت ما أخذته مع خمول نسبي، وقلّة جمالي، ودقة خطري لا يليق بي مثل الذي يليق بهن، ففضّلني على جميع نسائه بذلك. فلما سمعت ابنة الملك ذلك علمت أن قلوب الرجال لا تستمال إلا بالمؤاتاة وسرعة الإجابة في الباه عند المشغلة. فعزمت أن تجعل ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك. فانصرفت إلى قصرها وقالت لبعض جواريها اذهبي إلى فلانة – تعني ابنة السائس- فإن رأيت الملك عندها فأعلميها أني عليلة من وجع عرض لي. فانطلقت الجارية فإذا الملك عندها فأخبرتها بذلك فرّق الملك لها وذكر غربتها و قتْله أباها فقال لابنة السائس: ما ترين في إتيانها، فقالت أيها الملك إنه ليس في نسائكن لها عندي مثل منزلتها، فصر إليها فإنها غريبة قد فارقت أهلها، وهي في موضع رحمة. فقام الملك حتى دخل عليها وانتهى إلى باب مجلسها فقامت إليه تمشي بأحسن هيئتها متكّسرة في حليها وزينتها عبقة بطيبها وعطرها، فقبلت بين عينيه وأخذت بيده حتى أجلسته في صدر فرشها وجعلت تقبل يديه ورجليه ضاحكة إليه مظهرة السرور به. فجذبها إلى نفسه، ودعاها إلى المضاجعة فأتته ولم يرد في الخلوة شيئاً إلا أجابته إليه. فلما قضى حاجته نازعها إلى المحادثة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال: أين ما ذكر رسولك من شدة وجعك، قالت: يا سيّدي كنت متوجعة لفراقك حتى شفاني لقاؤك وقلت ذلك لما نابني من تباريح الشوق إليك، وطول صدودك، وسلوتك. ثم أخذ معها في المداعبة وأقام عندها سبعة أيام، فبينما هما يتلاعبان ويتذاكران ويتعانقان إذ دخلت جارية لابنة السائس فحيّت الملك بتحية الملوك ثم قالت للهندية إن سيّدتي –تعني ابنة السائس- تقول قد اجتمع فيك ثلاث خصال الأولى الغدر بمعلمتك والثانية فضل تطاولك والثالثة كفران النعمة للمنعم. وإني عن قريب رادتك من الملك إلى غصص الغيظ، فأفحمتها وهملت عيناها ونظرت إلى الملك كالمستغيثة به، فقال لها الملك يا حبيبتي ما تنكرين من أمتك قد وهبتها لك وجميع ما تملك. فتجلّى عنها غمّها فقالت لرسولتها: انطلقي إليها فأعلميها أن الملك قد وهبها وما تملك لي وقولي لها أرجعك فحش نفسك إلى لؤم حسبك وإهمال أدبك ائتني الساعة بصغار المذلة ورقة العبودية. فلما أبلغها الرسول ذلك أقبلت فدخلت عليها فحيّت الملك وقامت بين يديه، فقالت لها الهندية ما كان أعظم زهوك في رسالتك، قالت يا سيدتي أتأذنين لي في الكلام، قالت تكلّمي، قالت أيتها السيدة لست متوجّهة إليك بشيء هو أملك بك من حلمك ولا أعطف على فضلك و لم يظلم من رفع فوقي من هو أفضل منّي وكلّ فرع يرجع إلى أصله ولكل زهر ينسب إلى سنخه. فقالت: صدقت فدعي عنك كلام الأدب فقد ملكتك على رغم أنفك وأنا مزوجتك من فلان خادمي فليس لك فضل عليه، قالت ابنة السائس من اعتاد معالي الأمور لم تطب نفسه بأسفلها ومن صاحب العظماء أبَت غريزته الأدنياء وإنما ترقبت عطفك ورجوت حسن نظرك فأما إذا عزمت على هذا فقد طاب الموت وما الذي أستبقي منك. ثم قالت أيها الملك إن جُذل المسرة منك لا يستقر ويقع موقعه إلا بعد في المخالفة عندك فاحترس من هذه الهندية فلأنها لا تؤمن عليك لأنها ليست من جنسك فيعطفها عليك الرحم ولا من أهل مملكتك فتعرف تطولك عليها وإنما هي شبيهة بموتورة قد قتلت أباها وهدمت عزّها فاحترس منها ولا يلهينك موقعها من قلبك فإنها متى احتلت في قتلك لم يكن في أيدينا من الظفر إلا قتلها كما كان من أمر الثعلب وعظيم الطير. فقال الملك وما كان من حديثهما؟ قالت: يقال إن ثعلباً جاع في ليلة فرقى شجرة ليأكل منها فسال الوادي الذي فيه تلك الشجرة بسيل شديد فاقتلعها والثعلب عليها ثم رفعها ووضعها حتى ألقى الثعلب إلى أرض بعيدة من أرضه فأصبح وقد ألقاه السيل إلى سفح جبل كثير الأشجار مثمر الأغصان وعلى تلك الأشجار جنس من الطير لا يحصى عدداً فأقعى إلى شجرة قصياً مقشعراً لا يعرف أرضه ولا يقدر على مؤالفة الدواب فمرّ به عظيم الطير فقال له: ما أنت؟ فقال أنا دابة سال بي السيل فألقاني في جبلكم وقد أصبحت غريبا، فقال له عظيم الطير فهل لك حرفة؟ قال نعم أعرف الثمار إذا بلغت حدّ بلوغها وأصنع للطير أكتاناً في الأرض تكنّ فيها فراخها من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحر والبرد. فقال له عظيم الطير قد أدركت عندنا بغيتك فأقم عندنا نواسيك ونعرف حقّ مجاورتك. فأقام الثعلب عند ملك الطير فكان يعرّفهم الثمار المدركة و يحفر لهن بمخالبه قبوراً في الأرض يفرّخن فيها وكان الثعلب إذا جنّ عليه الليل وقرم إلى اللحم أدخل يده في جحر من تلك الأجحرة فأخرج طيراً أو فراخه فأكله ودفن ريشه. وجعلت الطير تتفقد ما كان يأكل واحداً بعد واحد، فقال بعضها لبعض ما فقدنا أفاضلنا إلا منذ صارت هذه الدابة بين أظهرنا وما كانت هذه الطير تطيل الغيبة وما ندري ما دهاها. فقال لها عظيمها إن هذا حسد منكن لهذه الدابة فلا تغفلن ما أصبحتم فيه من فضل المطعم وما فيه فراخكن من هذه الأكنان التي لا يخاف عليها برد فيها ولا حرّ. فقالت الطير أنت سيدنا وأبصر بالأمور منّا. قال وعلي أن أقطع هذا القول وأبين حق ذلك من باطله بنفسي فلما أظلم الليل نزل من الشجرة فدخل بعض تلك الأكنان وأقبل الثعلب على العادة التي اعتادها إلى ذلك الكن فأدخل يده فقبض على رأس الملك، فقال الملك للثعلب لقد نصحتني الطير لو قبلت نصحها. قال الثعلب أنت هو، قال نعم، قال: ما ظننت أن يبلغ من حمقك كلّ هذا، قال ملك الطير دعني أردك في منزلتك بحسب ما رأيت من فضل علمك ولطيف حيلتك. قال له الثعلب إن أبويّ أدّباني أن لا أعلق أنيابي بشيء وأتركه إذ ليس من جهلك أن لا تتجزأ من الثمار ومن الأكنان بما كان آباؤك يكتفون به ولم ترض حتى اختبرت أمري بنفسك ولم تجعل التغرير في ذلك بغيرك، ثم أكله ودفن ريشه. وفقدت الطير عظيمها فاستوحشت وضربت الثعلب ضرباً بمخالبها ومناقيرها حتى قتلته ولم يصلن في عظيم خطر ملكهن إلى أكثر من قتل الثعلب فاحترس من هذه الهندية. قالت الهندية إنما تقرعين المرأة بأربعة رجال بأبيها وأخيها وولدها وبعلها وأفضل النساء المختارة بعلها على جميع أهلها والمؤثرة له نفسها فكيف بمن ذهب أبوها وأخوها فبقي بعلها أفتحبّ أن تهلكه على أن مثلك في رداءة همّتك و خبث نيّتك مثل الغراب والحمامة، قال الملك وما كان من حديثهما، قالت زعموا أن غراباً ألف مطبخاً لبعض الملوك فأخذ من أطيب اللحمان التي قد صارت فيه شيئاً، فظنّوا أن الغراب أخذ لقلة وفائه ولؤم جوهره فطردوه عن مطبخهم وقالوا ما نرجو من هذا الغراب وهو من الطيور التي تعاف ويتطير منها. فأفشى ذلك الغراب أمره إلى حمامة قد كانت بينهما معرفة وفرغ إلى رأيها وأخبرها ما كان فيه من نعيم المأكل والمشرب، فقالت له الحمامة انطلق بي حتى تريني هذا المطبخ. فانطلق حتى أتى سطح المطبخ فقالت الحمامة إني أرى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل فاحفر لي بمنقارك قدر ما أدخل فإنّ منقاري يضعف عن ذلك، فحفر الغراب في سقف البيت بمنقاره حتى دخلت فيه الحمامة وتوّسطت في البيت فأعجبهم حسن خلقها وصفاء لونها فجعل لها خازن المطبخ موضعاً تأوي إليه فلبثت في ذلك البيت قريرة عين فناداها الغراب ما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هكذا قدّرت فيك فقالت الحمامة: لو وفيت لك حل بي غدرك وإن القوم عرفوا وفائي وحسن جواري وعرفوا غدرك وقلّة وفائك ونكث عهدك فهذا مثلي ومثلك يا ابنة السائس، إني لو وفيت لك أرداني غدرك وقتلني مكرك، قالت ابنة السائس أيتها السيدة إنّ الذي سمعت مني كان لشدة الأنفة فأردت أن أنفي عن نفسي الذي أرد من إنكاحي خادمك فلاناً، قالت الهندية لا بد من ذلك، فقالت ابنة السائس من اعتاد معالي الأمور لم تطب نفسه بأسافلها إلا أن استعذبت الموت، فعمدت إلى سم كان معها فقذفته في فيها فخرّت ميتة ووفت الهندية لزوجها فأفلحا.[1]

3- حكاية المأمون:

"وقيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال: يا عدو الله! أنت الذي تفسد في الأرض بغير الحق؟ يا غلام خذه إليك فاسقه كأس المنية. فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تبقيني حتى أؤيدك بمال. قال: لا سبيل إلى ذلك. فقال: يا أمير المؤمنين فدعني أنشدك أبياتاً، قال هات، فأنشده:

زعموا بأن الباز علق مـــــــرة عصفور بز ساقه المـــقـــدور
فتكلم العصفور تحت جناحـــــه والباز منقض عليه يطـــــير
ما بي لما يغنى لمثلك شبعـــــة ولئن أكلت فإنني لحـــــــقير
فتبسم الباز المدل بنفســـــــــه كرماً وأطلق ذلك العصفـــور

فقال له المأمون: أحسنت ما جرى ذلك على لسانك إلا لبقية بقيت من عمرك. فأطلقه وخلع عليه ووصله." [2]

4- حكاية الحجاج مع شهاب ابن حرقة السعدي:

"وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الأشعث الكندي ما كان قال الحجاج اطلبوا لي شهاب بن حرقة السعدي في الأسرى أو القتلى، فطلبوه فوجدوه في الأسرى. فلما أدخل على الحجاج قال له: من أنت؟ قال: أنا شهاب بن حرقة. قال: والله لأقتلنك. قال: لم يكن الأمير بالذي يقتلني. قال: ولم؟ قال: لأن فيَّ خصالاً يرغب فيهن الأمير. قال: وما هن؟ قال: ضروب بالصفيحة، هزوم للكتيبة، أحمي الجار، وأذب عن الذمار، وأجود على العسر واليسر، غير بطيء عن النصر، قال الحجاج: ما أحسن هذه الخصال، فأخبرني بأشد شيء مرّ عليك. قال: نعم أصلح الله الأمير:

بينا أنا أســـــيرُ و مركبي وثـــــــيرُ في عصبة من قومي في ليلتي و يومي

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 162-167.
[2] المصدر نفسه، ص 38.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمضون كالأجادل في الحرب كالبواسل أنا المطاع فيهم في كل ما يليهم
فسرت خمساً عموماً و بعد خمس يوماً حتى وردت أرضاً ما إن ترام عرضا
من بلد البحرين عند طلوع العين فهجتهم نهاراً التمس المغار
حتى إذا كان السحر من بعد ما غاب القمر إذا أنا بعير يقودها خفير
موقرة متاعاً مقبلة سراعاً فصلت بالسنان مع سادة فتيان
فسقتها جميعا أحثها سريعاً أريد رمل عالج أمعج بالعناجج
أسير في الليالي خرقاً بعيداً خالي وقد لقينا تعباً و بعد ذاك نصباً
حتى إذا هبطنا من بعد ما صعدنا عنت لنا بيدانه قد كان فيها عانه
رميتها بقوسي في مهمة كالترس حتى إذا ما أمعنت بالقفر ثم درمت
وردت قصراً منهلاً في جوفه طام حال وعنده خييمه في جوفها نعيمه
عزيزة كالشمس فاقت جميع الأنس فعجت مهري عندها حتى وقفت معها
حييت ثم ردّت في لطف و حيّت فقلت يا لعوب و الطفلة العروب
هل عندكم قراء إذ نحن بالعراء قال نعم برحب في لطف و قرب
أربع هنا عتيداً و لا تكن بعيداً حتى يجئك عامر مثل الهلال زاهر
فعجت عن قريب في باطن الكثيب حتى رأيت عامراً يحمل ليثا خادراً
على عتيق سابح كمثل الطود اللامح

قال: وكان الحجاج متكئاً فاستوى جالساً ثم قال: ويحك دعنا من السجع والرجز وخذ الحديث. قال نعم أيها الأمير. ثم نزل فربط فرسه وجمع حجارة، وأوقد عليها ناراً وشق عن بطن الأسد، وألقى مراقه في النار فجعلت أسمع للحم الأسد لشيشاً، فقالت له نعيمة: قد جاءنا ضيف، وأنت في الصيد. قال : فما فعل؟ قالت: ها هو ذاك بظهر الكثيب والخيمة فأومت إلي فأتيتها فإذا بغلام أمرد كأن وجهه دارة القمر. فربط فرسي إلى جنب فرسه ودعاني إلى طعامه فلم أمتنع من أكل لحم الأسد لشدة الجوع، فأكلت أنا و نعيمة منه بعضه. وأتى الغلام على آخره ثم مال إلى رق فيه خمر، فشرب ثم سقاني فشربت، ثم شرب الغلام حتى أتى على آخره فبينا نحن كذاك إذ سمعت وقع حوافر خيل أصحابي فقمت و ركبت فرسي وتناولت رمحي وصرت معهم، ثم قلت: يا غلام خلّ عن الجارية و لك ما سواها ، فقال: ويلك احفظ الممالحة، قلت لابد من الجارية فالتفت إليها. وقال لها قفي ثم قال: يا فتيان هل لكم في العافية وإلا فارس وفارس فبرز إليه رجل من أصحابي فقال له الغلام، من أنت فلست أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل إلا كفئاً أعرفه فقال أنا عاصم بن كلبة السعدي فشدّ عليه و أنشأ يقول:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنك يا عاصم بي لجاهـــــل إذ رمت أمراً أنت عنه ناكــل
إني كما في الحروب باســـل ليث إذا اصطك الليوث بازل
ضرّاب هامات العدى منــازل قتال أقران الوغا مقاتـــــل

ثم طعنه فقتله وقال يا فتيان هل لكم في العافية وإلا فارس وفارس. فتقدم إليه آخر من أصحابي فقال له الغلام: من أنت؟ فقال أنا صابر بن حرقة فشدّ عليه وأنشأ يقول:

إنك و الإله لست صابــراً على سنان يجلب المقـــــادرا
ومنصّل مثل الشهاب باترا في كف قرم يمنع الحـــرائرا
إني إذا رمت أمراً فآســراً يكون قرني في الحروب بائــرا

ثم طعنه فقتله وقال: يا فتيان هل لكم في العافية وإلا فارس لفارس، فلما رأيت ذلك هالني أمره وأشفقت على أصحابي فقلت: احملوا عليه حملة رجل واحد فلما رأى ذلك أنشأ يقول:

الآن طاب الموت ثم طابــا إذ تطلبون رخصة كعابـــــــــــا
ولا نريد بعدها عتابـــــــــا

فركبت نعيمة فرسها وأخذت رمحها فما زال يجالدنا ونعيمة حتى قتل منا عشرين رجلاً فأشفقت على أصحابي فقلت: يا غلام قد قبلنا العافية و السلامة فقال: ما كان أحسن هذا لو كان أولاً. ونزلنا وسالمنا، فقلت يا عامر بحق الممالحة من أنت؟ قال: أنا عامر بن حرقة الطائي وهذه ابنة عمي ونحن في هذه البرية منذ زمان و دهر، ما مر بنا أنسي غيركم فقلت: من أين طعامكم قال حشرات الطير والوحش والسبع فقلت: فمن أين شرابكم؟ قال: الخمر أجلبها من بلاد البحرين كل عام مرة أو مرتين، قلت: إن معي مائة من الإبل موقرة متاعاً فخذ منها حاجتك فقال: لا أرب لي فيها، ولو أردت ذلك لكنت أقدر عليه فارتحلنا عنه منصرفين. فقال الحجاج: الآن يا عدو الله طاب قتلك لغدرك بالفتى قال: كان خروجي على الأمير أصلحه الله أعظم من ذلك، فإن عفى عني الأمير رجوت أن لا يؤاخذني بغيره فأطلقه ووصله و ردّه إلى بلده" [1].

5- حكاية الحجاج مع الحاجب:

"وذكروا أن الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه: أعسس بنفسك فمن وجدته فجئني به. فلما أصبح أتاه بثلاثة فقال: أصلح الله الأمير ما وجدت إلا هؤلاء الثلاثة، فقال الحجاج لواحد منهم: ما كان سبب خروجك بالليل و قد نادى المنادي أن لا يخرج أحد بالليل، قال أصلح الله الأمير كنت سكران فغلبني السكر فخرجت ولا أعقل. ففكر ساعة ثم قال، سكران غلبه سكره خلوا عنه

---

[1] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 74-77.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تعودن. ثم قال للآخر فأنت ما سبب خروجك قال.. أصلح الله الأمير كنت مع قوم في مجلس يشربون فوقعت بينهم عربدة، فخفت على نفسي فخرجت. ففكر الحجاج ساعة فقال: رجل أحب المسالمة خلوا عنه. ثم قال للآخر: ما كان سبب خروجك فقال: لي والدة عجوز وأنا رجل حمال فرجعت إلى بيتي فقالت والدتي: ما ذقت إلى هذا الوقت طعاماً و لا ذواقاً، فخرجت ألتمس لها ذلك فأخذني العسس. ففكر ساعة ثم قال: يا غلام اضرب عنقه فإذا رأسه بين رجليه"[1].

6- حكاية يوسف بن عمر مع جواريه:

"وعن المدائني قال، حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عبس قال: كنت لا أحجب عنه وعن خدمته فدعا ذات يوم بجوارٍ له ثلاث، ودعا بخصي له يقال له حديج، فقرب إليه واحدة فقال لها: إني أريد الشخوص، أفأخلفك أو أشخصك معي؟ فقالت: صحبة الأمير أحب إليّ ولكني أحسب أن مقامي وتخلفي أعفى وأخف على قلبه. فقال: أحببت التخلف للفجور يا حديج، أضرب فضربها حتى أوجعها. ثم أمر أن يأتيه بالثانية، وقد رأت ما لقيت صاحبتها فقال لها: إني أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك؟ فقالت: ما أعدل بصحبة الأمير شيئاً بل تخرجني قال: أحببت الجماع ما تريدين أن يفوتك ليلة! يا حديج، أضرب. فضربها حتى أوجعها. ثم أمره أن يأتيه بالثالثة وقد رأت ما لقيت المتقدمتان فقال لها: إني أريد الشخوص، أفأخلفك أم أخرجك؟ قالت: الأمير أعلم لينظر أخف الأمرين عليه فليفعله. قال: اختاري لنفسك. قالت: ما عندي اختيار فليختر الأمير. قال: قد فرغت من كل عمل فلم يبق لي إلا أن أختار لكي أوجعها يا حديج، فضربها حتى أوجعها. قال الرجل: فكأنما أوجعني من شدة غيظي عليه فتولّت الجارية فتبعها الخادم فلما بعدت قالت: الخيرة والله في فراقك ما تقرعين أحداً بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال: ما تقول يا حديج؟ قال: قالت كذا و كذا فقال: يا ابن الخبيثة من أمرك أن تعلمني يا غلام، فأخذ السوط من يده فأوجع رأسه فمازال يضربه حتى أشتفى فتعرف من الغلام الآخر كم ضربت؟ قال: لا أدري. قال: يا عدو الله أتخرج حاصلي من بيت مالي من غير حساب؟ اقتلوه، فقتلوه"[2].

---

[1] المصدر نفسه، ص 74-77.

[2] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص 48- 49.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

لم تكن ظاهرة التحسين و التقبيح مشتهرة بشكل كبير في بداية العصر العباسي إلا أنها كانت معروفة لدى المفكرين الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية كما رأينا. ولقد كان للعوامل الثقافية والاجتماعية و الدينية الأثر الكبير في بروز هذه الظاهرة مما ساعد الأدباء على ابتكار هذا الفن الجديد والذي عرف فيما بعد بظاهرة التحسين و التقبيح.

كما كان للمعتزلة أثرهم الكبير والواضح في هذه الظاهرة بحيث استخدموا هذا الفن في دفاعهم عن الدين في وجه الملحدين وأصحاب الملل الأخرى. وهكذا فإن هذه الظاهرة قد أعلت من شأن العقل العربي في بحثه عن أدلة تنقض حجج المخالفين و ترد عليهم بالدليل القاطع. ولما صارت هذه الظاهرة نموذجا يحتذى عند الأدباء أخذ كثير منهم يفلسفون الأدب ويخضعونه لهذه الظاهرة، وان من أشهر أولئك الأدباء الجاحظ في كتابه" المحاسن و الأضداد" والبيهقي في كتابه "المحاسن والمساوئ".

وفي الكتابين موضوعات عديدة متشابهة وهذا التشابه ما بينهما جعل النقاد يشكون في صحة نسبة كتاب "المحاسن والأضداد" للجاحظ. فوقفت على الموضوعات الواردة في الكتابين فدرستها دراسة متأنية وبينت ما فيها من اتفاق و اختلاف. وان من أبرز السمات التي وقفت عليها في الفرق بين الكتابين:

1. الاختلاف الفكري بين الجاحظ و البيهقي.
2. الاختلاف الديني إذ أن الجاحظ من المعتزلة أما البيهقي فشيعي.
3. الغاية التي وضع من أجلها كل منهما كتابه.

ولقد وصلت إلى هذه النتائج بعد أن قسمت موضوعات الكتابين إلى أبواب تتناسب وطرحهما للموضوع. وبينت وجهة نظر كل من الجاحظ و البيهقي في الموضوع الواحد كما هو في محاسن التطير وضده. وان المواضيع المؤتلفة ما بين الجاحظ والبيهقي كان فيها اختلافا بالطرح والفكرة، فالعديد من الموضوعات عند البيهقي جاءت أطول من مثيلتها عند الجاحظ، كما أن بعض الموضوعات الواردة عند البيهقي قد قسمت خلافا لتقسيم الجاحظ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الملاحظ أن اهتمام الجاحظ بالموضوعات الواردة في كتاب المحاسن والأضداد اهتمام الأديب الذي يتمتع بفلسفة خاصة تظهر اتجاهه الفكري دون تحيز لمذهب ديني، خلافا لكتاب المحاسن والمساوئ والذي يظهر فيه مذهب البيهقي الشيعي. فقد أكثر البيهقي من الموضوعات التي تهتم بشؤون الشيعة وأفكارهم وآرائهم وتناولها في العديد من أبواب كتابه "المحاسن والمساوئ".

وأن اختلاف الغاية التي وضع كل من الأديبين كتابه لأجلها تختلف اختلافا كلياً عن الآخر. فالجاحظ أديب يأخذ من كل فن بطرف ويتحدث عن الموضوعات التي تناولها في كتابه دون أن يتدخل في حث القارئ على أخذ شيء أو ترك شيء آخر.

وهو في كتابه يعرض لمختلف أحوال مجتمعه وعاداتهم سواء أكانت تلك العادات حسنة أم سيئة. وأما البيهقي فقد كان مؤدبا أكثر منه أديبا وكانت غايته إصلاح المجتمع وتوجيهه إلى ما فيه خيره وصلاحه والارتفاع بذوق القارئ وهكذا اغفل البيهقي الموضوعات التي لا يراها تتفق وهذه الغاية، كتلك الموضوعات التي تتحدث عن أخبار النساء وأحوالهن مما ورد عند الجاحظ.

ولتأكيد ما وصلت إليه من نتائج وقفت على النقد الذي وجه للكتابين، وقد كانت الحجج التي وقفت عليها ضعيفة واهية وقد رددت عليها بالأدلة العقلية والنقلية. ووقفت على آراء ستة من النقاد وقد قسمتهم إلى من اثبت أن الكتاب للجاحظ وهم خليل مردم وشفيق جبري وهناء حرامي. وأما من شك في نسبة كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ فهم حسن السندوبي وشوقي ضيف ومحمد الدروبي. وبعد أن بسطت القول في آرائهم وبينت مواضع الضعف في آراء وحجج النقاد الذين شكوا في نسبة كتاب "المحاسن والأضداد" للجاحظ انتقلت إلى شيء من أسلوب الجاحظ فبينت طريقته في تأليف الكتاب و تناوله للموضوعات.

من ثم أخذت بعضاً من قصصه في كتاب "المحاسن والأضداد" وقمت بتحليلها بناء على الدراسات التي تناولت الحكاية في كتب الجاحظ الثابتة النسبة له في الحيوان والبيان والتبيين والبخلاء، والموضوعات التي قصد إليها الجاحظ في كتبه المختلفة وطريقة طرحه لها. فرأينا القصص تتشابه من حيث السرد والحوار والعقدة وعنصري الزمان والمكان وطريقة الطرح.

وعلى هذا وصلت إلى اليقين الذي استطيع من خلاله الترجيح في أن كتاب "المحاسن والأضداد" من صنع الجاحظ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع

ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار الجيل: بيروت.

ابن حزم، (1985)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، دار الجيل: بيروت.

ابن حمدون، (1996)، **التذكرة الحمدونية**، تحقيق: بكر عباس، دار صادر: بيروت.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، **مقدمة ابن خلدون**، ط3، تحقيق وشرح: الدكتور علي عبد الواحد وافى، دار نهضة مصر للطبع والنشر: القاهرة.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، (1997)، ط1، **أنباء أبناء الزمان**، بيروت، لبنان، تقديم: محمد عبدالرحمن المرعشليّ.

أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (1415هـ)، **الكامل في التاريخ**، ط2، تحقيق: عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية: بيروت.

أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف: بيروت.

أبو الفضل، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الهمذاني (1958)، **تكملة تاريخ الطبري**، ط1، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية: بيروت.

أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى، (1954)، **غرر الفوائد ودرر القلائد**، للشريف المرتضى، ج2، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة.

أحمد أمين، (1935)، **فجر الإسلام**، لجنة التأليف: القاهرة.

أحمد أمين،(1962)، **ضحى الإسلام**، ط6، مكتبة النهضة المصرية.

بدري محمد فهد، (2002)، **صناعة الكتاب بين المؤلف والوراق**، دار المناهج: عمان.

بروكلمان، كارل، عبد الحليم النجار، (1983)، **تاريخ الأدب العربي**، مترجم، دار المعارف: القاهرة،.

البغدادي ، الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ، (2001)، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، ط1، دار الغرب الإسلامي: بيروت، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف.

بلبع، عبد الحكيم، (1959)، **أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري**، مكتبة نهضة مصر: القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بن ذريل، عدنان ، (2000)، **النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق**، اتحاد الكتّاب العرب: دمشق.

البيهقي،(1380 هـ-1960م)، **المحاسن والمساوئ**، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر: بيروت.

التفتازاني، **العقائد النسفية**، مكتبة دار إحياء الكتب العربية.

الجاحظ، أبو عثمان (1406هـ-1986م)، **المحاسن والأضداد**، راجعه: الدكتور عاصم عيتاني، دار إحياء العلوم: بيروت، ط 1.

———— ، (1417هـ-1997م)، **المحاسن والأضداد**، ط1، شرح: د.يوسف فرحات، دار الجيل: بيروت.

———— ، (1960)، **البيان والتبيين**، ط 2، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى: بغداد.

———— ، (1982)، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني: بيروت.

———— ، (1969)، **الحيوان**، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ط 3، منشورات: محمد الداية، بيروت - لبنان.

جبري، شفيق، (1932)، **الجاحظ معلم العقل والأدب**، دمشق.

الجرجاني، (1985)، **التعريفات**، مكتبة لبنان: لبنان.

حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، تحقيق: قاسم محمد الرجب، مكتبة المثنى: بغداد.

حرامي، هناء، (2003)، **التجربة الجمالية عند العرب**، حسين الصديق مشرف، رسالة جامعية (ماجستير)، جامعة حلب.

الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله ، (1999)، **معجم الأدباء إرشاد الأديب إلى معرفة الأدب**، ط 1، تحقيق: الدكتور عمر فارق الطباع، مؤسسة المعارف: بيروت - لبنان.

الخياط، **الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد**، تقديم ومراجعة: محمد حجازي، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة.

الدينوري، ابن قتيبة، **تأويل مختلف الحديث**، (1989)، محقق: محمد محيي الدين الأصفر، المكتب الإسلامي: بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، المجلد الأول.

ديوان ابن المعتز، (1961)، دار صادر للطباعة والنشر- دار بيروت للطباعة والنشر: بيروت.

الذهبي، (1412هـ -1992م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط1، دار الكتاب العربي.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، (1415هـ-1995م)، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون:بيروت.

الزركلي، خير الدين ، (2005)، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط16دار العلم للملايين: بيروت - لبنان.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، (1992)، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، مؤسسة الأعلمي: بيروت.

السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي، (1998)، **الأنساب**، ط1، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، دار الفكر: بيروت.

السندوبي، حسن، (1931)، **أدب الجاحظ**، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

سير أعلام النبلاء، (1417هـ-1996م)، ط11، تصنيف: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبيّ، مؤسسة الرسالة: بيروت.

شارل، بيلا ،(1956) ، **أصالة الجاحظ**، المطبعة الكاثوليكية: بيروت.

———— ، ترجمة إبراهيم الكيلاني، (1985)، **الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء**، دار الفكر: دمشق،

الشافعي، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله ، (1995)، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر: بيروت.

شخاترة، خولة، (2006)، **بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان للجاحظ**، ط2، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، (2002)، **الملل والنحل**، دار الفكر: بيروت.

شوقي ضيف، **العصر العباسي الثاني**.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

———— ، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، دار المعارف: القاهرة.

———— ، **العصر العباسي الأول**.

عبد الحميد العلوجي، (1965)، **المواسم الأدبية عند العرب**، دار الجمهورية: بغداد.

عبد الحميد، عرفان، (1404 هـ - 1984م)، **دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية**، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت.

عبد الحي أحمد بن محمد العكري الحنبلي، 1406هـ، **شذرات الذهب**، ط1، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمد الأرناؤوط، دار بن كثير: دمشق.

عبد القاهر البغدادي، **الفرق بين الفرق**، مؤسسة الحلبي:القاهرة.

عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي، (1419هـ-1998م)، **سمط النجوم العوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية: بيروت.

العلوجي، عبد الحميد، (1971)، **أيام المربد**، وزارة الإعلام، الهيئة العليا لمهرجان المربد السنوي، بغداد.

علي أبو ملحم، (1994)، **المناحي الفلسفية عند الجاحظ**، دار ومكتبة الهلال: بيروت.

الغالي، بلقاسم، (1999)، **الجانب الاعتزالي عند الجاحظ**، دار ابن حزم: بيروت.

الغرابي ، علي مصطفى،(1949). **أبو الهذيل العلاّف أول متكلم إسلامي تأثر بالفلسفة**، مكتبة الحسين التجارية: القاهرة.

الغزالي، 1962، **المنقذ من الضلال**، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية،.

———— ، (1356-1937م)، **المستصفى في علم الأصول**، ط1، مطبعة مصطفى محمد.

قاري، لطف الله ، (1983)، **الوراقة والوراقون في التاريخ الإسلامي**، دار الرفاعي: الرياض.

محمد بن اسحاق النديم، **الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم**.

محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، **الطبقات الكبرى**، دار صادر: بيروت.

محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب**، ط1، دار صادر: بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرتضى، أمالي، المرتضى، الشريف، (1954)، **غرر الفوائد ودرر القلائد**، الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة.

مردم بك، خليل، (1930)، **الجاحظ**، مكتبة عرفة: دمشق.

المهدي لدين الله، أحمد بن يحيى الحسني، (1979)، **كتاب المنية والأمل في شرح الملل والنحل**، دار الفكر، بيروت.

اليافعي، عفيف الدين أبو السعادات عبد الله بن أسعد، (1984)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: عبدالله الجبوري.

اليسوعي، فيكتور شلحت، (1964)، **النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ**، دار المعارف: القاهرة- مصر.

اليعمري، الحافظ أبي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس، (1992)، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، ص 59-67.

اليغموري، الحافظ نور القبس، نور القبس من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، اليغموري، أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود،دار النشر فرانس شتاينر، (1964).

الرسائل الجامعية:

أبو الرب، توفيق يوسف عبد الكريم ، (1984)، **الحكاية في أدب الجاحظ**، جامعة اليرموك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، دائرة اللغة العربية.

بو ملحم، علي ، **المناحي الفلسفية عند الجاحظ**، دار ومكتبة الهلال.

الدروبي، محمد محمود أحمد، **آثار الجاحظ**، (1994)، رسالة جامعية (ماجستير)، الجامعة الأردنية، ،عبد الجليل عبد المهدي مشرف.

الدروبي، محمد محمود، (1994)، **آثار الجاحظ**، رسالة جامعية (ماجستير)، الجامعة الأردنية.

الفالح، حسن فالح حسين ، (1995)، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام حتى نهاية القرن الثالث وأثرها في إثراء اللغة والأدب والأساطير**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، عمان- الأردن.

كامل محمد محمد عويضة، **الجاحظ الأديب الفيلسوف**، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان.

ناجي، مجيد عبد الحميد ، (1396ه-1976م)، **الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز**، رسالة ماجستير من جامعة بغداد، مطبعة الآداب:النجف الأشرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

COMPARISON BETWEEN TWO BOOKS ALMAHASEN AND ALADAD BY (ALJAHEED)

AND ALMAHASEN AND ALMASAWE BY (ALBAIHAKI)

By

Omar Diab Abu Hunia

Supervisor:

Prof. Hani Subhi Al Alammad

ABSTRACT

This study interested in two old Arabic books, almahasen and aladad by Amro Ibn Aljaheed and almahasen and almasawe by Mohammad Albaihaki. This thesis consists of three chapters, in which the first one discusses praising and criticizing phenomenon and the social, cultural, and religious factors that played major rule to its existence. The researcher talks about arguments and debates that took place in almarbad s market and its effects on Abbasid society. Especially, in the community of Basra. Firstly, the style of praising and criticizing was limited, it only talked about religious debates that almotazela defended Islamic religion, but this style became public phenomenon embracing the books of authors. Most of them became well-known as aljaheed. Second chapter, it is about topics mentioned in two books. The researcher divided books into similar and different. He discussed these topics and showed the thought and style of both authors. Still the reader thinks that the topics are similar in style and idea. However, after thorough study it appears completely different in content. It's attributed to the differences in thought and philosophy of each authors, and their purposes of writing the books. Aljaheed is writer from almotazela.

He attempted in his book to provoke the reader s mind, force it to think and select what he sees as suitable. As a result of this, it elevates the state of mind. But in the topics that he selected, he talked about his society s condition. He tried to depict it with objectivity and accuracy. As for baihaki, he was as reformer, his only concern to reform people s affairs and

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

their conditions. He selected topics that enabled him to describe aesthetic taste and good upbringing as well as. He eliminated all topics that related to women, particulary the ones that contained women s bodies and sexual relations. The researcher studied the addressing of two books and their purposes that each writer meant in his book, so Aljaheed in addressing his book gave room for the reader in picking what he found it to be apt. Therefor, Aljaheed neither constrains nor imposes on the reader to adopt his point of view. On contrary to baihaki forces the reader to adopt his opinion. Consequently, there are differences between aljaheed' s thought and albaihaki' s purposes of the books. Undoubtly, as critics alleged that baihaki s ascription of purpose in two books, its false ascription .because the book almahasen and aladad is carrying philosophy and thought of aljaheed. Showing something from ideas and stories written in the book of almahasen and Aladad are to justify that the researcher is right. So he makes comparison between them and ideas and stories from aljaheed s book. These books have sheer ascription for aljaheed Thus, researcher moves on towards the third chapter that intended to analyze stories and ideas that pertained to aljaheed. This analysis assured that the structure of the story in the book of Almahasen and Aladad is similar to other books by aljaheed.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit